

BOBST LIBRARY



3 1142 01861 7442



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

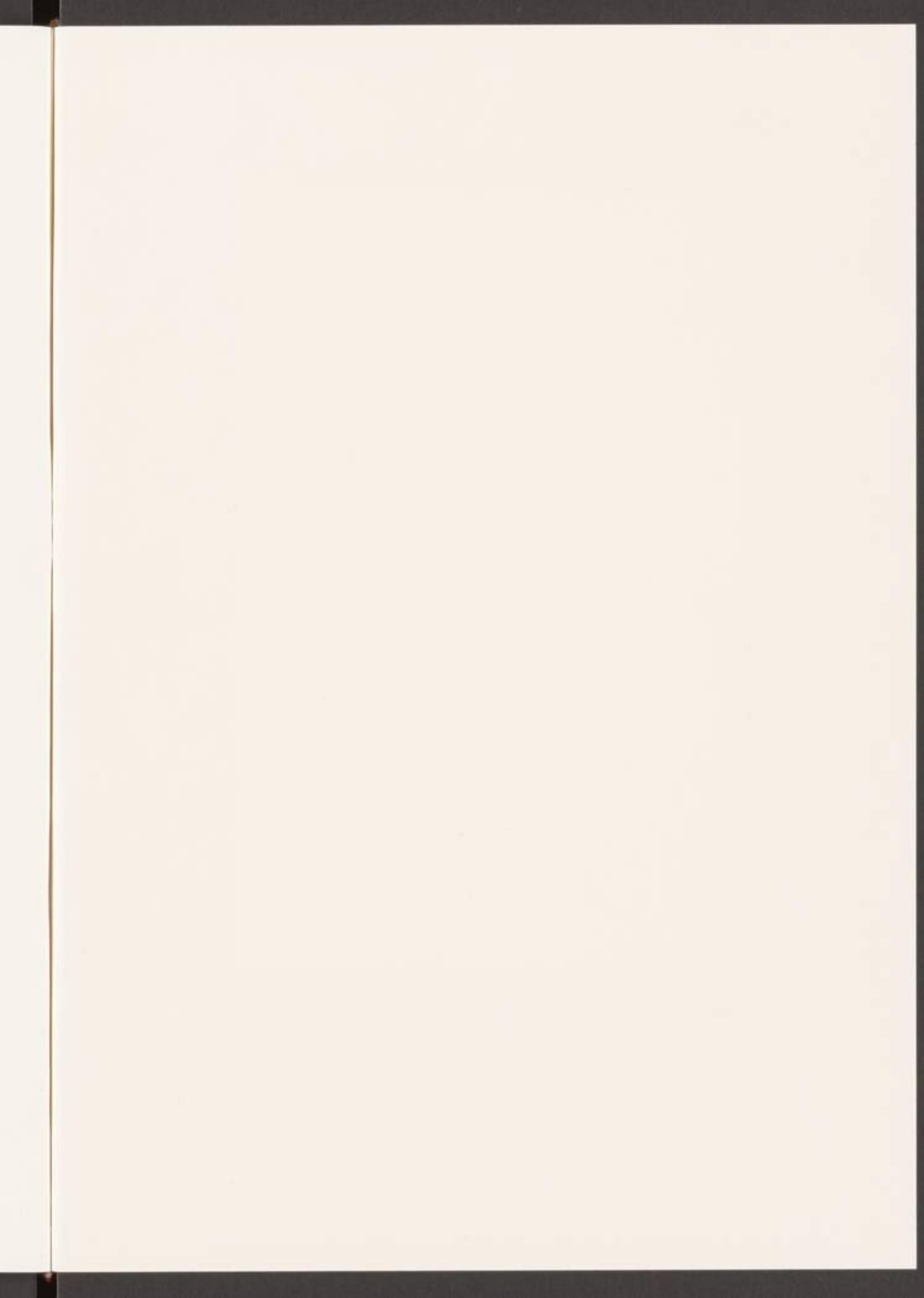
**Gaston Wiet
Collection**

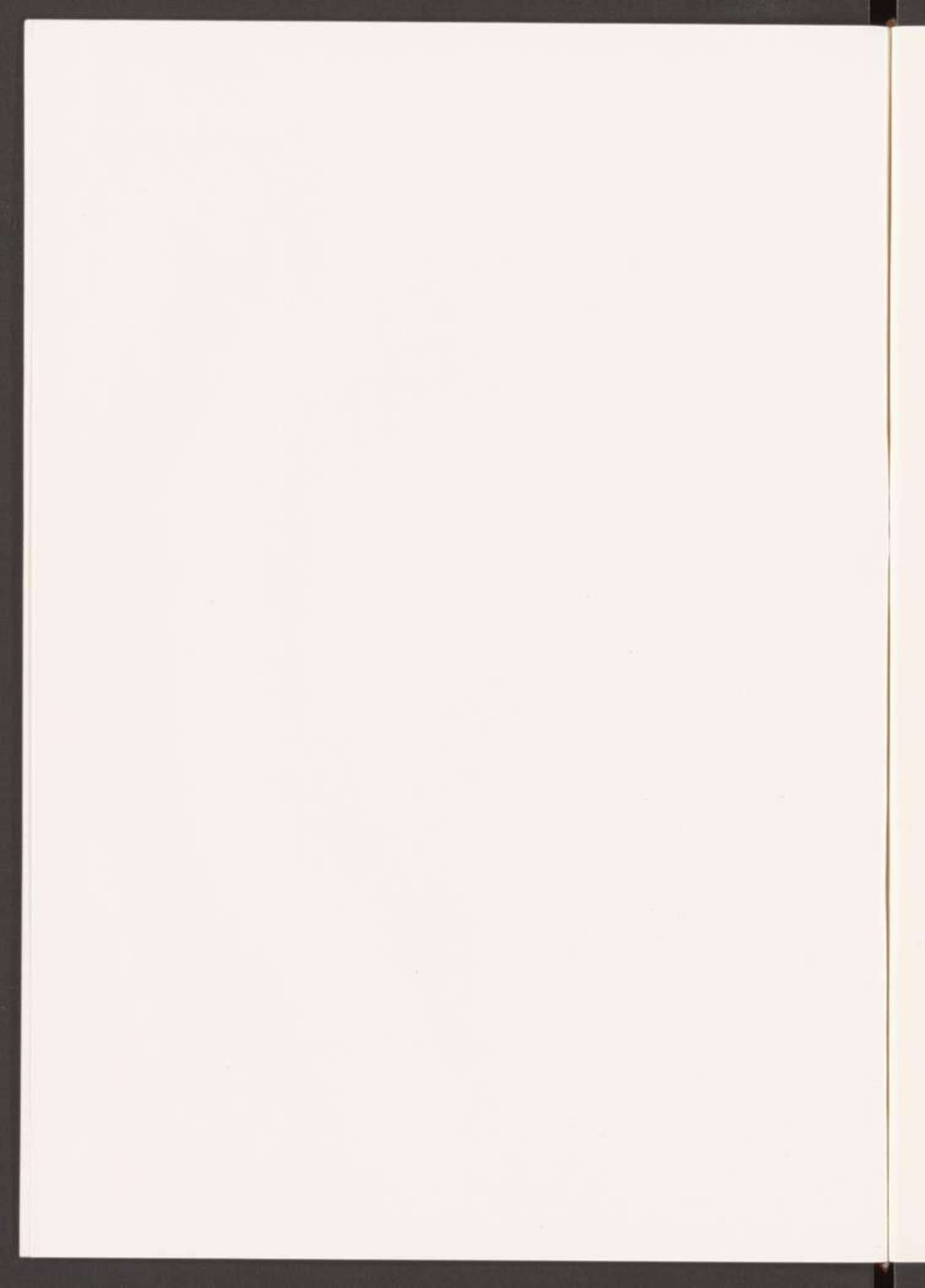


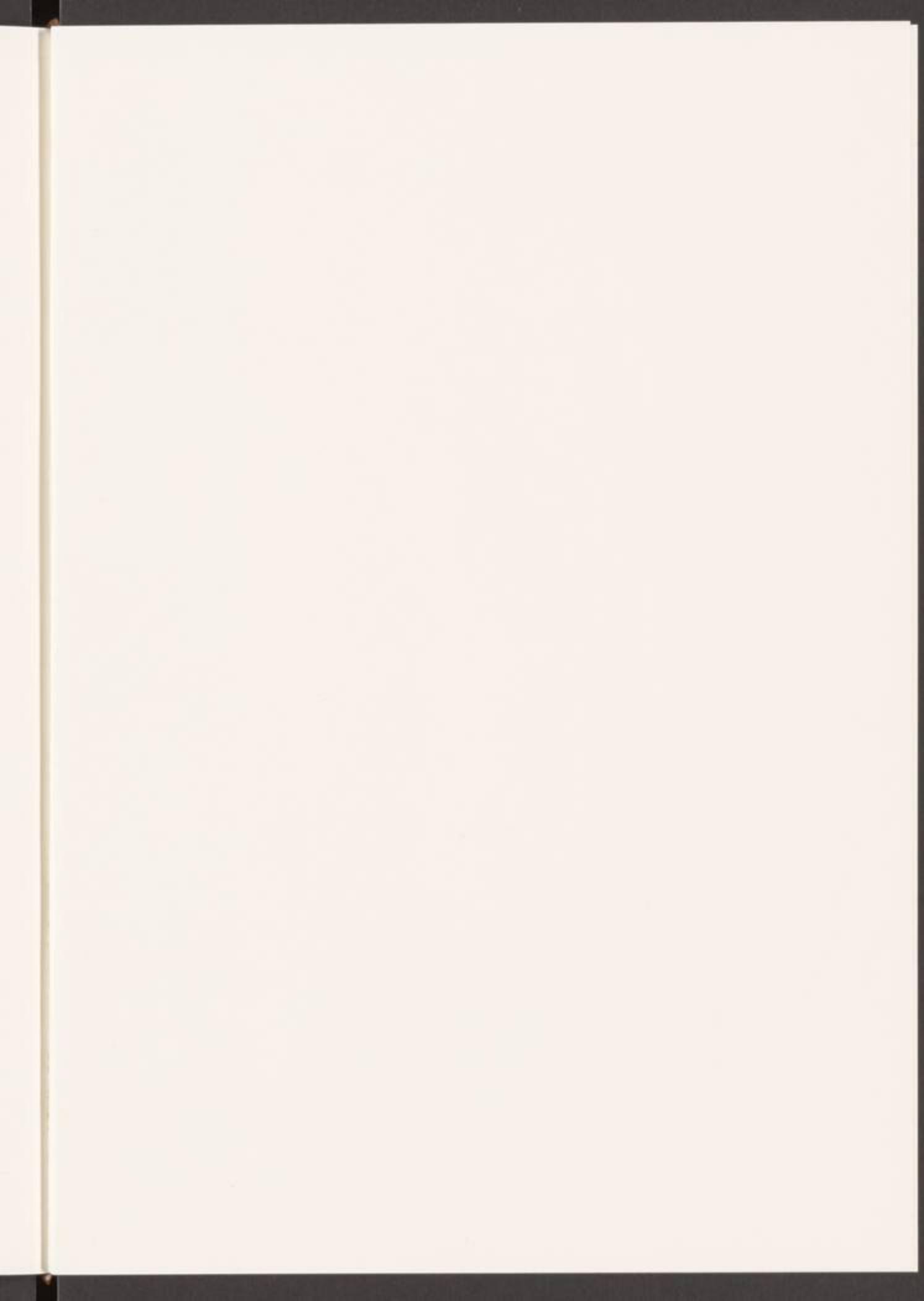
New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
----------	----------	----------

DUE DATE
DEC 26 2006
MAR 26 2007
Bobst Library Circulation









1891

1891

1891

1891



Ibn al-Hājj, Muḥammad ibn Muḥammad
al-Madkhalī

الملائكة ملاك

لابن الحجاج ملاك

الجزء الثالث

الطبعة الأولى

١٣٤٨ ميلادية - ١٩٢٩ هجرية

الطبعة الصيرية بالزمر
ادارة محمد عبده الطيف

BP
154
I 15
1929
v. 3
c. 1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فصل في ذكر آداب المجاهد وكيفية نيته و هديه

قد تقدم رحنا الله وإياك آداب العالم وهديه وما احتوت عليه نيته فالمجاهدو غيره
تبع له في ذلك كله الا شيئاً قليلاً اختص به العالم و شيئاً قليلاً اختص به المجاهد
يقع ذكره ان شاء الله تعالى . ولتعلم أن الجهاد ينقسم إلى قسمين جهاد أصغر
و جهاد أكبر فالجهاد الأكبر هو جهاد النفوس لقوله عليه الصلاة والسلام
(هبط من jihad الأصغر إلى jihad الأكبر) والكلام عليه يأتي ان شاء الله
تعالى في ذكر آداب الفقير المنقطع . والكلام هنا إنما هو على jihad الأصغر
وهو جهاد أهل الكفر والعناد وهو من أجل الطاعات وأعظمها . وقد تقدم
أن أفضل الأعمال طلب العلم لأن به يعرف المجاهد فضيلة jihad وكيف يجاهد
وبماذا يصح له jihad وبماذا يفسد وكذلك غيره من أمور الدين فكان
أفضل الأعمال لما جاء في تفضيله في الحديث الصحيح والحديث ليس على
عمومه لأن ذلك راجع إلى أحوال الناس فرب شخص ليس فيه أهلية طلب
العلم وهو قادر على jihad لما فيه من فضل القوة والشجاعة والاقدام فالجهاد
في حق هذا يتتأكد أمره وآخر يكون فيه ذكاً وفهم وحفظ وتحصيل للمسائل
وهو ضعيف في نفسه ليس له قوة على الضرب والطعن فطلب العلم مثل هذا
يتعين وقد يتعين عليه jihad بحسب حال الوقت . وبالجملة فالجهاد فيه فضل
كبير جاء به الكتاب العزيز والحديث الصحيح . لكن ينبغي للمجاهد أن لا يدخل
في jihad حتى يسأل أهل العلم عما يلزمته في jihadه إن لم يعلمه . لقوله عليه

الصلة والسلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم) قال العلماء المحققون في معناه ما وجب عليك عمله وجب عليك العلم به اتهى فيعرف أولاً الأحكام الازمة له وحيثند يدخل فيه فيبدأ بما ذكره علماؤنا رحمة الله عليهم من الأحكام الازمة فن ذلك أنهم قالوا شرط وجوب الجهاد سبعة وهي أن يكون مسلماً عاقلاً بالغاً ذكراً حراً مستطيناً بصحبة البدن والمصال وفرضه ستة النية وطاعة الإمام وترك الغلو والوفاء بالأمان والثبات عند الرزف وأن لا يفر واحد من اثنين

فصل في الغنية

والغنية يستحقها من أتصف بعشرة شروط السبعة المتقدم ذكرها وأن يكون خرج للجهاد لا للتجارة ولا للإجارة وأن تكون الغنية حصلت بالقتال أو ما أوجف عليه بالخيل والركاب

فصل في حكم الاسارى

والإمام يخير في الاسارى بين خمسة أشياء القتل والاسترقاق والمن والفتداء والجزية

فصل في الأوصاف الموجبة للجزية

الجزية واجبة بعشرة أوصاف الكفر والإقامة عليه بدار الإسلام وأن يكون عاقلاً بالغاً ذكراً حراً غير معتق لمسلم قادرًا على أدائه ولا يكون فرشياً ولا مرتدًا

فصل في حكم المرتدين

دار المرتدين تفارق دار الحرب من أربعة أوجه أحدها أنهم لا يهادنون على الإقامة بيدهم الثاني أنهم لا يصلحون على مال يقررون به على ردتهم الثالث لا تسترق رجالهم ولا تسب نسائهم الرابع لا يملك الغانمون أموالهم وهي أيضاً تفارق دار الإسلام من أربعة أوجه أحدها أنه يجوز قتالهم مقبلين ومدربيـن

قتال الفتة الباغية وحكم المحاربين

كالمشركين الثاني بابحة دمائهم أسرى ويعتدين الثالث أن أبو الحم تصير فيئاً للسلبيين
الرابع بطلان من كثتهم

فصل في قتال الفتة الباغية

وهي التي تفارق الإمام ورأى الجماعة وتفرد بمذهب مبتدع وتنعزل بدار ويفارق
قتالهم قتال المشركين من ثلاثة عشر وجهاً . أحدها أنهم يقاتلون بنية ردعهم ولا
يتعمد به قتلهم . الثاني يقاتلون مقبلين ويكتف عنهم مدربين . الثالث لا يجهز على
جريحهم . الرابع لا تقتل أسرابهم . الخامس لا تسي نسائهم . السادس لا تسي
ذراريهم . السابع لا تغنم أبو الحم . الثامن لا يهادنون على الاقامة بيدهم . التاسع
لا يصلحون على مال يقررون به على بدعتهم . العاشر لا يستعان على قتالهم بمشاركة
الحادي عشر لا ينصب عليهم الرعادات . الثاني عشر لا تحرق عليهم يومهم . الثالث
عشر لانقطع أشجارهم

فصل في حكم المحاربين

قتال المحاربين كقتال الفتة الباغية في عامة أحوالهم إلا في خمسة أشياء يخالفونهم
فيها . أحدها أنهم يقاتلون مقبلين ومدربين . الثاني يجوز أن يتعمد في الحرب
قتلهم . الثالث أنه يجوز حبس أسرابهم لاستبراء حالم . الرابع أنهم ضامنون لما
استهلكوه من دم أو مال في الحرب وغيره ولا يجوز ذلك في الفتة الباغية بعد
انجلاء الحرب . الخامس أن ما أخذوه من خراج وصدقات فهو كالمأخذوذ غصبا
فعلي من أخذه من يده غرمه . فإذا تحصل عنده معرفة ما ذكر فليكن عالما
بأحكام صلاة الخوف في الحالتين من قتال وغيره وكيفية ما يلزمهم من ذلك كله
وكذلك يتعين عليه معرفة أحكام التيم وفي أي وقت يلزمهم وفي أي وقت
يحرم عليه ومسائله . وقد تقدم بيان هذا عند ذكر غسل المرأة في بيتها وكذلك

ينبغى له أن يعرف أحكام صلاة المسافر وفي أى وقت يقصر وفي أى وقت يتم وذلك كله موجود في كتب الفقهاء متيسرا على أسلتهم لمن جاء إليهم مستفتيا لأن الصلاة هي عماد الدين وبها قوامه فإذا كان المجاهد يخل بها أو يترك من أركانها كان تركه للجهاد أولى به بل أوجب عليه إذا لم يتعين. فإذا تعين والحالة هذه كان عاصيا وإن كان مجاهدا . وهذه مسئلة قد عمت بها البلوى لأنها زر ونبasher من يخرج إلى الجهاد وغالب أحواهم عدم الفقه وعدم المعرفة بكل ما ذكر أو بأكثريه وقل من تجده منهم يجتمع بأحد من أهل العلم ويسأل عما يلزم منه من الأحكام فيها ذكر سببا صلاة الخوف التي مابقيت تعرف عندهم في الغالب ولا تذر إلا في كتب الفقهاء كأنها حكاية تحكي سببا صلاة المسافية فانها كانت لا تعرف أيضاً بعدم فاعلها وقلة السؤال عنها فيخرج المجاهد وهو عند نفسه أنه في طاعة وهو يقع في مخالفات جملة لعدم التلiss بمعرفة ما ذكر وقد يكون سبباً إلى وقوع الرعب في قلبه من العدو وانهزامه عند رؤيته فان العدو إنما يستعدله باقامة هذا الدين . قال الله تعالى في كتابه العزيز (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ يَأْتِي مِنْ أَنفُسِ الْمُجَاهِدِينَ) قال علماؤنا رحمة الله عليهم نصر العبد لربه هو اتباع أمره واجتناب نهيه فإذا فعل ذلك كان سبباً لنصرة الله تعالى له وأمنه مما يخاف سبباً والمجاهد إنما يجاهد لأجل الدين والصلاة هي عماده وبها قوامه وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءه كتاب من بعض جيوشه بالشام وهم يخبرونه فيه بأنهم قد افتحوا البلدة التي نزلوا بها وكان الحرب بينهم وبين أهلها من أول النهار إلى الزوال فبكى حتى بلت دموعه لحيته فقيل له أبكى والنصر لنا فقال والله ما الکفر يقف أمام الاسلام من غدوة إلى الزوال إلا من أمر أحد تسموه أنت أو أنا . فانظر إلى ما قرره عمر رضي الله عنه مانظر في النصر وعديمه إلا بصلاح الحال وفساده فيها بين العبد

وربه فأين هذا الحال الذى ذكر من حال أكثر الناس اليوم في كونهم يخرجون الصلاة عن وقتها ويقضونها بعد ذلك ولا قائل به من المسلمين أعني جواز اخراجها عن وقتها عدماً من غير عذر شرعى والعذر الشرعى أنها هو زوال العقل أو استثاره . ألا ترى أن المسمايف تجب الصلاة عليه وهو يضارب ويجوز له أن يتكلم إن اضطر إلى ذلك وهو يصلى ويجوز له أن يصلى لأى جهة كانت ويكتب ويقرأ وكذلك الغريق تجب الصلاة عليه في حال غرقه والمصلوب إلى غير ذلك فكل هؤلاء صلاتهم أنها هي بالإيمان واللسان واغتفر في حفظهم ومن شابهم ترك فرائض الصلاة جملة في حال صلاتهم إذ ذلك خيبة على الوقت لأن يخرج فهو ترك أحد مهم مالزمه من الاتيان بالصلاحة في الوقت على الصفة المذكورة كان عاصياً وان قضتها بعد خروج وقتها لأن علماءنا رحمة الله عليهم قد اختلفوا فيمن أخرج الصلاة عن وقتها متعمداً هل عليه قضاء أم لا فالمشهور أن القضاء واجب عليه وأنه آثم فيما فعله من التأخير وذهب بعضاً منهم إلى أنه لاقضاء عليه بناءً منهم على أنه مرتد وحكمه معروف . وما ذكر في حق المجاهد من تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها هو موجود بعينه في كثير من الحجاج كما هو مشاهد من أحواهم وأنهم يحصلون الزاد والراحلة وما يحتاجون إليه من ضروراتهم بخلاف ما يحتاجون إليه من أمور دينهم فقل من يسأل عن مسائل التيمم وقصر الصلاة واتمامها وأحكام الحج ومتناسكه وان وجد ذلك من بعضهم فالغالب منهم أنهم يعتنون في المناسب بادعية معلومة على قانون معروف فيقولون عليها ويتركون ذكر الأحكام في الغالب . وقد كره مالك رحمه الله تعالى الدعاء لبعض الأركان وقال هذه بدعة أنها يذكر الله ويدعو بما يريده أو كما قال . ثم نرجع إلى ما كنا بسيله من أمر الجهاد فمن أعلم ما يقدم فيه قبل الخروج إليه وعنه حسن النية واتهامه بها والتغويل عليها . وقد ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم بيانها أتم بيان

حين جاءه الأعرابي فقال له يا رسول الله ما القتال في سبيل الله فان أخذنا يقاتل غضبا و يقاتل حية فرفع اليه رأسه قال و مارفع اليه رأسه الا أنه كان قاتلا فقال (من قاتل لتكون كلامة الله هي العليا فهو في سبيل الله) فقد اتضحت وبان ما ينوي المجاهد حين خروجه و تابسه بالقتال . وأما ما يقع له بعد تصحيح نيته فغير مانوه لاعتبره به ولا يؤخذ به لأن الأعرابي قال فان أخذنا يقاتل غضبا و يقاتل حية فأجابه عليه الصلاة والسلام بما تقدم ذكره فدل على أنه اذا نوى أن يقاتل لتكون كلامة الله هي العليا لا يضره ما اعتبره بعد ذلك من قتاله غضبا أو حية أو ما أشبههما لأن هذا كلهم وساوس الشيطان وزاغاته وهو احسن النفوس التي لا تملك والله عز وجل قد رفع ذلك عنا ومن علينا بترك المحاسبة عليه ببركة هذا النبي الكريم على ربه عز وجل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه لما زل قوله تعالى ﴿وَانْتُمْ بِمَا فِي أَنفُسِكُمْ أَنْتُمْ بِهِمْ بَارِزُونَ﴾ الآية ضرج الصحابة رضى الله عنهم وأتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله كفانا الصلاة والصوم والزكاة والحج فقبلناه وأما ما يقع في نفوسنا فلا نقدر عليه أو كما قالوا فعلهم عليه الصلاة والسلام الأدب مع الربوية فقال أنتقولون مثل ما قالت بنو إسرائيل سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا فأنزل الله تعالى ﴿لَا يكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَعُصِيَ﴾ إلى آخر السورة فرفع الله تعالى الاصر عنهم وعدم المواجهة بالوسوس والهوا جس . ولأجل هذا المعنى الذي نحن بسيله) قال عليه الصلاة والسلام لما أن جاه أصحابه يشكون له مما وقع لهم من هذا المعنى فقالوا أنا نجد في أنفسنا ما يتغاظم أخذنا أن يتكلم به فقال صلى الله عليه وسلم أوجدهم و قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان الحمد لله الذي رد كيده لهذا) قوله عليه الصلاة والسلام ذلك صريح الإيمان يعني في دفعه وتماظم الأمر عندهم لافي نفس وقوعه قوله عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي

رد كيده لهذا وذلك أن أبليس اللعين لم يقنع منهم في الجاهلية حتى جعلهم ينشرون خشباً وينحثون حجارة ويجعلونها صوراً يسجدون لها ويعبدونها من دون الله عز وجل وهم قد صنعواها بأيديهم فلما أن جاء الإسلام وظهر أمره وانتشر أيس أبليس اللعين أن يردهم إلى ما كانوا عليه فلم تبق له حيلة إلا الوساوس والهواجس المشوّشة على قلوب المؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي رد كيده لهذا . فحمد صلي الله عليه وسلم ربه على كون اللعين بمحض قدرته عن جميع الحيل إذ أن ما بقي له من الحيل إلا الوساوس والهواجس وذلك غير مؤاخذ به من وقع له ولو وقف المكافف مع ما يقع له من الهواجس قل أن يتأنى له أداء عبادة بسبب تسليطه . فالحاصل أنه يقانل أولاً بنية أن تكون كلية الله هي العليا كما تقدم وأن يحتسب نفسه وما له الله عز وجل لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ جَنَّةٌ﴾ إلى آخر الآية وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَقَاوِلُونَ فِي سَيِّلِهِ صَفَا كَأَنَّهُمْ بَنِيَانٍ مَرْصُوصٍ﴾ وقد نقل الشيخ الإمام أبو محمد عبد الحميد الصدفي المشهور بابن أبي الدنيا قال روى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال عبانا رسول الله صلي الله عليه وسلم يدر ليلًا وتعبيه هي تسوية الصفو وتقدمة العمل الصالح بين يدي القتال من الإمام والناس من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليرجى به الظفر والنصر قال الله تعالى ﴿وَلَيُنَصَّرَنَّ الَّذِينَ مِنْ يَنْصُرِهِ﴾ ثم الادارة على العدو والخداع له من أسباب الظفر . أخرج مسلم بن الحجاج في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الحرب خدعة . وروى أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان إذا أراد غزواً ورى عنه بغierre . ومن الخدع في الحرب ما فعله رسول الله صلي الله عليه وسلم مع الأحزاب . روى أن رجلاً من المسلمين كان لا يكتم الحديث وكان مع المشركين عام الأحزاب وكان يأتي

النبي صلى الله عليه وسلم فقال يوماً للنبي صلى الله عليه وسلم إنّ بنى قريظة قد مالوا عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعنة أمرناهم بذلك فأتى الرجل أبو سفيان فقال هل علمت محمداً يقول ماليس هو قال لا قال فانه يقول في بنى قريظة لعنة أمرناهم بذلك قال سمعت فراسل إلى بنى قريظة قال نحن أن نعطيونا رهائن وافق ذلك أن كان ليلة السبت للقدر المقدور فقالوا نحن في السبت فإنقضى فعلنا فقال أبو سفيان نحن في مكر بنى قريظة فألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب وأرسل عليهم ريحًا وجندًا لم يروها ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال . وكانت هذه من الخدع التي خدعهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنه عن ابن أبي أوفى قال سمعته يعني النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على الأحزاب اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزهم وزلهم فهذا الدعاء ينبغي أن يدعى به عند ملاقاة العدو اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنه عن المطلب بن أبي صفرة عن سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (إن يأتكم العدو فقولوا حم لainصرون) ومنه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواوه أيض . ومنه عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (ابغوني في ضعفائكم فانما ترزقون وتنتصرون بضعفائكم) ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ابغوني في ضعفائكم أي اطلبوني أى أنه يكون معهم . ويفيد ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى (أنا مع المنكسرة قلوبهم من أجلي) فإذا كان الله معهم فهم منصرون ويريد بالضعفاء والله أعلم الذين لم يكن لهم ظهور في الدنيا ولا هم طالبون لها وهم زاهدون في دنياهم راغبون في آخرتهم طائعون لله تعالى ناصرون لدينه فهم منصرون . قال الله تعالى (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقال (وإله مع الصابرين) أي بالنصر والمعونة أى

مع الصابرين عن المشتريات من المحرمات والصابرين على الطاعات وجهاد الكفار فانه ناصرهم ومعينهم . روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لخالد بن الوليد حين بعثه لقتال أهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة . ووجه أبو مسلم قوما إلى الغزو فقال ألمروا قلوبكم الصبر فإنه سيف الظفر واذكروا كثرة الضغائن فانها تحبس على الاعدام والزموا الطاعة فانها حصن المحارب . ومن الحكمة قوة النفس في الحرب علامة الظفر . ومنها تفحم الحرب ينفع القلب . ومنها المزيمة تحمل العزيمة . ومنها الحيل أبلغ من العمل . ومنها الرأى السديد أجدى من الأيد الشديدة . ومنها شدة الصبر فاتحة النصر . وينبغى المشورة في القتال وفي كل أمر يعرض . وفي الترمذى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (مارأيت أحداً أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) الا أنه ينبغي مشورة من له عقل ودين وتجارب . من كلام الحكمة توق مشورة الجاهل . ومنها لاتشاور من تميل به رغبته أو رهبته . أخرج مسلم ابن الحجاج في صحيحه بالاسناد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) ومنه عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن يبرح هذا الدين قائمًا يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة) ومنه عن سعد ابن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) قال البخاري رضي الله عنه ورحمه هذه الطائفة هم أهل العلم وقال القاضي عياض هم أهل السنة والجماعة انتهى كلامه بلفظه . ثم نرجع إلى ذكر بعض فضيلة الجهاد . فمن ذلك ما نقدم من قوله تعالى (إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله يهقاتون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بهمده

من الله فاستبشروا بيعكم الذي بايتم به وذلك هو الفوز العظيم) قال الشيخ أبو محمد عبد الحميد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال جعل الله تعالى للمجاهدين في سبيله الصفتين جميعا . يانه قول الحسن رضى الله عنه أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومع ذلك أقول أيضا هو خالق فعل المجاهد في قدرته وعزمه على الجهاد في سبيله ورغبته فكل ذلك فضله ونعمته ومنتها فل كل من عند الله تبارك وتعالى يسدى على أيدينا الخير وينفع عن أيديه الجزاء وروى في معنى الآية أن الانصار رضى الله عنهم حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربني أن تعبدوه لا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فإذا فعلنا ذلك فالآن قال لكم الجنة قالوا رب اليع قالوا لانقيل ولا نستقيل . ومن برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي وهو يقر أن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية فقال الاعرابي كلام من قال كلام الله تعالى قال يع والله صريح لانقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو فاستشهد رحمه الله تعالى . فقوله تعالى وعدا عليه حقا قال هذا وعد مؤكدا أخبر الله تعالى أن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت وقد أثبته في التوراة والإنجيل كما أثبته في القرآن . وعن الجوهرى رحمه الله تعالى ناهيك من صفة البائع فيها رب العالمين والثمن جنة المأوى والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي ذلك قيل

أكرم بها صفة فالرب عاقدها على لسان رسول الله من مصر

أثمانها جنة ناهيك من نزل دار بها نعم تخفي عن البشر

أنواع مطعمها من كل شهوتنا شرابها عسل صاف من الكدر

من كل مالذة طابت مواردها وحورها درر تزهو على القمر

أني لها ثمن دنيا بها محن لم يصف مشربها يوماً لمعتبر
 ثم قال ومن أوفي بعهده من الله لأن اخلاق الوعد إنما يطرأ على البشر
 لأن أحد أمور أو بجموعها وذلك لدخل أو شح خرف الفقر أو مجدة الازدياد من
 الشهوات أولى بعجز أول نسيان وذهول أو غير ذلك من الآفات وكل ذلك محال
 على خالق الأرض والسموات . فهذه الآية إذا فهمت معانيها وحضرت بخلو
 القلب وشروط الاستماع لتاليها لاتطلب في الترغيب في الجهاد زيادة عليهما
 ولا انضمام شئ من المؤكّدات إليها وذكر بسته إلى مالك بن أنس في موطنها
 عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر عن صلاة ولا صيام
 حتى يرجع) وقال الله تعالى (وain قاتلتم في سبيل الله أو متم لغفرة من الله ورحمة
 خير ما يجمعون) فهذا وعد من الله سبحانه مؤكّد بالقسم اذا أن القتل في
 سبيله أو الموت مقترن بما المغفرة والرحمة وخبره تعالى ووعده حق وتأكيده
 بالقسم للترغيب في الجهاد وتحقيق لفضلاته في قلوب العباد . أخرج مسلم في صحيحه
 بسانده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تضمن الله من
 خرج في سبيله لا يخرج له الا جهادا في سبيل واما أنا بي وتصديقا برسولي فهو
 على ضامن أن أدخله الجنة إن مات أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا
 ماناً من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد يده ما من كلام يكلم في سبيل الله
 إلا جاء يوم القيمة كينته حين كلام لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي
 نفس محمد يده لو لا أن أشقا على المسلمين ما قدّمت خلف سرية تغزو في
 سبيل الله أبداً ولكن لأجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيشق عليهم أن
 يتخلّفوا عنى والذي نفس محمد يده لو ددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل
 ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) قوله صلى الله عليه وسلم لا يخرج له الا جهادا في

سيلى وايقاننا بـه وتصديقاً برسولى فى هذا حض على النية وتخلصها من الشوائب الدنيوية والمؤمر به من النية أن تكون كلمة الله هي العليا وهي الشهادتان وعلى المستمسك بهما من أهل الإيمان لأن الكفر اذا علا بالضرورة تكون الشهادتان وشريعة الإسلام السفلى فيقصد بالخروج من بيته هذا مخلصاً وبيع نفسه من الله تعالى بالجنة التي وعدها في القرآن أو بمجموع الأمرين ابتغاء الجنة وعلى الكلمتين فإذا صحي قصده نال من الله ما وعده . قوله فهو على ضامن قيل معناه مضمون . قوله أوأرجوه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ماناً من أجر أو غنيمة أو بمعنى الواو ورواه أبو داود من أجر غنيمة . والكلم الجرح وباستناده إلى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيمة وجراحته يشعب)^(١) دما اللون لون الدم والريح ريح المسك) في هذا تنبية على النية . ومنه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الغدوة في سبيل الله أو رحمة خير من الدنيا وما فيها) وفي حديث أبي أيوب خير مما طلعت عليه الشمس . الغدوة بفتح العين السير إلى الزوال مرة واحدة والروحة السير من الزوال إلى الغروب مرة واحدة . فالمعنى أن ثواب هذه الغدوة والروحة الواحدة وفضلها ونعيتها على قلتها ويساراتها وخفتها خير من نعيم الدنيا كله على كثريتها فإن نعم الدنيا زائلة فانية ونعم الآخرة دائمة باقية أو المعنى أن الدنيا لون لها ملك بأسرها وأنفقها ثواب الآخرة وأجرها لكان جزاء هذه الغدوة والروحة أكثر وفضلها أعظم وأكبر . ومن صحيح مسلم متصلًا عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يا أبا سعيد من رضي بالله رباؤ بالاسلام دينا وبمحمد نبياً وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد فقال أعد لها على يا رسول الله ففعل

(١) يشعب بفتح الياء والعين المهملة بينهما مثلثة ساكنة معناه يسيل

ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله (الدرجات المنازل في الجنة بعضها فوق بعض على ما ورد به القرآن والسنة قال تعالى {لَكُنَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفَةٌ فَوْقَ أَغْرَفَ مَبْيَنَةٍ} ومنه عن النعمان بن بشير قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسوق الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أحمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله تعالى أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت لاستفتية فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل {أَجَعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامَ كَمْ أَمْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوْنَ عَنْهُ} الآية وعن أبي سعيد الخدري (أن رجلاً سأله النبي صلى الله عليه وسلم فقال أى الناس أفضل فقال رجل يجاهد في سبيل الله بما له ونفسه قال ثم من قال مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره) ومنه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من خير معاشر الناس لهم رجل مسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كاساً سمع هيبة أو فزعه طار عليه يتغنى القتل والموت مظانه أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطنه واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويتوقي الزكاة يعذر به حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا فخير) فظهور هذا الحديث فضل الجهاد وشرفه والمواظبة عليه وأن لاكتساب منه خير كسب إذا خمس المغنم ولم يستأثر على الغازين بشيء إلا ما اضطرورة داعية إليه مثل الطعام والشراب وشبههما هو مقرر في السنن المأثورة والكتاب العزيز والهيبة

الصوت المفزع . والطيران هو اغاثة المستغيث بأهلي المكن في الفعل المسرع والشعر رئيس الحال . وفيه حض على الانزواء عن الناس والاعتزال لباقي الحالات من آفات القيل والقال وهذا الانزواء والاعتزال إنما يحمد اذا لم يتوجه فرض الجهاد والقتال أو فرض من الفروض على حسب الاحوال . ومنه عن أبي بكر ابن عبد الله بن قيس عن أبيه قال سمعت أبي وهو بحضور العدو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان أبواب الجنة تحت ظلال السيف فقام رجل رث الهيئة فقال يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا قال نعم قال فرجع إلى أصحابه فقال أفرأ عليكم السلام ثم كسر سيفه وألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل) قال القاضي عياض رحمه الله يعني أن الجهاد وحضور المعارك سبب لدخولها ومقرب إليها ويظهر والله أعلم أن مكان المعركة وجلاد الكفار منه تنقل روح الشهيد حين الشهادة، وتدخل الجنة كما جاء في القرآن وصحح الأخبار . ومن صحيح مسلم ابن الحجاج عن ثابت قال قال أنس عمى الذي سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا قال فشق عليه قال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبت عنه ولئن أشهدني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فهاب أن يقول غيرها قال فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا قال واستقبله سعد بن معاذ فقال له أنس يا أبا عمرو أين قال واهاراً لريح الجنة أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل قال فوجد في جسده بعض وثمانون مائين ضربة وطعنة ورمية قال وقالت أخته عمتي الريبع بنت النضر فما عرفت أخي الإينانه وزلت هذه الآية (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه ومنهم من يتذكر وما بدلوا تبديلا) قال فكانوا يرون أنها زلت فيه وفي أصحابه قوله واهاراً لريح الجنة كلها تلحف وتحنين وتشوق إلى الجنة وتمن لاجرم لما صدق أعطى

سُؤلَهُ وَبَلَغَ مَا تَمَنَّى مَأْمُولَهُ وَأُوجِدَهُ اللَّهُ رَبِّ الْجَنَّةَ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ أَنَّهَا
تَوَجَّدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسَائِنَ سَنَةٍ وَذَلِكَ تَشْرِيفٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَهْلِ السَّعَادَةِ
وَتَكْرِيمٌ لِمَنْ كَتَبَتْ لَهُ الشَّهَادَةِ . وَمِنْ مَسْنَدِ النَّسَائِيِّ عَنْ فَضَّالَةَ بْنِ عَبْدِ قَالَ سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (أَنَا زَعِيمُ الْزَّاعِيمِ الْحَمِيلُ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ
وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُبَيِّنُ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَيُبَيِّنُ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ وَيُبَيِّنُ فِي أَعْلَى
غُرَفِ الْجَنَّةِ مِنْ فَعْلِ ذَلِكِ لِمَ يَدْعُ لِلْخَيْرِ مُطَلِّبًا وَلَا مِنْ الشَّرِّ مُهْرَبًا يَمُوتُ حِيثُ يَمُوتُ)
وَمِنْ مَسْنَدِ أَبِي دَاوُدْ عَنْ أَبِي أُمَّةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ إِنَّنِي لَيْ فِي السِّيَاحَةِ
قَالَ إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَمِنْ التَّرْمِذِيِّ عَنْ خَرِيمَ بْنِ فَاتِكَ قَالَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ أَنْفَقَ نَفْقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَتَبَتْ لَهُ سَبْعَائِنَةَ
ضَعْفٍ) وَمِنْهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجَهْنَمِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ
جَهَرَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَرَّا وَمَنْ خَافَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ فَقَدْ غَرَّا) وَمِنْهُ عَنْ
بَيْزِيدِ بْنِ أَبِي مَرِيمٍ قَالَ لِحَقْنَى عَبَيْةَ بْنَ رَفَعَةَ بْنَ رَافِعٍ وَأَنَا مَاشٌ إِلَى الْجَمَعَةِ فَقَالَ
أَبْشِرْ فَإِنَّ خَطَابًا هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَمِعْتُ أَبَا عَبْسَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ (مَنْ اغْبَرَتْ قَدْمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَا حَرَامٌ عَلَى النَّارِ) اتَّهَى كَلَامُ الصَّدْفِ رَحْمَةُ اللَّهِ
قَالَ التَّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ أَبُو عَبْسٍ هَذَا اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَبَرٍ وَبَيْزِيدُ بْنُ أَبِي
مَرِيمٍ هُوَ رَجُلٌ شَامِيٌّ رَوَى عَنْهُ الْمَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ وَيَحِيَّ بْنُ حَمْزَةَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ . ثُمَّ
قَالَ الصَّدْفِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَمِنْهُ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(لَا يَلْجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنَ فِي الْفَرَعِ وَلَا يَجْتَمِعُ غَبَرَفِي
(سَبِيلُ اللَّهِ وَدَخَانُ جَهَنَّمِ))

فصل في الرمي وفضيلته

آخر الترمذى وأبوداود والنمسائى عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاث نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرای به ومنبله) وفي الترمذى (كل مايله به الرجل المسلم باطل الارميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهلها) ومن مسند الترمذى عن أبي نجحيف الأسلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محمر) وروى البخارى عن سلبة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر يتضلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ارموا بني اسماعيل فان أباكم كان راما وأنا مع بني فلان قال فأمسك أحد الفريقيين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم لاتزمون قالوا كيف نرمى وأنت معهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم) ومن صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول (ستفتح عليكم أرضون ويكيفكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهم بأسمه) ومنه عن عبد الرحمن بن شناسة أن نعيما اللخمي قال لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه فقيل لابن شناسة وماذا قال انه قال (من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى) وقوله صلى الله عليه وسلم فليس من أى ليس متبينا لنا ولا مهتم بما بهدinya تارك الرمي . وكتب عمر رضى الله عنه لأهل حمص علىوا أولادكم السباحة والرمادية والفروسية والاحتفاء بين الأغراض وقال احتفوا وتبجردوا واخشوشنوا وتمعددوا^(١) واقطعوا الركب وازروا على الخيل نـوا وارموا الأغراض واياكم ولباس العجم البسووا الأزر

(١) قوله وتمعددوا اقيل أنه من التشبه بعيش معد وكانوا أهل شظف وغاظ في العيش يقول كونوا مثلكم ودعوا التعمّم وزى العجم كا هو في حديث (عليكم باللبسة المعدية) وقيل انه من قولهم للغلام اذا شب وغاظ قد تمعدد

والأردية وألقوا السراويلات واستقبلا حر الشمس بوجوهكم فانها شامات
العرب واطرحو الخفاف والبسوا النعال

فصل في الرباط وفضله وذكر الخيل وفضله

أخرج البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد أنه قال (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها والروحه يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها) وروى الترمذى عن فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كل ميت يختتم على عمله الا الذي يموت مرابطًا في سبيل الله فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيمة ويأمن من فتنة القبر) أخرج مالك في موطنه وغيره عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الخيل لرجل أجر ولرجل ست وعلي رجل وزر فاما الذي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة فا أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسناً ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرقاً أو شرقين كانت آثارها وأروايتها حسناً له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسوق به كان ذلك له حسناً فهي له أجر ورجل ربطها تعينا وتعفنا ولم ينس حق الله في رقاها ولا ظهورها فهي لذلك ست ورجل ربطها خيراً ورياء ونواه لأهل الإسلام فهي على ذلك وزر) ومنه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الخيل في نواصيها الحير إلى يوم القيمة) ومنه عن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى يمسح وجه فرسه برداءه فسئل عن ذلك فقال (إني عوتبت الليلة في الخيل) وروى العتبى عن مالك أنه سأله بعض أهل ثغر الإسكندرية هل الرجوع لغيرهم والكون فيه للحرس وسده أفضل

أم المقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأذكي التحيات لطاب العلم أفضل فرجح لهم الرجوع الى الاسكندرية والكون فيها على ذلك . وروى عن ابن عمر أنه كان يقول الحرس أفضل من الغزو لأن الحرس فيه حفظ دماء المسلمين والغزو فيه ارقة دماء المشركين حفظ دماء المسلمين أولى . أخرج الترمذى في صحيحه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (عيان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله) ومن الترمذى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلة) ومنه عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول أني كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهة نفوركم عن ثم بدالي أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما يبدله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيها سواه من المنازل) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح . ومنه عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ليس شيء أحب إلى الله عن وجل من قطرتين وأثران قطرة دموع من خشية الله تعالى و قطرة دم تهراق في سبيل الله تعالى وأما الأثران فأثر في سبيل الله تعالى وأثر في فريضة من فرائض الله تعالى) قال ابن حبيب الرباط شعبة من شعب الجهاد . وقيل من رابط فوق ناقة حرمه الله على النار قال ابن حبيب فوق ناقة قدر ما تخلب وقال غيره قدر ما بين الحلبتين . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال لحرس ليلة أحب إلى من صيام ألف يوم أصومها وأقوم ليلها في المسجد الحرام وعند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وعن مالك بن أنس رحمه الله تعالى ينبغي لكل قوم أن يرابطوا في ناحيتهم وأن يسكنوا سوا حلبيم الا أن يكون مكانا مخوفا يخاف فيه على العامة يريد فليذهب اليه . ومن الحرس

فضل الشهادة

في الثغور حفر الخنادق والاحتسب في حفرها مستعين في ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعه عليه الصلاة والسلام للحجر الذي أعيت الصحابة الحيلة في كسره . أخرج النسائي عن البراء بن عازب قال لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذ المعمول فاشتكيتنا بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقى ثوبه وأخذ المعمول وقال (بسم الله ثم ضرب ضربة فكسرت ثلث الصخرة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر الى قصرها الاخر الان من مكانى هذا قال ثم ضرب أخرى وقال بسم الله فقطع ثلثا آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لأبصر خضراء المدائن والى القصر الايض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمين والله انى لأبصر باب صنعاء من مكانى الساعة)

فصل في فضل الشهادة

أخرج مسلم في صحيحه عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية (ولا تحسين الدين قتلوا في سبيل الله أو ماتوا بل أحياه عند ربهم برزون) قال أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال (أرواهم في جوف طير خضر لها قاديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل) ومنه عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال (ما من أحد دخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وإن له بها ماعلي الأرض من شيء غير الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) وفي رواية لها يرى من فضل الشهادة . ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يجتمع كافر وقاتل في النار أبدا) ومن الموطأ عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه أنه قال الغزو غزوان فغزو وتفق فيه الكريمة وياسر

فيه الشريك ويطاع فيه ذو الأمر ويحتبب فيه الفساد فذلك الغزو خير كله وغزو لا تتفق فيه الكريمة ولا يأسر فيه الشريك ولا يطاع فيه ذو الأمر ولا يحتبب فيه الفساد فذلك الغزو لا يرجع صاحبه كفافاً . ومن صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلأ نبي الناس بذلك قال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألت الله تعالى فسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وفوقه عرش الرحمن) ومن صحيح الترمذى عن المقدام بن معد يكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لله شهد عند الله ست خصال يغفر الله له في أول قطرة تقطر من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوارق الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب . ومنه عن أبي هريرة قال مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عين من ماء عذب فأعجبته طيبتها فقال لو اعززت عن الناس فأقت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاتفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً لا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة (اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة) ومنه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متغافف وبعد أحسن عبادة الله تعالى ونصح لمواليه) ومنه عن أبي ادریس الخولاني أنه سمع

فضالة بن عبيدي يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيمة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال فأدرى أقلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبي صلى الله عليه وسلم قال ورجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فكان يضرب جلداته بشوك طاح من الجبن أنا هم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خاط عملا صالحا وآخر سيناً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة ورجل مؤمن أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة) وفضيلة الجهاد قد جاء فيها ماهو أكثر من هذا . ولكن ذلك متذر على المرء وحده اذلا بد فيه من جماعة وامام تعتقد كلتهم عليه ولا يخالغونه . وقد ذكر العلامة رحمة الله عليهم ذلك وشرطوا له شروطا وبينوا حال الامام وحال الجماعة التي تكون معه وصفة هدفهم وطريقتهم وأدابهم وما يتتجنبون فيه من المفاسد وهذا النوع كثير قل أن يحصر أعني ما أحدث فيه من المفاسد شرقا وغربا فمن أراد الجهاد فليتوقف حتى يسأل أهل العلم والنهي عما يجب عليه فيه وما ينذر له وما يحرم عليه أو يكره وما يتتجنب فيه من المفاسد فانها مختلفة بحسب اختلاف الاقاليم والائمة والجماعات والعصر فلا يمكن الكلام على معنى من معانيها الكثيرة واختلاف الأحوال والازمان فالسؤال يتبين له ما يصلح به فان رأى أنه لا بد من خلل يرتكبه بسبب جهاده فالترك له أولى اللهم الا أن يتبعين الجهاد فلا سؤال اذ ذاك لأنه لا ينتظر فيه اذن الامام ولا حضور الجماعة ولا اذن الوالد ولا اذن الوالدة ولا اذن السيد اذ أن النفي واجب متبعين على كل من كانت له قدرة بوجه ما ثم الأصل الذي يعول عليه في جهاده ويعتقد النصر من جهة هو التعلق بمحاب أولياء الله تعالى والرجوع إليهم والصدور عن رأيهم . ألا ترى الى ما حكى

عن عبد الملك بن مروان لما أتى خرج بعض غرواته قال انظروا إلى محمد بن الحنفية فذهبوا إليه ثم رجعوا فقالوا وجدناه في المسجد يصلى فقال أذهبوا فقد نصرنا سبابته في القبلة عندئ خير من كذا وكذا ألف فارس فضوا ما كانوا بسبيله فنصر وأوغمو وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام (ابغوني في ضعفائكم) ومع ذلك فلا ينبغي أن يتمنى المرء لقاء العدو امثالاً لسنة قوله صلى الله عليه وسلم (لاتمنوا لقاء العدو واسألو الله العافية فإذا لقيتموه فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيف) خرج البخاري وغيره فشأن المكافف امثال الأدب بترك الدعاوى وغيرها حتى اذا تعين عليه الأمر استعان بربه تعالى وامثل أمره مبتغا بذلك مرضاته وما وعد عليه من جزيل الثواب لفاعله وهذا عام في كل الأحوال دقيقها وجليلها فليكن المرء متيقظاً لها فإنه يخشى يوم القيمة على مماته عليه والجهاد مظنة الموت غالباً . الاترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام واعلماً أن الجنة تحت ظلال السيف . قال علماؤنا رحمة الله عليهم معناه أن روح المؤمن تنقل من ذلك الموضع إلى الجنة والتعلق بالله تعالى هو الأصل لهذا الأصل المتقدم ذكره وإنما هي أسباب وبقى الأمر إلى الله تعالى ماشاء فعل فهو عز وجل القادر على النصر بسبب وغير سبب . الاترى إلى قوله تعالى (ومارميت أذريت ولكن الله رمى) ففي الرمي عن نبيه عليه الصلاة والسلام أو لا بقوله وما رميت ثم أثبتته بقوله أذريت فإنه عز وجل جمع لنبيه عليه الصلاة والسلام في ذلك بين الحقيقة والشريعة . أما الشريعة فلذلك عليه الصلاة والسلام أخذ كفا من تراب يده الكريمة ورمى به في وجوههم وقال شاهت الوجوه . وأما الحقيقة فلوصول ذلك التراب لعين كل واحد من العدو حتى أنه لم يقدر أحد منهم أن يفتح عينه لله بالتراب وهذا شيء يعجز البشر عنه وكذلك كانت أفعاله عليه الصلاة والسلام لابد فيها من امثال الحكمة ثم يظهر

الله سبحانه قدر نعيانا للخلق على يديه صلى الله عليه وسلم . ألا ترى إلى ما جاء في نبع الماء من بين أصابعه الكريمة فإنه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ولم يمدد يده دون ماء بل امثأله الحكمة بوضع يده الكريمة في آناء فيه ماء ثم أمرهم أن يسقوا ويسربوا ويماؤوا والماء يتفجر من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام من غير نقص من ذلك الماء . ومن ذلك أمره عليه الصلاة والسلام بجمع ما بقي مع أصحابه من الأزواب حين فتحت قسمت وبارك فيها فأكل الجميع منها حتى شبعوا ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في قصة جابر بن عبد الله رضي الله عنه في الداجن الذي ذبحه والعجبن الذي خبزه وكونه عليه الصلاة والسلام بصدق فيما وبارك ثم أذن لعشرة في الأكل ثم عشرة من بعدهم من كان يعمل في الخندق حتى أكل الجميع وشعروا كانوا ألفا والبرمة تفورة كا هي والعجبن يخبن كا هو . ومن ذلك خروجه عليه الصلاة والسلام إلى الجهاد فإنه كان يعتد بذلك بجمع أصحابه وباتخاذ الخيال والسلاح وما يحتاجون إليه من آلات الجهاد والسفر ثم إذا رجع عليه الصلاة والسلام تخلى من ذلك ورد الأمر كله لمولاه عزوجل لا لغيره بقوله (آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده) فانظر رحنا الله واياك إلى قوله عليه الصلاة والسلام وهزم الأحزاب وحده فتنى عليه الصلاة والسلام ما تقدم ذكره وهذا هو معنى الحقيقة لأن الإنسان وفعله خلق لربه عزوجل فهو سبحانه وتعالى الذي خلق وذر وأuan وأجرى الأمور على يدمن شاء واختار من خلقه بكل منه وكل إليه راجع . ولو شاء الله عزوجل أن يزيد أهل الكفر من غير قتال لفعل وقد نطق به القرآن العزيز قال سبحانه وتعالى (ذلك ولو شاء الله لاتصر منهم ولكن ليلاو بعضكم ببعض) فيثيب سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين وقال تعالى (ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) فعلى

المكلف الامثال في الحالين أعني في امثال الحكمة والرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والسكون اليه والنزول بساحة كرمه (أمن يحب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويحمكم خلفاء الأرض) الى غير ذلك مما جاء في هذا المعنى وهو كثير فتجده عليه الصلاة والسلام في كل ذلك يهتئ الحكمة أو لا تأديا مع الروبية وتشريعا لأمته ثم يظهر الله تعالى على يديه قدرته الغامضة المخبأة التي ادخلها عليه الصلاة والسلام . وما جرى له عليه الصلاة والسلام مما تقدم ذكره فهو جار لأمته ببركة اتباعه صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما قد وقع مثل هذا كثثير القليل وقلب الأعيان والمشي على الماء والطيران في الهواء وما أشبه ذلك مما هو معروف مشهور يقطع العذر ويوجب القطع بوجوده . وقد قال علماً علينا رحمة الله عليهم كل كرامة ظهرت لولي فهى معجزة لنبيه عليه الصلاة والسلام اذ أنه ما حصلت له تلك الكرامة الا ببركة اتباعه عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذي بقيت هذه البركات في هذه الأمة لاتنقطع وكيف لا والله تعالى يقول في كتابه العزيز (كتم خير أمة أخرى جلت الناس) وقال عليه الصلاة والسلام (لاتزال طائفة من هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) وهذا عام فيما نحن بسيله وفي غيره

(فصل) وينبغي للمجاهد أن لا يقاتل بنية ارقة دماء الكفار ليس الا بل يجاهد في سبيل الله لما تقدم ذكره من نية اعلاء كلمة التوحيد واظهارها واحمد كلمة الكفر وابطالها . وينبغي للمجاهدين اذا كانوا مع الامام أو في سرية وأدربوا بلاد العدو أنهم اذا صلوا الخنس يرفعون أصواتهم بالذكر ليرهبوا العدو بذلك وليقتدوا فيه بالسلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين وفعل ذلك في غير هذه الحال على هذه الصفة بدعة . وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية والله الموفق والناصر والهادي لارب سواه ولا مرجو الا اياه

فصل في آداب الفقير المنقطع التارك للأسباب

وكيفية نيته وهدية

قد تقدم أن الجهاد ينقسم على قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر . وقد تقدم الكلام على الجهاد الأصغر وبقى الكلام على الجهاد الأكبر وهو عام في كل الناس إلا أن الفقير أحوج الناس إليه إذ أنه خلف الدنيا ورأ ظهره وأقبل على آخرته لشغله بربه واقباله على اصلاح نفسه وتنظيفها من الغير فكل قلب فيه غير الله تعالى كان في حيز المتروك المطروح وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجل والمخاطبة في سره بما يليق به حاله . وهذا مقام لا يعرفه إلا أنه المختصون به . وإذا كان ذلك كذلك فيحتاج المريد إلى مجاهدة عظيمة لكي يصفو قلبه ويتجهز لتحصيل الفوائد الربانية لعله أن يظفر بها أو بشيء منها فيحصل بذلك في جملة السابقين وقاعدة الفقير أبدا لا يزال في جهاد . فأول جهاده جهاد الشيطان ثم جهاد نفسه . وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم إن الجهاد ينقسم على أربعه أقسام جهاد بالقلب وجهاد باللسان وجهاد باليد وجهاد بالسيف . وقد تقدم الكلام على الجهاد بالسيف وبقى الكلام هنا على باقي أقسام الجهاد . فالجهاد بالقلب جهاد الشيطان وجهاد النفس عن الشهوات والمحرمات . قال الله تعالى ﴿ ونَهَى النَّفْسُ عَنِ الْمُهْوِي فَإِنَّ جَنَّةً هِيَ الْمَأْوَى ﴾ وجihad اللسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ومن ذلك ما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام به من جهاد المنافقين لأنه عز وجل قال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْتَظُ عَلَيْهِمْ وَمَا وَاهِمْ جَهَنَّمْ وَبَئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ فجاهد صلبي الله عليه وسلم الكفار بالسيف وجهاد

المنافقين باللسان لأن الله عز وجل نهَا أن يعمل بعلمه فيهم فيقِيم الحدود عليهم وكذلك جهاده صلى الله عليه وسلم المشركين قبل أن يؤمر بقتالهم بالقول خاصة وجهاد اليد زجر ذوى الأمر أهل المناكر عن المنكر والباطل والمعاصي والمحرمات وعن تعطيل الفرائض الواجبات بالادب والضرب على ما يؤدى إليه الاجتهد في ذلك . ومن ذلك اقامتهم الحدود على القذفة والزناة وشربة الخمر ثم أول ما يحتاج اليه في مجاهدته الزهد في الدنيا لأن محبتها والعمل على تحصيلها مع وجود شغف القلب بها يعمى عن أمور الآخرة ويطمس القلب ويكثر فيه الوساوس والتزغات لأن الشيطان وجد السبيل إلى ذلك بسبب ما شغف قلبه بما تقدم لأنها رأس كل خطية . وقد مر عيسى عليه الصلاة والسلام برجل نائم في السحر فوكره وقال له يا عبد الله قم فقد سبقك العابدون فقال ياروح الله دعنى فقد عبديتك بأحب العبادات اليه قال له عيسى عليه الصلاة والسلام وما ذلك قال بالزهد في الدنيا قال له عيسى نم نومة العروس في خدرها انتهى ثم ان الزهد لا يقتصر فيه على الزهد في الدنيا ليس الا بل هو عامق كل الحركات والسكنات وضابطه أن كل حركة وسكون ونفس الى غير ذلك ينظر فيه فما كان لله تعالى فليمضه وما كان لنغيره فليدعه . وقد قالوا الزهد في فضول الكلام أفضل من الزهد في غيره يشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام جواباً لاصحابه رضى الله عنهم لما أثروا على رجل قد مات فقال عليه الصلاة والسلام وما يدرىكم لعله كان يتكلم فيها لا يعنيه أو كما قال عليه الصلاة والسلام . وقد قال الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن الصقلبي رحمه الله تعالى أقل فائدة في السكوت تسبيح الاعضاء انتهى . فإذا كانت هذه أقل فوائد فما بالك بما هو أكبر منه ولو لم يكن فيه الا إسلامة من عثرات اللسان لكان غنية عظيمة . وقد تقدم في أول الكتاب أن الاعضاء تصبح في كل يوم تناشد اللسان أن يسلّمها من آفاته

لأنه اذا عطى لم يعط وحده بل تعطى كل الأعضاء بسيمه . وقد ورد أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فوجده ممسكاً لسانه فقال له عمر رضي الله عنه ما هذا قال هذا الذي أوردني الموارد فإذا كان الصديق رضي الله عنه يقول مثل هذه المقالة فما بالك بغيره . وإذا كان ذلك كذلك فليشعر الفقير إلى سلوك هذه المفازة ليقطعها فإنها عقبة كثيرة لا يجاوزها إلا المشرون أعاد الله علينا من بركاتهم . ثم إن الزهد في الرياسة أعظم من الزهد في كل ماتقدم ذكره لأن النفس والمال ينفقان في الرياسة والرياسة لا تتفق فيما فالزهد فيها متعين . ثم لا يظن ظان أن الرياسة أنها هي في رتب الدنيا ليس الإبل هي عامة في رتب الدنيا والآخرة فمن كان عند نفسه شيء فهو عند الله لا شيء ومن كان عند نفسه لا شيء فهو عند ربه شيء ولاجل هذا المعنى قال بعض الشيوخ نفعنا الله تعالى به من رأى أنه خير من الكلب فالكلب خير منه وما قاله بين الآيات أن الكلب مقطوع له بأنه لا يدخل النار بخلاف من لم يقطع له من الأدميين فإنه محتمل لأحدى الدارين فإن كان هذا الأدمي من أهل النار والعياذ بالله فالكلب خير منه وإن كان من أهل الجنة فلا شك أنه خير من الكلب . ولاجل هذا المعنى حكى عن إبراهيم بن أدم رحمه الله وأعاد علينا من بركاته أنه كان جائعاً ووجد فضلة طعام على مزبلة فجعل يأكل منه وإذا بكلب قد جاء فأكل من الناحية الأخرى ثم نجح الكلب على إبراهيم فقال إبراهيم لاتنجح على ولا أنجح عليك كل من جهتك وأنا أكل من جهتي إن دخلت أنا الجنة فأنا خير منك وإن دخلت النار فأنت خير مني تصريحًا منه رحمه الله تعالى بالمعنى المتقدم ذكره . وقد قال الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن الصقلاني رحمه الله تعالى إن كانت نفسك في هذه الأرض فسرك في سماء الدنيا فإن نزلت إلى الأرض الثانية فسرك في السماء الثانية فإن نزلت إلى الأرض الثالثة فسرك في السماء الثالثة فإن

نزلت الى الارض الرابعة فerrick في السماه الرابعة فان نزلت الى الارض الخامسة فerrick في السماه الخامسة فان نزلت الى الارض السادسة فerrick في السماه السادسة فان نزلت الى الارض السابعة فerrick في السماه السابعة فان نزلت عن الارض السابعة الى ظهر الثور الذى عليه قرار الأرضين فerrick ناظر الى العرش اتهى فقرر رحمة الله أنه بسبب التواضع وعلى قدر نزول النفس يسمو أمره ويعلو قدره فمن أراد الفوز فليعمل على اشارته يحظ بالسلامة . وأعني بالزهد في مراتب الآخرة أنه يعبد الله تعالى لوجهه الكريم لا لاعرض قال الله تعالى ﴿يَرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وصاحب هذا الحال يرى نفسه أنها ليست أهلًا شيء لاستحقاقه نفسه وترك النظر إليها وصغارتها عنده لعظيم ماهي فيه من الخطير . وقد روى أنه كان فيبني إسرائيل ربجل عبد مجتهد وكانوا يفضلونه على أنفسهم أعني من كان في وقه من العباد فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن قل لفلان يعبدني ماشاء فهو من أهل النار فأصبح موسى عليه الصلاة والسلام فأخبربني إسرائيل بذلك فتعجبوا وقالوا ليس فينا أحد مثله في العبادة والخير فيما هم كذلك وإذا بالرجل قد أتي فسلم وجلس فأخبره موسى عليه الصلاة والسلام بما قد وقع فقال أهلا بقضاء ربى وممضى لسيله فلما جن الليل تطمر وصل ركعتين وقال اللهم أنت أعبدك ولست عند نفسى أهلا لشيء والآن قد منت على وجهتني أهلا لنارك فوعزتك لازال هذا مقامى بين يديك شكرًا لك على هذه النعمة حتى ألقاك فلما أصبح من الغد جاء إلى موسى عليه الصلاة والسلام فقال له موسى عليه الصلاة والسلام إن الله قد أوحى إلى أن قل لفلان يفعل مايشاء فهو من أهل الجنة لازدرائه بنفسه . وقد حكى أن إبراهيم بن أدهم رحمة الله وفعى به عذله بعض الناس في كربلا لم يجلس إليهم ويحدثهم حتى يأخذوا عنه العلم لأنه رحمة الله من أفضل العلماء والمحدثين فقال شغلنى أربع لو فرغت منها جلست اليكم

وحدثكم فقالوا له وما هي ف قال افتكرت في نزول الملك لتصويري في الرحم
وندانه يارب أشقي أم سعيد فا أعرف كيف خرج جوابي الثانية أني افتكرت في
نزول ملك الموت لقبض روحي وندانه يارب أقبضه على الاسلام أم على الكفر
فا أعرف كيف خرج جوابي الثالثة أني افتكرت في قوله تعالى (وامتنعوا اليوم
أيها المجرمون) فا أعرف في أي الفريقين أمتاز الرابعة أني افتكرت في المنادي
الذى ينادى حين حصول أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بأهل الجنة
خلود لاموت فيها وياهل النار خلود لاموت فيها فا أعرف في أي الدارين
أكون اتهى . فن كان يتقلب بين هذه الاحوال كيف يقر له قرار أو يأوى الى
عمران وانما هي غفلات والمريد مبرأ من الغفلات متيقظ لما بين يديه من
الأمور القاطعات ناظر للناس نظر عموم يراهم هلك في رحمة و يستغفر لهم
قد شعر عن ساعده خوفا منه أن يلحقه ما يحق ما ذكرناه لولا الحق ما عررت
وطول الآمل في الانسان من أكبر الحق والمريد ناظر إلى زمانه وهو ينقسم
على ثلاثة أقسام ماض و مستقبل و حال فان نظر إلى الماضي فهو كندب الأطلال
بطالة لا تغنى ولا فائدة فيها وان نظر إلى المستقبل فالقدر ليس بيده والحياة
ليست بحكمه فلم يبق الا الانتظر في الحال والنظر في الحال هو مقالة بعض الشيوخ
رحمه الله تعالى الفقير ابن وقه . لأن الموت متوقع مع الحركات والسكنات
والانفاس فإذا خرج منه نفس فقد لا يرجع اليه وإذا رجع اليه فقد لا يخرج منه
وإذا كان ذلك كذلك فقد ارتفعت عنه الكلف والنظر في الملبس والقوت والمسكن
وغير ذلك من الضرورات البشرية اذ أن نفسا واحدا لا ثمن له ولا يعتبر أمره
في الاقامة في الدنيا اذ أن من صار حاله إلى ما تقدم ذكره وهو أن الموت نصب
عينيه فقد انقطعت فكرته و همومه و حسراته في كيفية موته على الاسلام وفي قبره
و وحشته و جوابه حين السؤال فيه وما بعده من الأهوال العظام فأى راجحة

تبقي من هذا حاله وفكته . حكى أن انسانا جاء بعض اخوانه ليزوره فوجده وحده وهو يتلفت يمينا وشمالا وخلفا وأماما فقال له الزائر من تلتفت فقال أنظر لملك الموت من أى ناحية يأتينى . وقد جاء بعضهم إلى شيخ له ليزوره وكان قد لقيه بعض أصحابه فعزم عليه فقال إن صائم فأعطيه سبع تمرات أو لوزات على أنه يفطر عليها فربط ذلك في طرف كستانه فلما دق الباب وخرج له شيخه ليسلم عليه قال له الشیخ ما هذا الذي في طرف كستانك فأخبره بما جرى . فقال له الشیخ وأنت تظن أنك تعيش إلى الغروب والله لا كلامك بعدها أبدا ولاجل هذا المعنى قال سیدی أبو مدين رحمه الله تعالى ونفع به عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا علیك اتهى . وهما ظاهر بين فن كان حاله على ماتقدم وصفه فلا راحة له دون لقاء ربه . وقد ورد في الحديث عن النبي صلی الله علیه وسلم بالنص الصريح على مانحن بسیله حيث قال علیه الصلاة والسلام (لراحة للمؤمن دون لقاء ربه) ومعنى ذلك والله تعالى أعلم أن المؤمن طالما هو في دار التکلیف لا يزال في مکابدات وأهوال وأخطار حتى يخرج منها فليقى ربه عز وجل فیرى ماله عنده من الكرامات فيینته تحصل له الراحة الحقيقة الدائمة التي لاما فنصال لها . وقد ذکر الشیخ الإمام القدوة الححق یمن بن مرزوق رحمه الله تعالى ونفع به في حال الفقیر وزهده ما هذا لفظه اعلم أن الناس في الزهد على طبقات فنهم آخذ وهو تارک ومنهم تارک وهو آخذ واما يحمد ويصح هذا الامر لمن ترك الدنيا وزهد فيها بعد قدرته عليها . ومن الناس من يكون مصليا ناما وآخر ناما مصليا ومفطرآ صاما وصاما مفطرآ وكاسيا عاري وعاري كاسيا واما ذلك كله على تصرف اراده القلب وتصحیح النیة وفساد اراده القلب وفساد النیة والسلامة من الكسب الخبیث والقول الخبیث وفي هذا کلام کثير الا ان

من صدق أبصر وتحقق ذلك . وينبغي للعالم بالشوبه أمره الله تعالى به ونهاه عنه أن يكون قد ملأ ثقله عظمة الله تعالى فاشتغل بالقيام بحقوق الله تعالى عن كل فضول الدنيا من الأكل والشرب واللباس والبيان والمركب والزواج والآباء لادوا الخدم وان كان فيهم من له الزوجة والولد وأشياء ما ذكر لم يأخذ ذلك على الرغبة ولم يشغله عن فهم وعد القرآن ووعيده واعلم أن القوم لما وصلوا إلی ما وصلوا اليه لم يغتروا بدار الغرور ولم تكن لهم رغبة الا خوف فوات ما شوق اليه وعد القرآن ووعيده من الخلود في دار النعيم أو دار الهوان (ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين) انمادعا إلی دار السلام من خلقها وزينها وجلاها نفض إليها المريد الغمرات شوقا إلى نعيمها وأجب الداعي الصادق الوف إلى ما وعد ودعاك إليه فإنه قد حذرك نفسك وهو لك وأنذرك حلول دار سخطه والتخلص من ذلك كله والوصول إلى نعم دار الخلود رفض المحبوب من اتباع الهوى فارفضه واجعل الموت ضجيوك والزهد قرينك والمجدسلاحك والصدق مرتكبك والاخلاص زادك والخوف من الله على مقدمتك والشوق إلى الجنة صاحب لوانك والمعرفة على ميمنتك واليقين على ميسرتك والثقة على ساقتك والصبر أمير جندك والرضا وزيرك والعلم مشيرك والتوكيل درعك والشكر خليلك ثم انفر إلى عدوك وصافقه بجميع ما ذكرت لك وطب نفسك عن دار الهموم والاحزان إلى دار البقاء والسرور مع الخيرات الحسان والله المستعان والحمد لله رب العالمين

(فصل) ثم قال رحمه الله فلينظر العبد إلى الله تعالى في كل أمره فإنه من نظر إلى نفسه أو إلى أحد من المخلوقين بأمل رجاء منفعته كان عزو با اقلبه عن الله وكان منقوصا عن منزلة الواثقين المؤيدين . وقد قال الله عزوجل لداود عليه السلام (يا داود اني قد آليت على نفسي أن لا أثيب عبدا من عبادي إلا

عبدًا قد علمت من طلبه ورادته والقاء كنفه بين يدي أنه لاغنى له عن وأنه لا يطمئن إلى نفسه بنظرها وفعاليها وكنته إليها أضعف الأشياء إلى فاني أنا مننت بها عليك) واعلم أن العباد إنما تفاوتوا وتبينوا باختيارهم نظر الله تعالى على اختيار أنفسهم زادهم ذلك سرعة وقرباً من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم وبالسهو عنه واختيارهم أنفسهم على نظر الله تعالى زادهم ذلك ببطأ وبعداً من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم فكن في نظرك إلى ربك ناظراً بأن الآتومل غير صنعه ولا ترجو غير معونته واثقاً باختياره فان ذلك أقرب وأسرع في معونته لك فان الذين قلدوا أمرهم ربهم ووثقوا به ولجوا إليه قد أماتوا من قلوبهم تدبر أنفسهم وجعلوا الامور عندم أسباباً مع قيامهم بها والمحافظة عليها فأولئك ذهبوا بصفو الدنيا والآخرة لسكنى قلوبهم إليه فوجدوا بذلك الروح والراحة فهم حماة الدين والعلماء بالله قد فاقوا على من سواهم باطمئنانهم به وسكنهم إليه فأوجب لهم صنعه وأقام قلوبهم على منهاجه فما تقلبا فيه من الأمر فعلى الرضا والطمأنينة ومن سواهم من الخلق في مؤنة وتعب من أنفسهم حيث اختاروها وتوكلوا عليها فأورثتهم لهم والغموم وأما أهل العبودية لله فهم الذين قلدوا أمرهم وخرجوا عن طباع العباد لما تبين لهم من خطأ من اختيار نفسه بفعلوا اختيارهم الرضا بما صير لهم إليه مولاهم من أمرهم فرالل غموم عن قلوبهم فأوجب لهم الصنع والتوفيق في أحواتهم وأورثهم الغنى والعز في قلوبهم وسد عنهم أبواب الحاجات إلى المخلوقين وأثنهم لطائف الله من حيث لا يحتسبون وقام لهم بما يكتفون به ونزعه أنفسهم عماسوى ذلك اكراماً لهم عن فضول الدنيا وظهوره لقلوبهم عن التشاغل بما أغناهم عنه فخصهم من كل دنس وأمشام في طرقات الدنيا طيبين موالين له فهم في السموات أشهر منهم في الأرض ولأصواتهم هناك دوى ونور يعرفون به ويحيون عليه وقد رفع أبصار قلوبهم

إليه فهى ناظرة اليه بذلك القلوب غير محجوبة عنه بلا ادراك منهم لصفة ولا صورة ولا أحد ولا احاطة منهم به سبحانه ولكن كيف شاء لهم ذلك فأحبهم وحيبهم إلى ملائكته وسائر خلقه وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ياداً ودقنفصل على عبادى أكتبك من أولياني وأحبانى وأباهاى بك حلة عرشي وأرفع الحجب بيني وبينك فتضرى إللى يصر قلبك لأححبك عن ذلك ما كنت مستمسكا بطاعتي﴾ وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال ﴿قل لأهل محبتي يشتعلوا بي فإذا علمت أن الغالب على قلوبهم الاشتغال والانقطاع إلى كان حقا على أن أرفع الحجب بيني وبينهم ينظرون إلى بأبصار قلوبهم فهم يتنعمون بذكرى قد أغناهم ذلك عن كل نعيم من نعيم الدنيا والآخرة﴾ فهؤلاء قد ملاه الله أسماعهم وأبصارهم وجوارحهم من حبه فأدبوا أنفسهم بالعبودية له والدخول في مجتبته وذلك أن تأديب الرجل نفسه في مطعمه ومشريه وملبسه يزيد في صلاح قلبه وتنقاد جوارحه لقلبه ويقوى عزمه ويقهر هواه فيقوم عند ذلك مقام أهل القوة إلى أن يرفعه الله إلى منزلة فوقها حتى يستوى عنده الأخذ والترك فلا يأسفوا على مفاسدهم ولا يفرحوا بما آتاهم للغنى الذي وقر في قلوبهم يزدادون له حبّة ومودة وشكرا له في العلم به والمعرفة به فعند ذلك رقت قلوبهم وانقادت أهواؤهم إلى ماقبل من الدنيا وكفى فهـ لاتطلع إلى غير ذلك ناظرين إلى ربهم في أمورهم كاـلا إلى الأسباب نظرهم من غير تفريط في إقامة الأسباب الحالـة من أعمال البر فإن لبسوا خشنا أولينا أو حسنا أو قبيحا أو أكلوا طيبا أو كرها أو حلوا أو مروا أو حامضا أو قليلا أو كثيرا لم يغير ذلك من قلوبهم عن الحال التي هي عليها من ذكر ربهم وتعظيمه وذلك أن قلوبهم عامة من ذكر الخالق وليس لشيء سواه في قلوبهم ثبوت إلا بالخاطر من غير أن يرسخ أو يثبت فلم يقم الناس مقاما أشرف من أن يعلقون

قلو بِرَبِّهِمْ وَلَا أُولَئِنَّمْ مِنْ ذَلِكَ لَأَنَّهُمْ أَشَدُ النَّاسِ مَحَافِظَةً عَلَى جَمْعِ هُمُومِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ وَجَمْعِ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِمْ رَبِّهِمْ إِنْ قَامُوا عَرَفُوا بَيْنَ يَدِيِّهِمْ قِيَامَهُ وَكَذَلِكَ إِنْ رَكِعُوا أَوْ سَجَدُوا أَوْ تَلَوُا الْقُرْآنَ أَوْ دَعَاوْهُمْ لَا تَعْزَبْ قَلُوبُهُمْ عَنْ ذَلِكَ . فِيهِ زَكْرُ أَعْمَالِهِمْ وَصَوْبَتْ عَقْوَلَهُمْ فَهُوَ يَتَعَااهِدُهُمْ بِلَطْفَهُ وَيَسُوسُهُمْ بِتَوْفِيقِهِ فَقُلْ عِنْدَ ذَلِكَ خَطْوَهُمْ وَكَثُرَ صَوَابُهُمْ فَإِنْ كَانَ يَرِيدُ الدُّخُولَ فِي مَحْبَةِ طَاعَةِ اللَّهِ فَلَا يَكُنْ لَهُ ثَقَةٌ إِلَّا إِنَّهُ لَا غَنِيَّ إِلَّا بِهِ وَلَا أَمْلَغَهُ غَيْرُهُ يَرْجُوهُ وَيَتَخَذُهُ وَكِيلًا فِي أَمْوَالِهِ كُلُّهَا رَاضِيَا بِقَضَائِهِ فِيَنْقَلِهِ إِلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِ رَاضِيَا بِاَخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُ مِنْهَا رَأْيِهِ وَلَا تَسُولُ لَهُ نَفْسُهُ مُسْلِمًا رَاضِيَا عَنِ اللَّهِ غَيْرَ مُتَجَبِّرٍ وَلَا مُتَمَلِّكٍ فِيَأُحَدِثُ اللَّهَ مِنْ مَرْضٍ أَوْ صَحَّةٍ أَوْ رَخَاءٍ أَوْ شَدَّةٍ مَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهُ وَلَا يَكُنْ قَلْبُهُ بِذَلِكَ رَاضِيَا لِمَوْضِعِ الثَّقَةِ بِرَبِّهِ وَحَسْنِ الظَّنِّ بِهِ . فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ كَذَلِكَ وَرَثَ اللَّهُ قَلْبَهُ لَهُ وَالشُّوْقُ إِلَيْهِ وَصَارَ إِلَى مَنْزَلَةِ الرِّضَا بِمَا كَفَاهُ وَحَمَاهُ مِنَ الدِّينِ وَإِنَّ قَلْ وَأَخْرَجَ مِنْ قَلْبِهِ مَطَامِعَ الْمَخْلُوقِينَ فَاسْتَغْنَى بِاللَّهِ بِفَعْلِهِ اللَّهُ مِنْ أَوْلَى الْأَلْبَابِ ثُمَّ أَهْمَمَهُ مَوْلَاهُ عَلَيْهِ مِنْ عَلَيْهِ فَرَفِفَهُ مَالٌ يَكُنْ يَعْرَفُهُ وَعَلَيْهِ مَالٌ يَكُنْ يَعْلَمُهُ فَعَنِ اللَّهِ أَخْذَ عَلَيْهِ وَبِأَمْرِ اللَّهِ جَلَ ذَكْرَهُ تَأْدِبُ فَطَهَرَتْ أَخْلَاقُهُ لِمَا آتَهُ اللَّهُ وَلَجَأَ إِلَيْهِ فَقَمَتْ عَلَيْهِ نِعْمَةُ اللَّهِ فِي الدِّينِ وَالْآخِرَةِ فَأَوْلَاتُكَ الْحَبُوبُونَ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ الْمَعْرُوفُونَ فِيهَا خَنِيْفُ أَمْرِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَظَهَرَ أَمْرُهُمْ لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ لِكَلَامِهِمْ هُنَّا كَدُوْيٌ وَلِبَكَانِهِمْ حَنِينٌ تَقْعَدُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ مِنْ سُرْعَةِ فَتْحِهَا إِجَابَةً لِدُعَائِهِمْ فَأَعْظَمَهُمْ عَنْهُ اللَّهُ جَاهَا وَمَنْزَلَةً وَأَعْظَمَهُمْ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَحَسْنَ ظَنِّهِ بِهِ فَهُمْ مُسْرُورُونَ بِرَبِّهِمْ قَرِيرَةُ أَعْيُنِهِمْ طَرْبَةُ قَلُوبِهِمْ بِذَكْرِهِ مُشْتَاقَةُ سَاكِنَةُ مَطْمَئْنَةٍ إِلَيْهِ قَدْ تَقْدِمُوا النَّاسُ وَانْقَطَعَ النَّاسُ عَنْهُمْ وَأَشْرَفُوا عَلَى النَّاسِ وَاشْتَغَلُ النَّاسُ عَنْهُمْ فَعَجَبُوا مِنَ النَّاسِ وَعَجَبَ النَّاسُ مِنْهُمْ انْقَطَعُوا إِلَى اللَّهِ بِهِمُومِهِمْ وَأَهْوَاهِهِمْ وَعَلَقُوا بِهِ قَلُوبِهِمْ وَلَجُوا إِلَى اللَّهِ لِجَأُوا الْمُسْتَغِيْثُونَ بِهِ الْمُتَوَلِّيْنَ عَلَيْهِ قَدْ تَخَلَّصَتِ إِلَيْهِ عَقْوَلَهُمْ بِالْمَوْدَةِ فَأَنْزَلُوا نِسِيَانَهُ

معصية يمرّة عليهم فقبلهم واجتباهم ونعمهم وخصهم وكفاهم وآواهم وعلّهم وعرفهم وأسمعهم وبصرهم وحجّهم عن الآفات وحجب الآفات عنهم وأقامهم مقام الطهارة وأنزلهم منازل السلامة وأقام قلوبهم بذلك فلم يردو بهم بدلاً ولا عنه حولاً صيانة لديه وطرباً واستيقاً إليه قد أذاقهم من حلاوة ذكره وألعهم من لذّة مناجاته وسقاهم بكأسه فهم والهون به ليس لهم مسكن غيره تضطرب قلوبهم عند فقده حتى ترجع إلى موضع حينها يختملون الأشياه ولا يختملون شيئاً من غير أمره ولم في كل يوم وليلة منه هدايا مجددة فتارة يغلب على قلوبهم تعظيم ربهم وجلاله وتارة يغلب على قلوبهم قدرته وسلطانه وتارة يغلب على قلوبهم آلاوه ونهاوه وتارة يغلب على قلوبهم تقصيرهم عن واجب حقه وتارة يغلب على قلوبهم رأقه ورحمته وتارة يصيرون إلى حينه ولم في كل تارة دمعة ولذة وفي كل دمعة ولذة فكرة وعبرة وقلوبهم في كل فكرة وعبرة محتاجة طربة هامّة لذكر الله مستقلّة به عما سواه فهم يسوقون من كل تارة مشرباً سائغاً يذيقهم لذته ولم في كل مقام علم زيادة يعرفهم ما يحدث لهم في قلوبهم من الزيادة فلورأيهم وقد انقطعت آمال الخلق عنهم وأفضوا إلى الله جل ذكره بجميع رغباتهم وانزاحت الأشياء الشاغلة عن قلوبهم فقسمت عنها أسماعهم وانصرفت أبصار قلوبهم إليه فلم يروا عما سواه حتى إذا جنهم الليل وزجرهم القرآن بعجائبها من وعده ووعيده وأخباره وأمثاله شربوا من كل نوع كأساً من الزجر والتحذير والأخبار والأمثال والوعد والوعيد ووجدوا حلاوة ما شربوا حتى إذا صفا يقيّفهم ارتفعوا إلى عظمة سيدهم وجلال مولائم خضع كل عضو منهم لله وخشع كل جارحة منهم لسكنها إليه غير منتشرة عليهم همومهم بل كل ذلك لذّة لاستماعه فقد كشف لهم القرآن عن أموره وكشف لهم عن عجائبه ودلهم على باطن عليه فيفهمونه فيسمون به إلى جلال سيدهم

و وقاره حتى اذا انقدت الانوار في قلوبهم وتمكن اليقين من أجوافهم وحنت القلوب لخنيها وضاقت عن احتمال ما هجم عليها هاج منهم مالا يملكون امساكه فلما بلغ الأمر منهم مداه وانتهى كل شيء منهم ممتهان قبل عليهم ربهم جل جلاله بالطأينة والسكون فلو لا حسن سياسه لهم ونظره ولطفه بهم مارجعت اليهم عقولهم ولا أثبتو معارفهم ولا سكروا منازلهم للذى هجم على أبصار قلوبهم من عظمة سيدهم فهم يزدادون له ذكرى ومودة ومحبة في كل ماتتحمبه من أمر الدنيا والآخرة فقد أعرضوا عن كل نعيم عاجل أو آجل واشتغلوا عن النعيم بذكر مولاهم وكل ذلك منه وتفضل عليهم فهم أدلاً لعباده وأعلام في بلاده وحجة له على خلقه وخلف الأنبياء ودائماً عليه فهم ينزل الغيث و بهم يصرف العذاب و بهم ينصر على العدو فهم بركة بين ظهرينا يحبون الله ويحبون ذكره أقاموا مشيتهم في وافق محنة ربهم يغضبون لغضبه ويحبون لمحبته فهو يسوهم بسياساته ويفهم ب توفيقه يأتياهم العون من الله تعالى في كل حال يرحمونخلق برحمته ربهم ويتولون فضله قد أزال عن قلوبهم المطامع وأسكنها الغنى فاكتفوا بما جزاهم وبلغوا بما بلغتهم فهم القاتلون الراهبون السائرون الراغبون المحبوون لله الذين فكروا في قدرته وعملوا في محنته حتى ورثوا الرهبة ثم ورثوا الرغبة ثم ورثوا الشوق ثم رفعهم إلى منزلة لم يكن لهم فيها رغبة ولم يكن لهم فيها غير ربهم همه غلت المحبة على قلوبهم واستولت على عقولهم وأهواهم فبنوا على ذلك أعمالهم وصيروا فيه جميع رغباتهم ثم رفعهم إلى مزيد فوائده فهم أولياء الله حقاً منهم المرسلون والنبيون والصديقون والشهداء والصالحون فاقوا أهل السماه وأهل الأرض لشدة حبهم لربهم فما أصابوا من الدنيا لم يصبوه على جهة ما يصبوه أهل الدنيا من التلذذ والطرب إليه والاشغال به والتفكك إنما يصبوه على موضع التقوية على عبادة ربهم ودوا لو أنهم أكلوا من الدنيا أكلة واحدة

تكون آخر زادهم منها لا كتفوا بما قل فاما أعطوا الله ذلك من قلوبهم ضيق
 أنعامهم وأسقط عنهم شهواتهم واكتفوا بيسير من الطعام فعند ذلك خفت
 عليهم مؤنة الدنيا فلم ينافسوا فيها أحدا فتلك حالاتهم في الطعام والملابس ماتهيا
 أكلوه وليس لهم تخيير ولا تلذذ في أخذها لاترك خوف الشهوات والاشغال
 عنهم فيه فأسكن الله في قلوبهم من معرفته ووجه ما أذاب كل مودة لأهل أو ولد
 أو مال فان عرض من ذلك في قلوبهم عارض خاطر من غير ثبوت فيها ورثوا
 نور المدى فأبصروا مواضع حيل ابليس ومكره فكسروا عليه كيده وليبسوا
 عليه أمره ودلوا الناس على مواضع مكره فهم نصائح الله في عباده وأمناؤه
 في بلاده ثم أسكن مجتهم في ملائكة السموات في عاليين فأحيهم وحيهم
 إلى ملائكته . فأحيوا قلوبكم أيها المریدون بالذكر وأميتوها بالخشية
 ونور وها بحب لقاء الله وفرحوها بالشوق إليه واقعوها بالمناخة . واعلموا
 أنكم بالمحبة ترتفعون بالمعرفة ترهبون وبالشوق ترغبون وبحسن النية تقهرون
 الموى و بترك الشهوات تصفو لكم أعمالكم وتؤثرن ربكم وحده حتى يؤثركم
 ملائكة السماء في عاليين فمن كان منكم مريدا للراحة فليعمل في منازل أهل
 محبة الله جل ذكره بعزم وارادة قوة وهي الدرجات السبع التي تتنقل فيها بنو
 آدم حتى يصيروا إلى المعرفة والعلم وهي الدرجات التي أرسل الله جل ذكره عليها
 الرسل ثم الأنبياء الذين لم يأتهم الوحي مع جبريل ولا غيره من الملائكة إنما
 يكون ذلك بالالهام من الله عز وجل والوائد وإنما ورث ذلك الأنبياء من
 المسلمين الذين خصهم الله برسالته ثم ورث ذلك بعد الأنبياء الصديقون فاقتدوا
 بهم وجدوا في آثارهم فإنه لم يحكم هذه الدرجات السبع إلا رسول أونبي أو
 صديق أو بدل من الأبدال الذين جعلهم الله أو تاد الأرض فسيق بهم الغيث
 وأنزل على العباد بدعائهم الرحمة وصرف عنهم بهم السوء فمن كان مريدا للعمل

في هذه الدرجات والاقتداء بالمرسلين والنبيين والصديقين في سيرهم فليرفطن
الدنيا من قلبه حتى لا يكون فيه منها علاقة تشغله عن ربه فانه من تعلق قلبه
بشيء منها شغله حتى تغلب عليه فليبدأ برفض الدنيا وطرحها من قلبه حتى لا تعدل
عنه قدر جناح بعوضة فانها عند الله عز ذكره بتلك المنزلة وأصغر
﴿فصل﴾ قال رحمه الله فأول ما يبدأ به ويتناول من الدرجات السبع
درجة المعرفة وهو أن يعرف ربها كما ينبغي له من حيث تعرف إليه ربها فقد
تعرف إلى خلقه بخلقها أيامه وتدبره فيهم وبصفتها بما وصف بها نفسه فانه
غفور رحيم لمن أناب إليه وطلب رضاه وأنه شديد العقاب لمن كذب به
وكم يكذب عليه وكذب رسلاه وعصاه . واعلم أن من لم يحكم أمر المعرفة لم يدرك
ما سواها من العلم والعمل ولا من الدرجات التي ذكرنا ولا تكون المعرفة حتى
تثبت في القلب باليقين الراسخ فإذا كان ذلك كذلك كانت الأعمال الصالحة
على قدر المعرفة فان قصر في المعرفة كان في العمل أشد تقصيراً وضعفاً لنيته
ولم يجد السبيل إلى بلوغ تلك الدرجات . ومن عرف الله علم أنه قائم على قلبه
بما كسب وأنه معه يراه وينظره في جميع أحواله فإذا علم أن ذلك كذلك لم يكن
شيء أحب إليه من رضاه ولقاءه ولا يبغض إليه من معصيته وبقاءه وإن أحب
البقاء في الدنيا لم يحبه إلا للعمل بطاعته . ولينظر المريد للمعرفة في أسماء الله
ويتذمّرها حتى يعرف بها ويدخل ذلك قلبه فإنه يورث قلبه بذلك العلم وهي
الدرجة الثانية . فإذا كان عالماً به علم أنه لا يقبل منه الإمام أمره به ونهاه عنه وعلم
أن ذلك عنده يتشطّه للعمل الصالح . ثم يورث قلبه بعد ذلك الخشية وهي
الدرجة الثالثة درجة التقوى لله لقول الله عز وجل ﴿أَنَّمَا يَخْشِيُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾
وهي مرآقبته في السر والعلانية . فإذا دخل في هذه الدرجة استقل كل ما يعمله
للله جل ذكره فعند ذلك لا يألو جهداً ولا اجتهداداً ولا ي怠ل . فإذا وصل العبد

إلى ذلك ودأب على عمله فيما يرضي ربه نظر الله إليه بالرحمة فعند ذلك يورث قلبه الحب له وهي الدرجة الرابعة . فإذا صار إلى هذه الدرجة آخر حب الله على جميع حب خلقه وأحب الله وحبيه إلى ملائكته الذين حول عرشه وإلى ملائكة السموات كلها وأهل الأرض ومن فيها وبسط حبه على الماء فلا يشربه أحد من جميع خلقه إلا أحبه ولا يزداد في عمله إلا جداً واجتهاه فورث قلبه بعد هذا الشوق إليه والحب للقائه وهي الدرجة الخامسة : فيكون هنا نزلة العاشق قد غلب على قلبه الذكر لله وشغل عن كثير من العمل ما خلا الفرائض واحتياط المحارم ويكون في ذلك الحال أقوى من كل عامل في الدنيا وأرفع منزلة لأنه لم يتفرغ قلبه من ذكر رب طرفة عين لأنها ولا قائمها ولا آكلها ولا شاربها والله لا ينسى من ذكره فلو تركه الله عز وجل على تلك الحال لذاب كايندوب الملح في الماء ولما انتفع بشيء من أمور الدنيا حتى يموت تشوقاً إلى الله إلا أنه إذا رأى الله على تلك الحال من عليه بالطمأنينة وهي الدرجة السادسة . فيطمئن قلبه حتى يكون كأنه معاين له وكأنه بين يديه فيكون هو مستودعه وأئيه وسائمه ودليله فعند ذلك يورث قلبه الغنى ولا يحتاج إلى غيره فيكون معظم دعائه للخلق بالصلاح وصرف السوء عنهم حتى يصير بمنزلة الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويستغفرون لمن في الأرض فعند ذلك لا تسقط له دعوة وهي الدرجة السابعة . فإذا صار إلى تلك الحال لم يتفوّه بشيء من حواججه إذا خطرت بيده تصير بين يديه وما أراد منها يأتيه من غير أن يدعوه بشيء خطر على بيده لطفاً من الله وتعاهداً منه حتى يعجب من لطفه ونظره وصنعه فيكون قوله عدلاً و فعله رضا فالحمد لله الذي من والاه نعمه وأغناه والحمد لله رب العالمين

فصل في الرياء

اعلم وفقنا الله واياك أن آكد ما على المرادي في ابتداء أمره التحفظ على نفسه والتحرز من الآفات التي تتعوره فيما هو بصدده إذ أن العواقب كثيرة ظاهرا وباطنا فقد يكون ذلك سبباً لمنع الوصول إلى ماتقدم ذكره فأخذ نفسه أولاً بالجد والاجتهد في التحرز مما ذكر ليس له ماتقدم وصفه. فأول ذلك أن يتقى الرياء والعجب والشهرة والكبر لأنه سم قاتل أدنى الأشياء منه يحيط الأعمال كلها وقد يخفى في بعض الأحوال لأنه أخفى من ديب النمل كا ورد لكن يتبيّن أمره وتظهر آفاته بما ذكره الشیخ الإمام يمن بن رزق رحمه الله وهو أن قال أصل العبد لم يزل مذ نشأ مرأياً في جميع أحواله وذلك لميله إلى الدنيا وايثاره لها على الآخرة وأهماله نفسه وارساله نيته فلما أهمل نفسه وقلت محاسبته لها لم يتخلص من الرياء فعمل للدنيا على غير أصل نية ثابتة وقد نهى الله عن أهميّة النفس وتضييع الأعمال فقال الله تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطِلُوا أَعْمَالَكُم﴾ فهذا عز وجل عن اضاعة الأعمال فلا يكون عمل من الأعمال الاعنة ارادة ولا تكون الارادة الاعنة وقد نهى الله تبارك وتعالى عن اضاعة شيء من ذلك وأى عمل أكبر من الارادة والنية وقد وجدنا الإنسان لا يخلو من حركة أو سكون والحركة والسكون جيئها عمل وقد نهى الله عن تضييع العمل فلما ترك ما أمره أتباه من اخلاص العمل لم يتميز بين الرياء وغيره وأمر جنفسه^(١) فعمل على ما يخطر بباله وجميع ما يتقلب فيه رياء محض ظاهر لا يعرفه هو من نفسه ويعرفه منه من نور الله الحكمة في قلبه فهم يرون فعل أهل الرياء فهم من يمسك عن صاحبه لمعرفته به ولو أنه

(١) أمر جنفسه تركها ترعى على هواها

أبدي اليه شيئاً من عيوبه لنفر منه وذب عن نفسه وأبطل مانسبه اليه فصار عدوا مشاحنا وأقل ما يقول للعارف بعيوبه حسدتني فلما علم الحكم أهل زمانه وأن زمانه زمان غلبة المهوى واعجاب كل ذي رأى برأيه اعتزل بنفسه ونفر عن العامة وعلم أنه زمان قد صار المعروف فيه عند أهله منكراً وأن الشر قد أحاط بالخير واعتزل أهل زمانه بصدق الإرادة فلما تبين له الصدق وما فيه وأن العمل لا يصفو إلا بالصدق اتى الكذب وفنه كلها وتشوّق عند ذلك نفسه إلى الكذب والرياء لحلاؤه فنه عندها فأخذتها بالجد والاجتهداد في ترك ذلك فلما رأت ذلك منه رجعت منقادة فلم تصادر إلى تلك الحالة ورأى العبد ذلك منها ازداد إلى الصدق تشوقاً وازداد للكذب مقتاً وإنما كان ينفر الصدق وفنه من قلبه لغلبة الكذب وفنه عليه وهو الرياء والعجب وحب الرياسة واتخاذ المنزلة عند المخلوقين والحمدة والعزّة والتعظيم والتخيير في الأعمال الكاذبة فن عمل بالصدق واتقى الكذب بربى من الرياء والعجب ودعوى الشر كله فإذا خلام من ذلك ثبت الصدق وفنه في قلبه . قال بعض الحكماء إن الشيطان يأْتِي ابن آدم من قبل العاصي فان امتنع منه أتاه من وجه النصيحة ليستدرجه فلا يزال به حتى يلقيه في بدعة فان امتنع عليه أتاه من جهة المحرج والشدة ليحرم حلالاً أو يحل حراماً فان امتنع عليه أتاه من قبل الوضوء فيشككه في وضوه وصلاته وصيامه حتى يعتقد بهواه أمراً يضل به عن السبيل ويدع العلم فإذا قدر منه على شيءٍ من ذلك خلي بينه وبين العبادة والزهد وقيام الليل والصدقة وكل أعمال البر ويخفف ذلك عليه وربما كايده الشيطان من المردة فيقول له ابليس دعه لاتتصده عما يريده فاما بأمرى يعمل فإذا نظر اليه الناس في عبادته وزهده وصبره ورضاه بالذل قال العامة ومن لا عالم له هذا عالم مصيبة صابر فيتبعونه على ضلالته ويهد له ابليس الصوت فيعجب بعمله فيكون فتنة لكل مفتون . ومن علامته

الاعجاب برأيه والازراء على من لا يعمل مثل عمله ويكون نظره للناس بالاحتقار لهم ويتغضب عليهم في التقصير به . وقد روی في العلم احذروا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاسق فان فتنهما فتنة لكل مفتون . واعلم يا أخي أن العبد اذا أراد أن ي العمل بالرفق قال له العدو ان العمل بالخير لا ينفعك حتى تدع الشر كله وترهد في الدنيا وتعزل عن الناس فاعرف نفسك وأصلاح عيوبك والذى عندك أكثر وأعظم من أن يصلح هكذا سريراً ويعظم عليه الأمر حتى يكاد يقنط وينقطع عن العمل وان كان في يديه دنيا عرض لم بحسن الفلن والرجاء والتسويف وطول الأمل فان أجباه الى هذا الباب قطعه عن البر وشغله بالدنيا وشهواتها وان رد ذلك عليه وقال التوبة قال صدقتك لعمري لقد فرطت وأخاف أن يدركك الموت فعليك بالجد والاجتهد ولا تريد أن تقصر في لزمه أشد العبادة فيثبت أو ينقطع أو يذهب عقله فان اشتمر بذلك عند الناس ألقى اليه طول الأمل وخوفه قلة الصبر ويقول له لك بالناس أسوة فيبغض اليه العبادة ويقللها عليه ثم يقول له ان الناس قد عرفوك بالعمل فلا تبد لهم التقصير ودع نفسك في السر ويرعرض له بعذاته الاول من الشهوات التي كان يصيبيها فيميل اليها ويرجع الى حالته الاولى وصار عمله علانية رباء لا ينفعه شيء وعلامة ذلك أن يستحل الكلام في الزهد وما يزينه عند الناس ويحبب اليه مجالسة الناس فتصير عبادته وزهده كله بالكلام . فالعلم عرف ضعف نفسه وعرف زمانه وقلة الاعوان فيه على الحير وكثرة الاعداء فأخذ الأمر بالرفق والاستعانة بالله وطلب صفاء الأعمال والاخلاص فيها وان قلت الاعمال وطلب مخالفة الهوى ونقل الطياع بالرفق وموافقة السنة وأخرج الناس من قلبه وقصد جهاد نفسه ومحاربة الشيطان والمعاندة للهوى بالخلاف لما يلقون اليه فان الله جل ثناؤه قد جعل لكل مكيدة من مكائد الشيطان سلاحاً يدفع به تلك المكيدات

وينبغى للعبد أن يعرف نزغات الشيطان من أين تأتيه وما هواه النفس فان الشيطان لا يصل الى العبد ولا يقدر عليه الامن قبل موافقة الموى فاذا بدأ العبد بنفسه ومحاربها و بهواه فأماته هان عليه الشيطان . واعلم يا أخي أن هذا الدين متين فان أنت وغلت فيه بالرفق أمكنك وشر السير الحقيقة^(١) وقليل تدوم عليه خير من اجتهاد يقطعك فانك لم ترشيناً أشد تولياً من القاريء اذا تولى ويزوئ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتغوز من الحور بعد الكور^(٢) وكانوا يحبون الزبادة ويكرهون النقصان . وينبغى للعبد أن يكون حذرا من مخالفنة السنة فان من مخالفنة السنة مخالف الحق ومن مخالف الحق هلك . فائت العلماء والزم أدبهم فان رأيهم يقترون في بعض ما يقولون فلا تزهد فيهم واقن بذى البصيرة منهم والبصر ومن يوافق قوله فعله . وذلك أنه يزوي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه قال عقول الرجال على قدر أزمتهم فاذا نقص العقل نقص البر كله فاعرف نفسك في زمانك . واعلم أن الزهد والعبادة والعلم المعمول به في هذا الزمان قليل واذا كان من يتشبه بالعلماء لا يصبر على نزول المحن فكيف يصبر الجاهل على نزولها واذا كان من يتشبه بالرهاد لا يصبر فكيف يصبر الراغب في الدنيا والعالم من أهل هذا الزمان من شدة الصبر خرج والجاهل من شدة الصبر حرج . وأما العالم الصادق الذى استوجب اسم العلم على الحقيقة فإنه يكره من عليه بالله أن يظهر بلسانه أو بيده أو بحواره أكثرا مافى قلبه فيمقته الله على ذلك ولم يره الله يؤثر دنياه على آخرته فصبر على الدنيا وصبر على الذم والتقصير والتقلل وكراه المدح والتوعس من الدنيا والجاهل الذى يعمل بجهل جزع من الذم وفرح بالمدح والتوعس من الدنيا حتى صبر على الدنيا من الجزع فاحذر

(١) الحقيقة السير بعنف (٢) الحور النقص . والكور الزبادة أى كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتغوز من النقص بعد الزبادة

أن تصر بصر الجاهل ولذلك ثقل العمل على أهل العلم بالله وخف على أهل المجهول ونوم العالم أفضل من اجتهد الجاهل وضحك العالم بالله أفضل من بكأه الجاهل فاحذر أبليس على أفعالك كلها واحذر نفسك وهو لك واحذر أهل زمانك ولا تأمن أحداً منهم على دينك . واعلم أن أبليس قد نصب لك حائطه وأقعد لك الرصدة على كل منهك وقد سلط أن يجري منك مجرى الدم في العروق ويراك هو وأعوانه من حيث لا تراهم . واعلم أنه يأتيك من قبل الرياء والعجب والكبر والشك والإياس والأمن من المكر والاستدراج وترك الاشفاق فان تابعته في شيء من ذلك فأنت على سهل هلكة فينتذل يلقيك وبين ما شئت من العمل فان خالفته أتاك من قبل الدنيا ليستوى الموى على قلبك فيتمكن هو من الذي يريد منك فان خالفته أتاك من قبل المعاصي فان خالفته أتاك من قبل النصيحة . وهذه الخصال التي وصفت لك كلها أشد من المعاصي وصاحبها لا يكاد يتوب من شيء منها وربما اتبه العبد قتاب منها فان ظفر من العبد بالعجب قال له ان الناس يقتدون بك فاعمل وأعلن عملك فيتأسى الناس بك ويعملون مثل عملك ويكون ذلك مثل أجر من عمل مثل عملك لانه من دل على خير فله مثل أجر فاعله فإذا ظهر عمله فرح به فصار معجباً وحمد نفسه فسوى النعمة عليه فإذا نظر الى عمله حجب اليه حدهم واتخذ المزلة عندهم فإذا فعل ذلك صار مرأياً مفاحراً . فاتهم فرح القلب بالعمل فان الفرح الى القلب الفرح أقرب وأسرع منه الى القلب الحزين وأقل من معرفة الناس فانه ليس يأتيك ماتكره الا من تعرف فان كان لا يأتيك ماتكره الا من قبلهم فكلما قلوا كان خيراً . واعلم أن العبد يعمد العمل في السر فلا يزال به أبليس يقول أظهره ليقتدى بك الناس فيه وتنشطهم على طاعة ربك فلا يزال به حتى يظهره فإذا أظهره كتب فيديوان العلانية فلا يزال به حتى يفتخر به فإذا افتخرا به كتب فيديوان الرياء فعليك بعمل السر وكثيراه وتحمّل النفس

واستفاط المازلة واكتم الحسنات كا تكتم السيئات وخف من فضيحة الحسنات
كما تخاف من فضيحة السيئات فان المفتضح بالسيئات ليس يفتضح عند الخلق
كلهم اما يفتضح عند قوم دون قوم والمفتضح بالحسنات اذا دخلها الرياء
افتضح عند الخلاق كلهم فاحذر واسمح من الله ان يراك تعمل لغيره وتطلب
الثواب منه وأخلاص العمل لله واصدق فيه . واعلم أن تخليل العمل في العمل
أشد من العمل حتى يتخلص والاتقاء من العمل بعد العمل أشد من العمل
في العمل . واعلم أنه لا يقبل الله عملا من مرأة ولا من مسمع ولا من داع إلا
بثبت من قلبه واحذر الرياء كله فان أوله وآخره باطل وكيف في العمل متأنياً
وقد فاد اذا همم بعمل فقف عنده فان كان لله خالصا فاحد الله وامض فيه
واستعن بالله على اخلاصه وأكمل من العمل ماتطريق وتحب أن تزداد منه ودم
عليه فان أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل فاعمل بما يتبين لك أنه حق
واوضح فإذا أشكل عليك فقف ولا تقتصر وناظر العلماء الذين يعملون بعلمهم
فهم الذين قصدوا الى الله وهم الدعاة الى سبيل النجاة الأدلة على الله لان المؤمن
وقف عند ما شتبه عليه وليس حاكط الليل فناظر العلماء فيما التبس عليك فما
اجتمعوا عليه نفذ به وما اختلفوا فيه نفذ أنت فيه بالثقة والاحتياط فان الامم
حوار القلوب . واعلم أن ابليس رب ما قال للعبد قد سبقك الناس الى الله متى تلحق بهم
فليقل له عند ذلك قد عرفتك أنا في الطلب ان رفقت لحقت وان لم أرفق لم الحق
ان صبرت على القليل ثلت الكثير وان عجزت عن القليل فأننا عن الكثير أبعجر
وقد قال الله عز وجل (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) فالزينة من الشيطان
والنور من الله عز وجل فإذا عمل العبد عملا فرأى الشيطان معه نورا كانت
همة الحديث أن يطفئ ذلك النور فان كان الغالب على العبد عمل السر أخرجه
إلى عمل العلانية بمحيته ومكنته فان عمل في العلانية بصدق واخلاص فرأى

فِي عَمَلِهِ الْعَلَانِيَّةِ نُورًا وَصِرَا أَمْرَهُ بِخَالَطَةِ النَّاسِ لِيُؤْذِي فَلَا يَحْتَمِلُ فَانِ خَالَطَهُمْ
فَأُؤْذِي وَاحْتَمِلُ الْأَذْيَ أَمْرَهُ بِالْعَزْلَةِ وَالرَّاحَةِ مِنِ النَّاسِ لِيُعْجِبَ بِمَا يَعْمَلُ
وَيَضُرُّ مِنِ الْعَمَلِ فَانِ اعْتَرَلَ وَصَرَرَ وَأَخْلَصَ قَالَ لَهُ ارْفَقْ خَيْرَكَ فَيَصِدُّهُ
عَنِ الْعِبَادَةِ وَانِمَا يَلْتَمِسُ مِنِ الْأَشْيَا غَفْلَتِهِ فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ غَافِلٍ
عَنْهُ وَلَيَسْتَعِنَ بِاللهِ عَلَيْهِ . وَاعْلَمُ أَنَّ صَاحِبَ الْإِلْخَاصِ خَائِفٌ وَجْلَ حَزِينٍ
مَتَوَاضِعٌ مَتَنْتَظِرٌ لِلْفَرْجِ مِنْ عِنْدِ اللهِ يَوْمَ أَنْهَا كَفَافًا لَاهُ وَلَا عَلَيْهِ . وَالْجَاهِلُ
فَرْحَنُخُورٌ مُتَكَبِّرٌ مَدْلُ بِعَمَلِهِ . وَيَرَوِي عَنْ بَعْضِ الْحَكَامِ أَنَّهُ قَالَ إِنِّي لَأَعْرِفُ مَائَةَ
بَابٍ مِنَ الْخَيْرِ وَلَيْسَ عَنِي مِنْهَا شَيْءٌ . وَاعْلَمُ أَنَّ الْعَالَمَ الْعَاملَ الصَّادِقَ الْمُخْلِصَ
الْعَارِفَ الْخَائِفَ الْمُشْتَاقَ الرَّاضِيَ الْمُسْلِمَ الْمُوْفَقَ الْوَاثِقَ الْمُتَوَكِّلَ الْمُحِبَّ لِرَبِّهِ يَحْبُّ
أَنْ لَا يَرَى شَخْصَهُ وَلَا يَحْكُمُ قَوْلَهُ وَيَوْدَأْهُ أَفْلَتَ كَفَافًا فَعُرْفَتْ بِنَفْسِهِ بَلْغَتْ بِهِ
هَذِهِ الدَّرِجَاتِ وَتَمَسَّكَ بِهَذِهِ الْعَزَاظِمِ أَوْصَلَهُ إِلَى الْمُحْضِ الْإِيمَانِ . وَالْجَاهِلُ الْمُسْكِنُ
يَحْبُّ أَنْ يَعْرِفَ بِالْخَيْرِ وَيَنْتَشِرَ عَنْهُ وَيَنْتَشِرَ ذَكْرُهُ وَلَا يَحْبُّ أَنْ يَزْرُى عَلَيْهِ
فِي قَوْلٍ وَلَا فَعْلٍ بَلْ يَحْبُّ أَنْ يَحْمِدَ عَلَى ذَلِكَ كَلْهُ وَيَوْطَأْ عَقْبَهُ وَانْ لَمْ يَزْرُهُمْ شَيْئًا
وَانِمَا شَدَّةُ جَهَنَّمَ لِذَلِكَ لَحْلَوَةُ الثَّنَاءِ وَالْحُبُّ لِاقْتَامَةِ الْمَنْزَلَةِ وَالْفَتْنَةِ فِي هَذَا عَظِيمَةِ
وَالْمُؤْنَةِ عَلَيْهِ شَدِيدَةٌ وَهُوَ عَبْدُ مِنْ عَبِيدِ الْهُوَى يَتَلَاعِبُ بِهِ الشَّيْطَانُ كُلُّ التَّلَاعِبِ
تَنْقُضُ أَيَّامَهُ وَيَفْنِي عُمْرَهُ عَلَى هَذَا الْحَالِ أَسِيرًا لِلشَّيْطَانِ وَعَبْدًا لِلْهُوَى . وَاعْلَمُ
أَنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَى العَبْدِ مَرِيدًا صَادِقًا مُخْلِصًا مَدَاوِمًا عَارِفًا بِنَفْسِهِ عَارِفًا
بِهَوَاهِ مَعَانِدَهُمَا حَذَرَا مُسْتَعِدًا عَارِفًا بِفَقْرِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى قَالَ لَهُ إِنَّ هَذَا الْأَمْرُ
لَا يَصْلَحُ إِلَّا بِالْأَعْوَانِ عَلَيْهِ وَالشَّيْطَانُ عَلَى الْوَاحِدِ أَقْوَى وَهُوَ مِنِ الْأَثْنَيْنِ أَبْعَدُ
بِفَالِسِ اخْرَانِكَ وَذَا كَرْهِمَ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا يَنْوِيُكُ فِي عَمَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ وَهُوَكَ
وَمِنْ عَدُوكَ فَانِهِمْ يَدْلُونَكَ وَيَعْيِنُونَكَ يَرِيدُ بِذَلِكَ ذَهَابَ حَزْنِ الْخَلْوَاتِ وَاطْفَاءَ
نُورِ الْعَزْلَةِ وَقَطْعَ سَبِيلِ النَّجَاهَةِ وَفَتْحَ طَرِيقِ الْفَضُولِ وَالشَّغْلِ بِغَيْرِ اللهِ وَآخِرَاجِهِ

من عمل السر الى عمل العلانية وانما يريد بذلك كله اطفاء ما قد أحدث الله
عز وجل في قلب العبد من نور فكر الخلوات فان قلت هذا انما هو من
الشيطان قال لك أجل انما هو من الشيطان تعليمك الناس أفضل من عملك
فلو أخبرت الناس بذلك لكان خيرا لك لعلوا من آفات الاعمال ما تعلم
فتوجر فيهم فان قلت أيضا هذا من الشيطان قال لك لو لا عليك لم تعلم بهذه
الآفات لتعجب بنفسك وتتسى النعمة عليك في العمل فخمد النفس فلا يجاوز
عملك رأسك فاحذر هذا الباب فان فيه شهوات خفية ومن الشهوات الخفية
أن يخفى العبد عمله ويحب أن يعلم الناس به ويحب أن يرى أثر ذلك عليه والعمل
خفى في السر إلا أنه يجب أن يرى أثر ذلك العمل عليه اما من علامه عطش
ان كان صائما أو علامه سهر في الوجه ان كان قام من الليل . واعلم أن العبد
ان قال أنا أعمل لله لالناس قال له صدق أخلص عملك لله فان المخلص يجبه
الله الى الناس ويعرفهم فضلهم فان قال العبد وما حاجتي الى الناس قال فأنت
الآن المخلص الذي قد أخرجت الناس من قلبك وعرفت مكيدة ابليس وقد نجوت
وأنت معصوم فان عقل العبد وقال له ومن أنا وانما الاعمال من من الله على
العباد ولها شكر وانما الاعمال بخواتيمها وانما الثواب على الله يوم الجزاء
من أخلص ولم يعجب بعمله ولم ينسب الى نفسه نعمة هي من الله قد وجبه
بها عليه الشكر فانه يقول للعبد عند ذلك الآن نجوت حين اعترفت لله بذلك
وقت بشكر النعمة وتواضعت لربك وبرأت نفسك من العمل ونبته الى الذي
هو منه فان قلت ذلك منه هلكت ولكن قل أنا أرجو وأخاف وليس الى من
النجاة شيء ولست أدرى بما يحتمل عملي . واياك ثم اياك والتزين بترك التزين
وذلك أنه ربما تزين الرجل بالرقاء والخرق والشعث وترك الدنيا وانما يريد
بذلك كله التزين فان فعلت ذلك نزلت بمحلة خشوع الفاق وان عرفت نفسك

بشيء من ذلك ولم تسرع إلى التحول عنه خفت أن يلحقك الخذلان والمقت فاتق الله في جميع أمورك واعمل له كأنك تراه . فان قال لك الحبيب الآن نجوت حين عرفت نفسك وأنزلتها هذه المنزلة وحضرت هواك وعدوك فقل الآن هلكت حين أمنت العقاب فان قال لك الآن نجوت حين خفت أن تكون قد أمنت العقاب فقل الآن هلكت لم كنت صادقاً لصدق قولك فعلى ولازدلت خوفاً وحياءً من الله جل ذكره ولو كنت كذلك لحال بيني وبينك وجعلني في حربه وحصنه ومن عباده الذين قال فيهم (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) ولم تكن أنت تدخل على في عملي فان قال لك جاهد نفسك فإنه أفضل العمل فان الناس قد شغلتهم أمر غيرهم واتبعوا أهواءهم وأنت بينهم غريب وأنت كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال طوبى للغباء وأنت المعروف في أهل السماه والجهول في أهل الأرض فان قبلت ذلك هلكت وان قلت هذا من الشيطان قال لك صدق هذا من الشيطان وقد كثرت عليك مكانته ومجاهدة نفسك وهواك فكم تعذب نفسك مان دنت شقياً لم تسعده أبداً وان كنت سعيداً لم تشقد أبداً ولا يضرك ترك العمل ان كنت سعيداً ولا ينفعك العمل الكثير ان كنت شقياً فان قبلت القنوط الذي ألقاه إليك هلكت وان تركت العمل ونلت من الشهوات على الغرور وحسن الظن بزعمك والاتكال على الرجاء الكاذب والطمع الكاذب والامانى الكاذبة ورجوت الجنة بالغرور وطلبتها طلب المتعدين بالراحة عطبت وان امتنعت قال لك أحسن ظنك بالله فانه يقول أنا عند ظن عبدي بي والله يحب اليسر والدين واسع والله غفور رحيم فاعرف نفسك عند ذلك واعتصم بالله (وکفى بالله حسيناً) واعلم أنك ان كنت في بلد وأنت في مسلم وأمرك فيه مستقيم والنور معك في فعلك وقولك قال لك عليك عليك بالثغور وعليك

بمكه وعليك بكندا فان قبلت ذلك رأيت فترة في عاجل عملك وقساوة في قلبك
 ووقعت في المشورة يريد بذلك النقصان بسبب السفر والشغل به عن الدأب في
 العبادة والنشاط الذي كان معك فان صرت الى بلد أنت فيه مسرور وقلبك
 ريح قال لك موضعك كان أصلح لقلبك وأجمع همتك فارجع الى موضعك
 فان أحـبـ الـأـعـمـالـ إـلـىـ اللهـ أـدـوـمـهاـ مـعـ مـعـرـفـةـ النـفـسـ وـالـفـقـرـ إـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ فـانـ
 للـدـأـبـ ثـوـابـ ثـوـابـ (ان اللهـ مـعـ الـذـينـ اـتـقـواـ وـالـذـينـ هـمـ مـحـسـنـونـ)ـ وـاعـلمـ
 أـنـ مـنـ يـتـجـوـ بالـأـعـمـالـ أـكـثـرـ مـنـ يـهـلـكـ بـهـاـ وـكـلـ عـدـ مـيـسـرـ لـخـلـقـهـ .ـ وـاعـلمـ
 أـنـ مـنـ يـهـلـكـ بـالـتـفـرـيـطـ وـالـتـضـيـعـ أـكـثـرـ وـيـنـبـغـيـ لـلـؤـمـ أـنـ يـكـوـنـ رـاغـبـ رـاهـبـاـ
 لـاـيـمـ وـلـاـيـأـسـ .ـ وـاعـلمـ أـنـ يـاتـيـكـ مـنـ وـجـوـهـ كـثـيرـ لـاـيـغـفـلـ وـلـاـيـأـلـوكـ خـبـالـاـ
 أـنـ كـنـتـ مـقـلـاـ عـنـدـكـ مـنـ الـدـنـيـاـ شـيـيـرـ تـرـيدـ أـنـ تـقـوـهـ نـفـسـكـ أـمـرـكـ بـالـصـدـقـةـ
 وـرـغـبـكـ فـيـهاـ لـتـخـرـجـ مـاـقـيـ يـدـيـكـ وـتـحـتـاجـ رـجـاءـ أـنـ يـظـفـرـ بـكـ فـيـ حـالـ الـغـفـلـةـ وـانـ
 كـنـتـ غـنـيـاـ أـمـرـكـ بـالـأـمـسـاكـ وـرـغـبـكـ فـيـهـ وـخـوـفـكـ الـفـقـرـ وـالـحـاجـةـ وـقـالـكـ أـبـدـأـبـنـ
 تـعـولـ وـلـعـلـكـ تـكـبـرـ وـتـضـعـفـ وـيـطـوـلـ عـمـرـكـ يـرـيدـ بـذـلـكـ أـنـ تـصـيرـ إـلـىـ حـالـ الـبـخـلـ فـيـظـفـرـ
 بـكـ وـانـ كـنـتـ تـصـومـ وـقـدـعـرـتـ بـالـصـومـ وـأـحـبـتـ أـنـ تـرـيـعـ نـفـسـكـ قـالـكـ قـدـعـرـتـ
 بـالـصـومـ لـاـ تـفـطـرـ فـيـضـعـ النـاسـ أـمـرـكـ عـلـىـ أـنـكـ قـدـكـبـرـتـ وـتـغـيـرـتـ وـفـتـرـتـ وـعـجزـتـ
 فـانـ قـلـتـ مـالـ وـلـلـنـاسـ قـالـكـ صـدـقـتـ أـفـطـرـ فـانـ الـمـحـسـنـ مـعـانـ سـيـضـعـونـ أـمـرـكـ
 عـلـىـ أـحـسـنـ الـوـجـوهـ فـانـ قـبـلـتـ ذـلـكـ مـنـهـ وـأـفـطـرـتـ عـلـىـ أـنـ النـاسـ سـيـضـعـونـ أـمـرـكـ
 عـلـىـ أـحـسـنـ الـوـجـوهـ وـالـمـنـزـلـةـ لـاـ تـسـقـطـ عـنـهـ باـطـارـكـ فـقـدـ عـطـبـتـ وـانـ أـنـتـ
 نـفـيـتـ ذـلـكـ تـرـكـهـ وـنـصـبـ لـكـ بـاـبـآـخـرـ فـقـالـ لـكـ عـلـيـكـ بـالـتـوـاضـعـ لـيـشـهـرـكـ عـنـدـ
 النـاسـ وـكـلـمـاـ اـزـدـدـتـ تـوـاضـعـاـ عـلـىـ قـبـولـهـ مـنـ لـلـشـهـوـةـ وـالـشـهـرـةـ اـزـدـادـ كـلـأـبـاـ عـلـيـكـ
 فـاتـقـ ماـ وـصـفتـ لـكـ وـالـجـأـ إـلـىـ اللهـ فـيـ أـمـرـكـ كـلـهـاـ وـاـتـرـكـ كـلـ شـيـءـ مـنـ الـدـنـيـاـ
 لـعـملـ الـآـخـرـةـ رـغـبـةـ مـنـكـ فـيـ الـآـخـرـةـ وـجـأـهـاـ وـإـشـارـأـهـاـ عـلـىـ الـدـنـيـاـ فـيـحـبـكـ إـيـاهـاـ

تصل اليها وبقدر حبك لها تعمل لها واقل الدنيا وابغضها فبقدر بغضك لها تزهد فيها وانظر ان كنت ذا علم نخف أن توقف يوم القيمة فيقال لك بعداً وسحقاً بعد العلم والتبصر ملت الى الدنيا وتركت العلم والعمل واخترت ما أسلحته ما غرك بربك الكريم أهلاً المغور فليبعد الله العالم بطاعة العلم وليرتك طاعة الجهل وليرتك الاغترار . واعلم أن الشيطان يوم القيمة يتبرأ من جميع من أطاعه في الدنيا وهو يقول في الدنيا من ظن أنه ينجو مني بحيلة فني جبار وقمع قال الله تبارك وتعالى ((إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون)) وقال ((يا أيها الناس أتتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد)) فافهموا حذر وافطن وانظر وحارب واستعدوا كابد وجاهد واستعن بالله تعالى . واعلم أن العبد اذا قام الى الصلاة يريد بها ثواب الله وحده ((ثواب الله خير من آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون)) وان أراد بها ثواب الله وحد غيره هلك . واعلم أن أولى الأشياء بالعبد أن يخلص عمله كله لله والكلام فيه كثير غير أن الأصل في اخلاص العمل أن يعمل العبد العمل كله يريد به الله لا يحب أن يطلع عليه أحد من الناس فان اطلع أحد على عمله كره ذلك بقلبه ولم يسر بذلك فلم يحب أن يحمده أحد على شيء من عمله ولم يت忤ذ به منزلة عندهم فهذا أصل اخلاص العمل والله المستعان . وأما الرياء فهو أن تحب أن يحمدك الناس على شيء من عملك أو تقوم لك به منزلة عندهم ومن أراد العمل اقتصر على القليل ومن لم يرد العمل لم يكتف بالكثير . واعلم أن الناس في العمل على ثلاثة أصناف . صنف أهملوا أنفسهم في العمل من البر فعملوا ليعرفوا بالخير فهم الهاكرون . وصنف أهل رهبة من الله ورغبة في عادته يكابدون الأعمال بالصدق والأخلاق ويتقون فساد الأعمال ولا يحبون الحمد من الخلقين ولا المنزلة عندهم ولا يعملون شيئاً من العمل للناس ولا يتركون

من أجلهم شيئاً وأحياناً تعرض لهم العوارض وأحياناً يسلون منها . وصنف قوى اخلاصهم واستقامت سريرتهم وعلاناتهم أخلصوا العمل لله وتركوا الدنيا بعد معرفتهم بها ونظروا إليها بالعين التي ينبغي أن ينظر بها اليافر أواعي بها ففتوها وصدقوا الله في مقتهم لها وتركوها زهداً فيها وصدقوا الله في ذلك فلت ذلك من قلوبهم وذاب ولم يكن لها فرار قرار لقوة التعظيم لله في قلوبهم فلما استولت العظمة على قلوبهم لم يكن لديها ولا لأهلها في قلوبهم مستقر ولا قرار فالحمد لله الذي المن والفضل العظيم . ومن الرياء أن العبد يرأى أهل الدنيا بالدنيا في لباسه ومركتبه ومسكته وفرشه وطعامه وشرابه وخدمه حتى الدهن والكحل ونحو ذلك يريد بها صيانة نفسه وهو رياه وليس كالرياء بالأعمال التي يتبعها وجه الله لأن المرائين من المؤمنين يخاف عليهم من النار لقوله في الحديث ولكنك فعلت لي قال فلان كذا وكذا فقد قيل ذلك . وهذا الذي رأى بالتكاثر والتفاخر وطلب الدنيا حلالاً مكثراً مفاخرًا مرائياً لقي الله يوم القيمة وهو عليه غضبان وهذا مع ما فيه من الفساد أهون من الباب الآخر وكلهما شديد والله المستعان وذلك أن المفاخر إنما يريد إقامة مرتبته عند الناس فلو كانت له الدنيا كلها لاحتاج إليها لما معه من حب الدنيا وذلك أن قلبه مشغول عن الله تعالى وعن طلب الآخرة وهو مع هذا خائف وجل من أن تنزل به نازلة تغير حاله فيتغير من كان له مطيناً فـا أشد مضره هذا الباب . وعلامة المرید النظر إلى من هو دونه في الرزق والى من هو فوقه في العمل للآخرة ويتواضع ولا ينافس أهل الكبر والفخر والرياء والتکاثر ولا يأخذ ما أخذ لنفسه ولا يترك ما ترك لنفسه وما أخذه فاما نيته فيه القوة على دينه واقامة فرائضه والاستغناء عن غيره ويدع جميع ما كان للناس من ذلك . وأما العجب فأصله حمد النفس ونسيان النعمة وهو نظر العبد إلى نفسه وأفعاله وينسى أن ذلك إنما هو منه من الله

تعالى عليه فيحسن حال نفسه عنده ويقل شكره وينسب إلى نفسه شيئاً هومن غيرها وهي مطبوعة على خلافه فان غفل هلك واستدرج وكان معجباً بعبادته مزرياً على من لم يعمل عمله قد عيى عن عيوب نفسه فيكون مستكثراً لعمله مسروراً به راضياً عن نفسه فرحاً بها يسعى فهو اهلاً لغضبه لها وراضاه لها ولا يخلو المعجب بعمله من أن يكون مراياً لأنهما قرينان لا يفترقان ولا يكون المعجب مخزوناً ولا خائفاً أبداً لأن العجب ينفي الخوف . واعلم يا أخي أن الناظر إلى الله فيما يعلم قد نفي العجب عنه لعله أن العمل إنما هو من الله تعالى وهو قائم بالشكر له مستعين بالله عز وجل على كل حال ممّا قد نفي الأعمال كلها عنها فليس لها عنده فيها حظ ولا نصيب . واعلم أنهم صنفان . صنف علماء أقوياء لهم الذين نظروا إلى الله تعالى فيما يعلمون فحمدوا الله على ما وهب لهم من قليله وكثيره . وصنف نظروا إلى السبب الذي أعطاهم الله فاشتغلوا بشكر السبب والصنف الأول أقوى من هؤلاء أوئلئك لا يعرض لهم العجب لعلهم به وهؤلاء ربما أحببوا بالسبب وربما اتلقى عنهم فهم مكابدون له فان قاموا بشكر ذلك خافتهم حسنة وهم دون أولئك وان ركعوا إلى ما يدخل عليهم من العجب فقد هلكوا الا أن يتبه الله من شاء منهم فيتوب عليه . والعجب كثير وهو آفة المتعبدين من الأولين والآخرين وهو من الكبر والكبر آفة ابليس التي أهلتك الله بها . وأما الشهرة وأشار الناس إلى العبد فانها لن تضر إلا من أرادها والمرء ملبس زين عمله ان خيراً خيراً وان شرًا فشر . فكم من مستتر بعمله قد شره الله به وكم من متزين بعمله يريد به الاسم واتخاذ المنزلة عند الناس قد شانه الله به وإنما يصلح ذلك ويفسده الضمير فان أحبت الشهرة جمع الشهرة والرياء والعجب جميعاً وان أراد الله وحده وكان مخلصاً لم يضره ذلك عرف أو لم يعرف وربما الحقة حب معرفتهم اياد بالعمل فيخرج به إلى الباب الذي يحيط الأعمال ومن ذلك حب

معرفهم ايادى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والغضب لله وفي الله فان قام بذلك ونفى ما يحبه وكانت نصيحته لله ولذؤمنين ونجاة نفسه بمحاجة وان اعتقاد شيئاً من اتخاذ المنزلة أو حب الثناء أو طلب رئاسة أولي قبل قوله فقد شرب السُّم الذي لا يقي ولا يذرو ولا عاصم من ذلك الا الله . والرياء والعجب والكبر والشهرة انما هي من أعمال القلب فتوسل يا أبا الى الله في اصلاح قلبك فان سلم قلبك وعلم الله من ارادتك أنها له خالصة خلصك الله من كل آفة دخلت عليك والله يقسم الثناء كا يقسم الرزق ومن خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء ومن أحب الله أحبه كل شيء والله مسبب العبادة وانما تصحيح العمل بالحوادث على قدر صحة القلب ومع صحة القلب دلالة العقل وسياسة العلم وسابقة الخوف فإذا أردت عملاً فاتبع بذلك ثواب الله وأكثر ما تأمل من الله النجاة من النار والوصول الى نعيم الجنة يرون عليك العمل ويخلصه الله من الآفات ويقويك عليه فإذا عملت فاشكر وانظر هل ينقص من بدنك شيء في ليلك ونهارك لتعقد النية فيما يستقبل وانظر اذا أصبحت كيف مضت عليك ليلاً تبعها ونصبها وبق لك ثوابها وسرورها يكرن ذلك قوة لك على ما تستقبل فالحسنة لها نور في القلب وسرور يجد العبد حلاوة ذلك السرور وضياء ذلك النور ولم يدع الله جل ذكره المطيعين حتى جعل لهم بالطاعة اللذة والنشاط وقرة العين وحلوة القرب اليه ولم يدعهم حتى حببهم الى الناس وحتى نظروا اليهم بالهيبة لهم والاجلال مع ما في قلوبهم من التواضع والخوف لله فان لم يعرفهم الناس كانوا من أهل الجمالتهم كانوا أرفع خلق الله في الدنيا ومن كان بالطاعة عاملًا كان من أعز الناس عند الناس وأغناهم بالله ومن هاب الله في السريرة هابه الناس في العلانية وقدر ما يستحق العبد من الله في الخلوة يستحق الناس منه في العلانية وينبغى للعالم

أن تكون محبتة في العمل بالحسنات سترها ونسيانها فانه سيحفظها من لاينساها ويخصى له مثاقيل الذر من عمله وان ظهرت الحسنات فليعرف نفسه ولا يغرنها ثناء من جهله ففكرا فيها العامل في العواقب فان أحببت أن يحبك الناس أو يفطено بحسناتك اذا عملتها ليكرموك ويجلوك فقد تعرضت لمقت الله عزوجل لك . ويفعلك انك انأسقطك الله سقطت فلا تغتر من الوجهين جميعاً وان سللت لك آخر تلك سلمت لك دنياك وان خسران الآخرة خسران الدنيا والآخرة جميعاً ومن ربع الآخرة ربهمما جميعاً . واعلم انك ان غضبتك على الناس في شيء هو لنفسك فأبديته لهم أو لم تبه لهم علم الله ذلك من قلبك فقد تعرضت لغضبك اذا أظهرت انك انت انت غضبتك لنفسك . واعلم أن الله جل ذكره لا يخفي عليه من أمرك خافية وليس الفرق بين غضبك عليهم وبين سرورك بهم وفرحك بثنائهم عليك بحسناتك وأنك تريدهم ثوابها من ربك لقد ابتليت فيها العبد بحسناتك وعظم فيها بلاوك ولعلها أضر عليك من بعض سيئاتك فان بلع بك البلاء أن تفرح اذا مدحوك بغير عملك أو بأكثر من عملك فقبله قلبك أحبط الله عملك ثم تصير الى حال حب مجىء الاخوان اليك في أوقات الاعمال فتفرح وان أتوك في وقت فراغك غمك ذلك والله سائلك عن ذلك كله وتظاهر منك الحزن وتؤهم الناس أن ذلك من شدة الاهتمام بالآخرة واما ذلك منك تصنع تحب أن يحمدوك على ذلك فأنت اذن قد هلكت من الوجهين جميعاً نفف الله في سراء نفسك وعلانيتها واحتقر حسناتك جهلك واستكثار منها ما تستطعت حتى يعظم قدرك عند الله وتعظم حسناتك واستكثار صغير ذنبك حتى يصغر عند الله وخف من صغير ذنبك أن يحيط الله به عملك كله وارج بحسناتك أن يمحو الله بها عنك كل سيئة عملتها فارج حسناتك وخف سيئاتك ((ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرین)) وينبغى للعبد

أن يعرف عجزه وضعفه فيقطع سيه من نفسه ويرجع إلى العز والمنعة ويتجه إلى الملك القادر على ما يريد بالاعتصام والتوكّل والاستشعار والاتصار به على الأعداء فيجد عند ذلك العز والروح والفرج والمنعة ويفوض أمره إلى الملك الجبار فما اختاره من شيء رضي به وسلم فان عرض له بعد ذلك غم أو روع علم أن ذلك بلوى من الله فيرجع إليه حيث ذهاب الانكسار والافتقار إليه لما فرط منه ويطلب الروح والفرج بالتفوى وهو استناد العبد إلى قول ربه ما أمره به فعله وما نهاه عنه تركه حتى تكون كلها مجموعة له في روضة واحدة. فانظري أخي ولا تدع ما فيه الخرج الآخر جت منه وما كان مما فرط منك مما لا حيلة فيه الا الندم والاستغفار فاندمل عليه ندما صحيحا بالقلق منك والاضطراب في حضرة الله والاجتهد قبل فوات الأيام وهجوم الموت عليك وأكثر مع الندم الصحيح ذكر ماندلت عليه ولا تفتر عما أمكنك من الاستغفار ثم عليك بعد بالتخاص من العائق الذي يشغل عن الله جل ذكره حتى تكون مؤثراً لله على مساواه وهذا هو الطريق إلى سبيل النجاة والله المستعان. وأعلم أن من دلالات العقول والعلوم تأسيس التقوى فإذا كان ذلك كذلك صار العبد حبي القلب قابلاً للموعظة معظمما لما عظم الله مصغراً لما صغر الله فإذا كان ذلك كذلك فقد أحيا قلبه بالعلم والعمل ولو أن رجلاً أحيا قلبه في كل يوم ألف مرة ويكون بين الحياة والحياة موتة لخفت عليه حتى تكون حياته دائمة تموت به خواطر نفس ليس لها قرار والخاطر إذا صرم أصله وقطع دخل عليه الحزن والبكاء فلا يكون مسروراً بالعارض ولا مشغولاً بالنعمة عن المنعم فهذا سبيل النجاة إن شاء الله والله المستعان. وإذا لم يكن مع العبد روع وغم عند الخاطر فهو ميت فإذا كان كذلك فليرجع إلى التقوى والأخلاق والصدق والتخلص مما يكرهه الرب والحياة يتولد من العلم المفهوم فإذا علم وفهم

العلم بما أمره الله به قبل الموعظة لنصحه بتعظيمه ماعظم الله والقاب الحى تكفيه
غمزة فيتبه والقلب الميت لو قرض بالمقارب ض لم يتبه ولم يحيى وذلك أن الله عزوجل
يقول ((أومن كان ميتاً فاحيده)) وذلك لمن قبل وأجاب الداعي ومن لم يقبل
الموعظة ولم يحب الداعي فإنه قال عزوجل ((أموات غير أحياء وما يشعرون))
ومن علم أنه ميت فقد حي بعلمه أنه ميت ولا ينفعه العلم إلا بالقبول واشار
الرب على هواه فمن كان مقراً بأنه عاص وليس يتحول وليس معه الروع
والغم الشديد وهو على حالته التي ليس يرضاها ولا يبادر بالتوبة والتطهير فهو
ميت ولا ينفعه علمه إلا أن يتوب الله عليه قبل موته فيحيا بالتوبة ويرجع
إلى الرغبة والرهبة والطاعة . ومن أراده الله وفقهونبه من الزلة وأيقظه من الغفلة
وانما هذه كلها مواريث حب الدنيا واتباع الهوى وطول الامل . وينبغى
لمن كان يبتغى لنفسه طاعة ربه أن يرجو ما يقل عليه من البر ويتم ما خف
عليه من ذلك لأن قليل الصدق يثقل خفيف العمل والكذب من النية في العمل
يخفف ثقيل العمل وقليل الصدق أوزن وأرجح من كثير الكذب . واعلم أن
ارادتك العمل عمل فانظر في ارادتك حتى يصح لك عملك ويراك الله نيتك
طالباً ولهما مصححاً كـ إـكـ في عملك ملخصاً فـانـ الأـعـمـالـ بـالـنـيـاتـ . واعلم أنك
ان ظفرت بتصحيح النية مع قليل العمل ربـحتـ عملك وظفرت بأـكـثرـ منـ عملـكـ
واعلم أن عدوك ينظر إلى ابتداء نيتك وابتداء عملك وقد يخفي عليك سقم نيتك
كـاـ يـخـفـ عـلـيـكـ سـقـمـ غـيرـكـ فـاحـذـرـ أـنـ تـكـونـ نـيـتـكـ سـقـيمـ فـقـمـ عـلـيـ تصـحـيـحـهاـ
فـانـ الـعـلـمـ تـابـعـ لـلـنـيـةـ اـنـ صـحـ وـانـ فـسـدـ فـسـدـ . واعلم أن العدو اذا رأىـ
في نيتك سـقـمـ رـغـبـكـ في ذـلـكـ الـعـلـمـ وـلـمـ يـقـلـهـ عـلـيـكـ بلـ يـخـفـهـ عـلـيـكـ مـخـافـةـ أـنـ
يـقـنـطـكـ بـالـسـقـمـ وـوـدـ حـيـنـئـ أـنـ النـاسـ كـلـهـمـ أـحـبـكـ في ذـلـكـ الـعـلـمـ وـمـدـحـوكـ
اـذـاـ ظـفـرـ مـنـكـ بـسـقـمـ الـنـيـةـ وـيـزـ يـدـكـ قـوـةـ وـنـشـاطـاـ فـعـلـكـ وـيـحـسـنـهـ عـنـدـكـ وـفـ

أعين الناس ويخبئهم إليك فكلما أثروا عليك استحليل عمالك وخف عليك وقد ستر عنك داء الحسنات وداء السيئات ومن داء الحسنات أنه لا يمنعك من ترکها الا مخافة أن تسقط من أعين الناس . واعلم أن ربحه منك اذا سقمت نيتك أكثر من ربحه منك اذا أحبت الدنيا واتسعت منها ومن داء السيئات سقم نيتك . واعلم أن العدو ربما أفسد الحسنات أولاً بسقم النية وربما أفسدها آخرًا بتعظيم الناس لك فإذا علم أنك لاتحب ذلك ولم تتجه إلى معصية خلاك وذلك فاحذر على عمالك كله من حيلة الخبيث وإذا رأيت العمل قد خف فكن أشد ما تكون له حذرا اذا خف على نفسك العمل فهو أفسد ما يكون اذا صحي عندك . واعلم أن الشيطان أعرّف بك وبما تهواه نفسك منك ولا تدع العمل من أجل آفة ، ولكن اعمل بذلة وصحوة واستعن بالله وكن حذرا طالبا للخلاص كارهاً معانداً لفساد العمل لازيد الثواب الا من الله وحده وطلب الدار الآخرة ولا تعمل ليعطيك في الدنيا ثواباً فان الذي قدر الله عز وجل أن يصل اليك من رزق أو أجر أو ثواب فإنه صائر إليك فعليك بالصدق واتخذه ذخرًا ليوم ينفع الصادقين صدقهم . وانظر اذا صحي عمالك عندك فكن أخوف ما يكون من فساده ولا تأمن عليه من الفساد فتفسده فان آفة العمل الأمن عليه واعلم أن الأمان على الحسنات أضر عليها من السيئات والأمن على السيئات أضر عليك من السيئات . واعلم أن أمنك على الحسنة أحب الى ابليس من السيئة وقوطك بعد السيئة أحب الى ابليس من السيئة واستصعبه لسيئة أرددتها ثم تركتها أحب اليه من كبيرة عملها ثم استغفرت منها لعظمها عندك فافهم ما أطلق إليك من هذا الباب واحذر . واعلم أن ابليس الخبيث يحرى على ألسنة الناس مدح الصادق ليفسد عليه صدقه ويزيد الكاذب في عمله قوة حتى يسوى بين

الصادق والكاذب فاحذر تجديد القوة في العمل عند تجديد المدح فان له سطوة وسلطانا يزيد الكاذب كذبا ويفسد على الصادق صدقه فلا تظهر الخوف من قلبك ولا تظهر قلة الخوف فان اظهار قلة الخوف هو من قلة الخوف وهذا باب فيه فساد للعمل كبير وهو رياه فيه لطف وله حلاوة واياك أن تقول واحزناه على الحزن وأخاف أن لا أكون أخاف واحزناه على الأحزان فان هذه أشياء من دقائق مداخل ابليس والله سائلك عن بكمك واظهارك الخوف والحزن واظهارك أنك لست بحزين واظهارك أنك لاخاف وما تظهر من الانكسار والتواضع واظهارك الهم بأمر الآخرة وذمك نفسك وماذا أردت بذلك كله ولا بليس في هذه الخصال مذاهب تتبع على كثير من الناس وهي تنسب الى خشوع النفاق فان كنت صادقا فيها فاحذر ابليس عندها وفي وقتها حذرا شديدا والله المستعان . وانظر كيف يكون احتمالك اذا قال لك غيرك ما تقوله أنت لنفسك من الذم والواقعة فيها حتى يتبين لك عند ذلك أصادق أنت في فعلك أم كاذب فإذا كان باطنك كظاهرك لم تبال كيف كان أمرك وقم على باطنك أشد من قيامك على ظاهرك فإنه الموضع الذي فيه الله مطلع فنظفه وزينه لينظر الله اليه أشد ما تزين ظاهرك لنظر غيره فافهم ما أقول لك بعنایة منك وقبول . واعلم أن فرائض جوارحك إنما تقوم بفرائض قلبك . واعلم أن النية والصدق والاخلاص فريضة تقام بها الفرائض وتبني عليها الاعمال وترك الذنوب فريضة بكل أمر فيه معصية فهو مردود ومحال أن يتقرب الى الله بمعاصيه (إن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم) واعلم أن الله فرض الارادة له بالاعيان والأعمال يراد بهما وجهه فأصاب المؤمن الصادق بنيته الفريضتين، جميعا الظاهرة والباطنة واعلم أنك ان عملت بما وصفت لك ثم عرضت عليك الدنيا بما فيها على أن

تظهر حسناتك أو تراني بها ما فعلت . واعلم أن المريد في ترك الميّة يخاف من الله أن يشع منها ويُخاف منه أن ينال منها وهو مستغن عنها ويُخاف منه أن يدخل منها وهو يحتاج إليها فهو يخاف من الله أن يعصيه فيما أحله له ويُخاف أن يشع مما أباحه له . فلن قام في هذا المقام من أهل الدنيا فقد بلغ الغاية من الرُّهُد فيها وأقام الأشياء كلها التي في الدنيا مقام الميّة فانما ينال منها البلوغ عند ما اضطر إليها ويُخاف من الله ان ترك أخذ تلك البلوغة في وقت الضرورة أن يعذب على تركها كما يخاف أن يعذب على أخذ الحرام البين . واعلم أن تمام الأشياء كلها إنما هو بالقيام بما أمرك الله به والانتهاء عما نهاك الله عنه . واعلم أنه ليس من عقلك أن تأخذ ميّة فتخزّنها ولا ان فاتت حزنـتـ عليها ولا ان وجدتها فرحت بها لأنـكـ منها على مقتـ لهاـ بماـ وقدـرـ منـكـ لهاـ فإذاـ خـفتـ منهاـ أنـ تـناـلـهاـ نـفـيـتـ المـخـافـةـ الـتـىـ حلـتـ بـقـلـبكـ حـلـاوـتـهاـ وـهـيـ الدـنـيـاـ فـجـجـتـ رـىـ منهاـ بـمـاـ أـقـامـ صـلـبـكـ وـأـدـيـتـ بـهـ فـرـضـكـ وـدـعـ مـاسـوـىـ ذـلـكـ يـكـابـدـهـ غـيرـكـ وـالـذـىـ تـحـتـاجـ إـلـيـهـ مـنـ الدـنـيـاـ يـسـيرـهـ وـهـوـ مـاتـسـرـ بـهـ عـوـزـتـكـ وـتـقـيمـ بـهـ صـلـبـ لـادـاءـ فـرـأـضـكـ وـمـاـ كـانـ وـرـاءـ ذـلـكـ فـهـوـ مـنـ الدـنـيـاـ وـمـنـهـ طـلـبـ الآـخـرـةـ تـرـكـ الدـنـيـاـ وـمـنـهـ طـلـبـ الدـنـيـاـ جـمـعـ مـاـ أـحـبـتـ مـنـ الدـنـيـاـ فـإـذـاـ رـأـيـتـ نـفـسـكـ تـأـنسـ بـقـرـبـ الدـيـنـارـ وـالـدـرـهـ وـتـسـتوـحـشـ لـفـقـدـهـماـ فـأـعـلـمـ أـنـكـ مـحـبـ لـلـدـنـيـاـ وـمـنـ كـانـ مـحـبـ لـلـدـنـيـاـ فـهـوـ قـالـ لـلـآـخـرـةـ . اـتـهـىـ

فصل في الصدق والعقل

واعلم أن الأصل الذي يحترز به مما تقدم ذكره إنما هو الصدق والعقل والصدق محله القلب وإذا كان كذلك فينبغي الاعتناء بشأنهما . وما قاله الشيخ الإمام يمن بن رزق رحمه الله في ذلك فيه غنية عن غيره ويبيان تام . قال رحمه الله

اعلم يا أخي علما يقينا لاشك فيه أن الصادق لا يكذب أهله ولا يأله نصحته
 في ارتياهه لهم فان أخاك من صدفك ونصحك وان خالف صدقه ونصحه
 هو اك وان عدوك من كذبك وغشك وان وافق ذلك هو اك . واعلم يا أخي
 أن لما أطلت الفكرة وصححت في ذلك النظر علمت أن الله جل ثنا وباري
 النسم وولي النعم ومالك الأمم لم يخلقني واياك عبشا ولا هو تاركي واياك سدي
 وأن لي ولك معادا نقف فيه بين يدي الملك الجبار للحكم يتنا وللفصل فيما وأنهم
 يخلقني واياك حين خلقنا هزل ولالعب ولالفناء دائم وإنما خلقنا لبقاء
 للأبد ودوم النعم في جواره وجوار ملائكته وأنباته أو في الشقاء الدائم
 للأبد . فالعاقل متيقظ لما خلق له مستعد لما هو صائر اليه فانتبه من رقتنه
 وأفاق من سكرته فعمل وجده وأبصر فرج النفس عن دار الغرور الخاذلة
 الخادعة الزائلة التي قدولت بخدعتها وفنت بغرورها وشوقت بخطامها فلما
 عرفها العاقل الكيس حق معرفتها زهد فيها ورغب في دار البقاء والسرور
 وتقرب إلى مالك الدار بجميع ما يحب مما يطيق التقرب به إليه ورتب ياباه
 وأما المغتر بالدنيا المؤثر لهواه فيها فهو معنتهها . أيها الميت عن قريب والمعوثر
 بعد موته إلى دار المقامات المسؤل عن اقباله وادباره في دار الدنيا الموقف عن
 قليل بين يدي الملك الجبار الذي لا يحور . هل أعددت لذلك الموقف حجة
 تدفع عنك أو أعددت للسؤال جوابا فان الله يقول ﴿ولقد جاءهم من الآباء
 ما فيه مزدجر حكمة باللغة فما تغنى النذر﴾ فاياك يا أخي والنزول بهحلة
 المخدوعين . واعلم أن السيد الكريم نعمه كثيرة لاتحصر وأن عطياته كثيرة
 لاتتجاوز وأن مواهيه كثيرة لاتكافأ . واعلم يا أخي أن لم أرنعمه متقدمة من
 الله عزوجل خلقه أفضل من نعمة العقل التي جعلها الله دلالة خلقه على معرفته
 والوصول بها إلى محض الإيمان به والذي أطلعهم الله به على مكنون علمه حتى

ورثوا البصائر ونفوا به خاطر الشك وكابدوا وساوس الشيطان ومعاريف
 فنته واستضاؤا بنور العقول في طريق حيرتهم فتجنبوها وخرجوا من ظلم
 الشك واعتقدوا بها معرفة الله والإيمان به والاخلاص والتوحيد وأفردوا
 الله جل جلاله وتقدست أسماؤه بالربوبية والعظمة والكبرياء . واعلم أن أهل
 اللب استدلوا به على خلق أنفسهم وعلى خلق الخلق كلهم وأنهم موسومون بسمة
 الفطرة وآثار الصنعة والنقص والزيادة مع تغير الأحوال فأول ابتداء الله لهم
 أن وهب لهم العقول التي بها وصلوا إلى الإيمان وبالإيمان وصلوا إلى نور
 اليقين وبنور اليقين وصلوا إلى خالص التفكير وبخالص التفكير وصلوا إلى
 استقامة القلوب واستقامة القلوب وصلوا إلى الصدق في الأعمال والأخلاصها
 لله تعالى فورهم ذلك البصائر في قلوبهم فوضخت الحكمة في صدورهم وجرت
 ينابيعها على ألسنتهم فهجموا بفطنة قلوبهم على غواصي الغيوب والارادة
 والاخلاص الذي ركب فيهم وأدر كوا بصفاء يقينهم غائص الفهم وأدر كوا
 بغائص فهمهم العلم المحجوب فعرفوا الله حق معرفته وتوكلوا عليه حق توكله
 وسلوا إليه الخلق والأمر فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا
 للحكمة وتوابيت للعظمة وخزان للقدرة وينابيع للحكمة فهم بين الخالقين
 مقبولون مدبرون وقلوبهم تحول في الملائكة وتتلذذ في حجب الغيوب
 وتحضر في طرقات الجنات . فالحمد لله الذي لا اله الا هو العظيم الذي من
 والا نعمه وأغناه . واعلم يا أخي أن من صدق الله أوصله إلى الجولان في
 ملائكة السموات بقلبه ثم يرجع إليه بطرف ما قد أفاده السيد الكريم
 فصار قلبه وعاءً لخير لا ينفد وعجائب فكر لا تنتهي ومعادن جواهر لا تفني
 وبحور حكمة لا تنزع أبداً ومع ذلك ملكوا الجوارح والأبدان . واعلم
 يا أخي أن في ابن آدم مضعة ان صلحت صلح سائر جسده وان فسدت فسد سائر

جسده وهي القلب . واعلم أنه لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولسانه ومن أجل ذلك صار القلب واللسان ملك البدن والجوارح والقلب هو المسلط على استخدامهم وذلك أنه معدن العقل والعلم والعنابة بجميع الخير والشر . مستودع القلب . واعلم يا أخي أنني وجدت اللسان مترجماً عن القلب ارادته وذخائر بصائره ووجدت الذكر جلاً لصداً القلوب وتيقظاً من وسن الأفيدة . واعلم أنني وجدت الشكر على من اختصه الله بنور العقل أكثر والحججة عليه آكده فلن هنا ألم الحجة وانقطعت المعاذير مع الاعذار والانذار فله الحجة البالغة علينا وعلى أهل العقول من خلقه وما أعرف أن أحداً أباً إلا من قبل تضييع الشكر لأنه ليس من ولد آدم أحد إلا وهو مختص بنعمة العقل إلا قليل فهم من حثى له من الشكر وحتى عليه ومنهم من أعطى من العقل دون ذلك فشكر الله على قليل ما أعطى فزاده الله حتى علا في درجة العقل ومنهم من كفر النعمة فلم يأخذها بشكر فنقص عن درجة العقل لأن العبد قد أعظم الله عليه النعمة في العقل فينبغي أن يكون شكره على قدر عظيم النعمة عليه . واعلم أن العقل والهوى ضدان مركبان في العبد كتركيب الجوارح وما يعتراهما في قلب ابن آدم فما يأبهما غالب استعلى على صاحبه واستولى على العبد فكانت أعماله كلها بالمستوى عليه فكان له تبعاً فشكر العبد إذا كان الله على نعمة عقله أن يتبع دلالاته عليه وعقله فيؤثر دلالتهما وما يدعوان إليه على هوئ نفسه . واعلم أن الأمر عظيم على قدر مانزي من غلبة الهوى علينا واستمكان الدنيا من قلوب علائنا وجهانا فلما كان ذلك منا كذلك عز وجود الصدق على كثرة وجود معرفته ووصفه وقل العمل به والقيام بمحقه وقد فشا الكذب وكثير الرياء والترين للدنيا وسلوك أودية الهوى ونزوول أودية الغفلة ولا يؤمن السبيل أن يركب على تلك الغفلة فتختلف النفس وأن الهوى قد قام مقام الحق يعمل به ويقضى بقضائه ويحكم بمحكمه

وقام سوء الأدب والمكر والخدية مقام العقول وقامت المداهنة مقام المداراة
 وقام الغش مقام النصح وقام الكذب مقام الصدق وقام الرياء مقام الاخلاص
 وقام الشك مقام اليقين وقامت التهمة مقام الثقة وقام الأمان مقام الخوف
 وقام الجزع مقام الصبر وقام السخط مقام الرضا وقام الجهل مقام العلم وقامت
 الخيانة مقام الأمانة فصار من قلة الأكياس لا تعرف الحق ومن قلة أهل الصدق
 لا يعرف أهل الكذب إلا عند أهل الفهم والعقل وال بصيرة فاعتدل الناس في
 قبح السريرة وقلة الاستقامة في أمور الآخرة إلا من عصم الله فأصبحنا وقد
 حيل بيننا وبين النقص الذي نكرهه من أنفسنا وحيل بيننا وبين أن ندخل
 في الزيادة التي نحبها لأنفسنا عقوبة لقبح أسرارنا بغيرينا في ميدان الجهل وغلب
 علينا سكر حب الدنيا فنحن نستيقن في هذين السبيلين وتنافس في الاستكثار
 منهما فصح عندي أن من الجهل بأمر الله والاغتراب به القيام على هذه الحالة
 والسلامة منها أيسر وأقرب رشدًا وهو أن يكون المرء في البلد الذي لا يعرف
 فيه مع التخلص إلى خمول الذكر أيها كان وطول الصمت وقلة المخالطة للناس
 والاعتصام بالله والغض على الكسر اليابسة وما دنو من اللباس مالم يكن مشهورا
 والتمسك بالقرآن والصبر على الشدائدين وانتظار الفرج . واعلم أنى قد نظرت بیث
 النفس والعناية بها فوجدت غفلتنا عظيمة وخطرنا عظيم والغفلة عن الخطير
 أعظم من الخطير لأنه إنما يعظم الخطير عند أولى العقول فكل ما عظم الخطير وعلمت
 أنه عظيم وكنت من أهل البصيرة حررك عظيم الخطير فانتقلت من عظيم الغفلة
 إلى حال التيقظ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فصل في ذكر الطمع وقبحه

وقال رحمه الله ينبغي لك يا أخي أن لا تأذن لقلبك في استصحاب ما يعسر عليك

طلبه وتخاف اطفاء نور القلب من أجله وكن في تأليف ما ينتك وبين الله محمود العاقبة واقطع أسباب الطمع فيستريح قلبك ويصير إلى عز الآيات وأماتة الطمع فيسد عليك سبيل الفقر ويسكن قلبك عن العناء ويسقط عنك بذلك الشغل بالمخلوقين واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل وقطعه واطلب راحة البدن باجتماع القلب على عدم الشغل برؤية المخلوقين وتعرض لرقة القلب بدوام مجالسة أهل الذكر من أهل العقول والمعرفة وحسن الأدب التاركين لفضول الكلام فان بمجالسة هؤلاء يصفو القلب ويرق ويقدح فيه النور وتحرج فيه ينابيع الحكمة وفتح باب دواعي الحزن إلى قلبك واستفتح بابه بطول الفكر واستجلب الفكر بالتوحش من الناس فان أبوابها في مواطن الخلوات وتحرز من ابليس بالخوف الصادق واستعن على ذلك بمخالفة هواك واياك والرجاء الكاذب فان التوسع فيه ينزلك بمحلة المصريين من أهل المكر والاستدراج وذلك لأن للرجاء طرقاً تؤدي إلى الأمان والغفلة فاياك أن تخذله مطية لسفرك وتخليص يا أخي إلى عظيم الشكر باستثناء قليل الرزق مع كثير الرضا بذلك واستقلل كثير الطاعة واستجلب النعم بعظيم الشكر واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم واطلب لنفسك العز بآماتة الطمع وادفع ذل الطمع بعز الآيات واستجلب عز الآيات يبعد الهمة واستعن على بعد الهمة بقصر الأمل وبادره باتهاز النعمة عند امكان الفرصة خوف فوات الامكان ولا امكان كال أيام الحالية مع صحة الابدان واحذر التسويف فان دونه ما يقطع بك عن بغيتك واياك يا أخي والتفريط عند امكان الفرصة فإنه ميدان يحرى بأهله بالخسران واياك والثقة بغير المأمون فان للشر حراوة كضرامة الذئاب ولاسلامة كسلامة القلب ولا عمل كمخالفة الهوى ولا معصية كعصبية العقل ولا عدم كفالة اليقين ولا جهاد كجهاد النفس ولا غلبة كغلبة الهوى ولا قوة كردة الغضب ولا معصية كحب النفاق وان حب الدنيا من حب

النفاق ولاطاعة كقصر الأمل ولاذل كالطمع وفقنا الله واياك لما اليه دعانا
وأعانا واياك على اجتناب ما عنه نهانا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فصل في التزيين

وقال رحمه الله وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال العقول
معدن الدين والعلم دلالة على أعمال الطاعات والمعرفة دلالة على آفات الأعمال
والبصائر دلالة على اختبار عاقب الأمور واختياره واردها وتصريف مصادرها
والتزين اسم لثلاث معان فتزيين بعلم ومتزيين بجهل ومتزيين بترك التزيين وهو
أعظمها فتنة وأحربها إلى أبليس. وأعلم أن الأساس الذي ينبغي للمريد أن يبني
عليه دينه معرفته نفسه وزمانه وأهل زمانه فإذا عرف عيوب نفسه وأراد
ما خذا ليس له من شر نفسه إن شاء الله تعالى فليبدأ بالخلوة ومحول نفسه
فلعله حينئذ أن يدرك بذلك الحزن في القلب والخوف الذي يحتجز به عمما
نهى الله عنه والشوق الذي يدرك به أمله من محبة الله والآلام يزيل متحيرا
متلذذاً متزييناً بالكلام يأنس بمحالس الوحشة ويتحقق بغير المأمون ويطمئن
لأهل الريب ويتحمل أهل الميل إلى الدنيا ويغتر بأهل الحرص والرغبة ويتأسى
بأهل الضعف ويستريح إلى أهل الجهل ميلاً منه إلى هواه إلى أن يفجأه الموت
وحلول الندم . وإذا وجدت المريد المدعى للعمل والمعرفة يأنس بمن يعرف
ولا يهرب من لا يعرف وينبسط و يمكن نفسه من الكلام بين ظهراً فـ من يعرف
فأتهم حاله أما أن لا يكون صادقاً في ارادته أو يكون جاهلاً بطريق سلامته أو مغلوباً
على عقله وعلمه مستحوذاً عليه هواه وما التوفيق إلا بالله العلي العظيم . وأعلم
يأخرى علماً يقيناً لا شك فيه أن لم بن أساس الدين على طلب السلامة فيه من الخطأ ولا
على حسن السيرة مناف الأخلاق والأداب ولكن ابتنيناه على أساس الهوى وعلى

ما خفَّ مُحْمَلَهُ عَلَى قُلُوبِنَا وَاسْتَخْفَتْهُ أَنْفُسُنَا وَاسْتَحْلَطَهُ أَسْنَتُنَا فَأَمْضَيْنَا فِيهِ أَعْمَالَنَا
طَمْعًا فِي الْزِيَادَةِ مِنَ التَّقْوَى بِزَعْمِنَا وَدَرْكَنَا حَسْنَ السِّيرَةِ مَنَا فِي الْإِحْلَاقِ
وَالْآدَابِ فَظَرَرْنَا بِعَذْلَكَ فَإِذَا قَدْ رَجَعْتَ عَلَيْنَا أَعْمَالَ إِثْرَاهُوَى بِالْنَّقْصِ مِنَ
الْزِيَادَةِ فِي الدِّينِ وَبَقِيَ السِّيرَةُ مَنَافِي الْإِحْلَاقِ وَالْآدَابِ بِنَظَرِنَا لِأَمْرَ الدِّينِ وَالْأُخْرَةِ
فَوَرَثَنَا ذَلِكَ الْخَبَرُ وَالْغَشُّ وَالْمَدَاهَنَةُ فَصَرِيرَنَا الْغَشُّ وَالْمَدَاهَنَةُ مَدَارَةً وَصَرِيرَنَا الْخَبَرُ
عَقْوَلًا وَآدَابًا وَمَرْوَاتٍ يَحْتَمِلُ بَعْضَنَا بَعْضًا عَلَى ذَلِكَ فَأَعْقَبَنَا ذَلِكَ تَبَاغْضَانِ الْقُلُوبِ
وَتَحَاسِدَانِ وَتَقَاطِعَانِ وَتَدَابِرَا فَتَحَابِبَنَا بِالْأَلْسُنِ مَعَ الرُّؤْيَا وَتَبَاغْضَنَا بِالْقُلُوبِ مَعَ
فَقْدِ الرُّؤْيَا نَذْمَ الدِّينِ بِالْأَلْسُنِ وَنَمْيلُ إِلَيْهَا بِالْقُلُوبِ وَنَدَافِعُهَا عَنَا فِي الظَّاهِرِ بِالْقَوْلِ
وَنَجْرُهَا بِالْأَيْدِيِّ وَالْأَرْجُلِ فِي الْبَاطِنِ فَأَصْبَحَنَا مَعَ قَبْحِ هَذَا الْوَصْفِ وَسِمَاجِهِ
لَا نَسْتَأْهِلُ بِهِ خَرْوَجَانِ النَّقْصِ وَلَا دُخُولًا فِي الْزِيَادَةِ فَإِنَّهُ وَاَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَى وَأَصْحَابُنَا لَا نَجِدُ رِجْلًا صَادِقًا فَتَأْسِى بِهِ وَلَا خَائِفًا فَنَلَزَهُ لِلْزَّوْمِ
لَهُ وَلَا مَحْزُونًا يَعْقُلُ الْحَزَنَ فَنِبَا كِيْهُ فَقْدَ صَرَنَا تَلَاهِي بِفَضْلِ الْكَلَامِ وَنَأْسِ
بِمَجَالِسِ الْوَحْشَةِ وَنَقْتَدِي بِغَيْرِ الْقَدْوَةِ مَصْرِينَ عَلَى ذَلِكَ غَيْرِ مَقْلِعِينَ وَلَا
تَائِبِينَ مِنْهُ وَلَا هَارِبِينَ مِنْ مَكْرِ الْإِسْتِدْرَاجِ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ التَّوْلِيِّ عَنِ اللَّهِ
وَالسُّقْوَطِ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ وَالشُّغُلِ بِغَيْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ جَلَ ذِكْرَهُ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ لِلطَّاعَةِ
ثُوا بِأَيِّ مَا وَعَدَ بِسِبْحَانِهِ مِنَ التَّفْضِيلِ وَالْإِحْسَانِ وَعَلَى الْمُعْصِيَةِ عَقَابًا ثُوا بِلَا يُحِبُّ
لِلْعَبْدِ عَلَى اللَّهِ الْأَمْنِ بَعْدَ تَصْحِيحِ الْعَمَلِ وَتَخْلِيَصِهِ مِنَ الْآفَاتِ وَتَصْحِيحِ ذَلِكَ وَتَخْلِيَصِهِ
لَا يَتَمَّ الْإِلْمَاعُ وَالْإِعْتِزَامُ وَاحْتِمَالُ مَوْتِهِ وَتَصْحِيحُ الْعَمَلِ وَالْإِعْتِزَامُ وَالْإِحْتِمَالُ
وَالصَّبْرُ عَلَى الْعَمَلِ لَا يَكُونُ الْأَمْنُ بَعْدَ ثَبَاتِ الْخَوْفِ فِي الْقَلْبِ وَالْخَوْفُ لَا يَوْجِدُ إِلَّا
مِنْ بَعْدِ ثَبَاتِ الْيَقِينِ فِي الْقَلْبِ وَثَبَاتِ الْيَقِينِ لَا يَكُونُ الْأَمْنُ بَعْدَ صَحَّةِ تَرْكِيبِ الْعَقْلِ فِي
الْعَبْدِ فَإِذَا صَحَّ تَرْكِيبُ الْعَقْلِ فِي الْعَبْدِ وَثَبَتَ وَقْعُ الْخَوْفِ مَا قَدْ أَيْقَنَ بِهِ بُغَاثَةُ عَزِيمَةِ
الصَّبْرِ مِنْ غَيْرِ تَكْلِفٍ فَأَحْتَمَلَتِ النَّفْسُ حِينَئِذٍ مَؤْنَةَ الْعَمَلِ طَمْعًا فِي ثَرَابِ مَا قَدْ

أيقنت به على فعل الطاعة وريبة عقاب ما فدأ يقنت به على فعل المعصية فتركت
المعصية والشهوة هربا من عقوبتهما واحتملت الطاعة بالاخلاص رجاء ثوابها
فكف الأحق الكيس ولم يعذر على لزوم الحق وكاف الجاهل التعليم ولم
يعذر على غلبة الهوى وكاف العامل الصدق والاخلاص والتيقظ في عمله
ولم يعذر على الشهوات والغفلة وترك الاخلاص فيه وكاف العاقل
الصدق في قوله ولم يعذر بالليل الى الكذب وكاف الصادق المخلص الصبر
عن ابتلاء تعجيل ثواب عمله في الدنيا من المخلوقين من حب الدنيا والتكرمة
والتعظيم وعندها انقطع العمال خاصة وحل بهم الجزع وتركوا عزيمة الصبر في
طلفهم تعجيل ثواب عملهم ولم يؤخر وثواب الاعمال يوم يوم الصابرون أجرهم
بغير حساب وخدعهم الانفس الامارة بالسوء عند سراسر اعمالهم حتى أبدواها
للمخلوقين بالمعانى والمعاريض وأظهروا الاعمال ليعرفوا بفضيلة العمل ليزدادوا
عند الناس فضيلة ورفعه فتعجلت أنفسهم ذخائر أعمالهم وحلاوة سرائرهم
بحسن الثناء والتكرمة والتعظيم ووطء الأعقاب والرياسة والتوسعة لهم في المجالس
واغفلوا سؤال الله لهم في عقدهم لمن عملوا وماذا طلبو فخسروا أنفسهم وأعمالهم
وخسارة ماهنالك باقية وندامة ماهنالك طويلة لما وردوا على الله فوجدوا
عظيم ما كانوا يؤمنون من ثواب سرائر أعمالهم التي عاجلوا فيها أنفسهم في الدنيا
فنعواها هنالك لأنهم قد كانوا تعجلوا ثوابها من المخلوقين وخرجوا من خير أعمالهم
صفرالدين فانا لله وانا اليه راجعون ما أقبح الفضيحة بالعالم العامل البصير الناقد
العارف غلة الصبر وابتلاء تعجيل الثواب والميل الى الدنيا وايثار شهواتها ولذاتها
فينبغي للعقل الحازم الليب العالم العامل العارف البصير الناقد أن يعذر ذلك
كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبغى تعجيل الثواب هنا وما التوفيق الا بالله العلي العظيم

فصل في الغيبة والنعمة

وقال رحمة الله اعلم أن مخرج الغيبة إنما هو من ترکية النفس والرضى عنها لانك إنما تقتصى غيرك بفضيلة وجدتها عندك وإنما اغبته بما ترى أنك منه برئ ولم تعتبه بشيء الا وما حتملت في نفسك من العيب أكثر وإنما يقبله منك مثلك فلو عقلت أن فيك من النقص أكثر لجزك ذلك عن غيبته ولاستحيت أن تعتابه بما فيك أكثر منه ولو علمت أن جرمك عظيم بغيتك غيرك وظنك أنك مبرأ من العيوب لجزك ذلك ولشغالك عن ذلك وكيف وإنما يلقى الأموات الأموات ولو كانوا أحياء اذا ما احتملوا ذلك منك ولتناهوا . واعلم أن ميت الأموات أحدهن العاقبة من ميت الاحياء وتفسير ميت الاحياء أموات القلوب وهم أحياء في الدنيا فهن كانت هذه صفة كثرة أوزاره وعظمت بيته فاحذر يا أخي الغيبة كذرك عظيم البلاء أن ينزل بك فان الغيبة اذا نزلت وثبتت في القلب وأذن صاحبها نفسه في احتمالها لم ترض بسكنها حتى توسع لأخواتها وهي النعمة والبغى وسوء الفتن والبهتان والكبر وما احتملها لبيب ولا رضي بها حكيم ولا استصحبها ولـ الله فقط فانا له وانا اليه راجعون

فصل في الاستدراج

وقال رحمة الله الاستدراج اسم لمعنىين فأحد المعنيين استدراج عقوبة للسيئة تنبيها على الانابة والمعنى الثاني استدراج لانابة فيه ولا رجوع فنعود بالله من الاستدراج وإنما يستدرج العبد على قدر بغيته فهم من يستدرج بالملك والسلطان وطاعة الناس له ومنهم من يستدرج بالدنو من الملوك والسلطانين والحظوة عندهم ومنهم من يستدرج بالتوسيعة في تجارتة بالتوسيعة في المال ومنهم من يستدرج بالأهل

والولد والغاشية والتبع ووطء الأعقاب ومنهم من يستدرج بعلمه بأن يكرم بسيبه ويحمد ويعظم ويسمع قوله فهو مستدرج بنيل حظه من علمه ومنهم العابد يستدرج من طريق العجب في عمله والقوة على ذلك في بدنـه ومنهم ذو البصيرة يستدرج بالزيادة في بصيرته بجميع من ذكرنا من المستدرجـين كلـهم لا يخلو من الرياء والعجب وكل مزين له ما هو فيه لا يرى إلا أنه على الطريق مقبول منه احسانـه وقد عـمى عن فـتنـة ما هو فيه من الاستدرجـانـه ومنـهم من يـنـبهـ فيـنـبهـ فيـرـجـعـ إلىـ الانـابةـ ويفـزعـ إلىـ الاـسـتـكـانـةـ وـمـنـهـ منـ يـهـمـلـ فـيـهـ مـنـفـسـهـ إـلـىـ حـضـورـ أـجـلـهـ وـقـدـ قالـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ لـنـبـيـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـ (ـوـلـاـ تـمـدـنـ عـيـنـكـ إـلـىـ مـاـمـتـعـنـابـهـ أـزـواـجـاـ)ـ مـنـهـ زـهـرـةـ الـحـيـاـهـ الـدـنـيـاـ الـفـتـنـهـ فـيـهـ وـرـزـقـ رـبـكـ خـيـرـ وـأـبـيـ فـهـذـهـ فـتـنـهـ الاـسـتـدـرـاجـ فـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـ ذـلـكـ وـالـمـسـتـدـرـاجـ مـفـتوـنـ فـلـاـ يـعـلمـ بـفـتـنـهـ مـزـينـ لـهـ عـلـمـ مـسـتـحـسـنـ ماـهـوـ فـيـهـ طـالـ لـلـزـيـادـةـ عـلـىـ ماـهـوـ عـلـيـهـ مـقـيمـ فـاحـذـرـ فـتـنـهـ الاـسـتـدـرـاجـ وـاعـلـمـ أـنـ الاـسـتـدـرـاجـ عـقـوبـةـ لـلـمـضـيـعـينـ شـكـرـ النـعـمـ

فصل في اليقين

وقال رحمـهـ اللـهـ أـعـلـمـ أـنـ لـلـبـوقـنـ عـلـامـةـ وـاـنـخـةـ تـعـرـفـهـ مـنـ نـفـسـكـ وـمـنـ غـيرـكـ وـهـيـ أـنـ المـوـقـنـ يـعـظـمـ عـنـهـ الـخـطـأـ وـالـزـلـلـ وـاـنـ كـانـ غـيرـ مـؤـاخـذـ بـهـ لـغـفـلـتـهـ عـنـهـ وـرـكـونـهـ إـلـيـهـ بـالـشـهـوـاتـ وـهـجـومـ اـبـلـيـسـ عـلـىـ قـلـبـهـ وـطـمـعـ نـفـسـهـ فـيـهـ هـوـ أـعـظـمـ مـنـهـ إـذـاـ عـمـلـ مـنـهـ شـيـئـاـ ظـنـ أـنـ قـدـ اـسـتـوـجـبـ النـارـ وـأـنـ مـسـلـوـبـ بـهـ مـاـأـنـعـ عـلـيـهـ بـهـ فـاـذـاـ كـانـ العـبـدـ كـذـلـكـ كـانـ مـوـقـنـاـ وـهـوـ يـعـلـمـ .ـاـنـ قـلـتـ مـاـبـالـ أـقـوـامـ عـارـفـينـ يـذـنـبـونـ .ـقـاتـ لـيـعـرـفـهـ اللـهـ فـضـلـهـ عـلـيـهـمـ وـاـحـسـانـهـ إـلـيـهـمـ عـنـدـ اـسـاءـهـمـ إـلـىـ أـنـفـسـهـمـ فـجـددـ عـنـهـمـ النـعـمـ وـيـسـتـقـبـلـونـ الشـكـرـ فـيـصـرـونـ بـذـلـكـ إـلـىـ أـعـلـىـ درـجـاتـهـمـ اـنـهـىـ

فصل في العجب

وهذا راجع إلى ما تقدم ذكره من الاستدراج أعني استدراج الملوك وغيرهم لكن بقى من الكلام على ذلك بقية يحتاج إلى ذكرها في هذا الفصل . قال رحمه الله فالعامة معجبون بما أوتوا من الأهل والولد والأموال والأرباح والمساكن والعلماء معجبون بعلمهم وما بسط لهم فيه من الذكر والقراءة معجبون بما نالوا من الثناء والتزمت^(١) بقرائهم والعباد معجبون بما نالوا من القوة على اظهار الزهد والصلة والصوم فليس من هذه الأصناف صنف إلا وهو يحب التعظيم والحمدة عند من هو دونه وعند من هو فوقه وأصل ذلك كله من التجبر وهذه فوئه فإذا ثبت التجبر في قلب عبد ثبتت فوئه جميا . والتجبر أصل منه يتفرع جميع الشر من الغضب والطمع والرياء وحب التعظيم والرياسة والمنزلة والسمعة والتزيين والطيش والعجلة وسوء الخلق والحرص والشره والمكر والخداع والجريمة والغش والخلاة^(٢) والكذب والغيبة والنعمة والحسد والقساوة والجفا . والشح وقلة الحياة مع فنون جميع الشر فنعود بالله من الشر كله

فصل في التواضع

وقال رحمه الله اذا ثبت التواضع في القلب ثبت فيه جميع الخير من الرأفة والرقه والرحمة والاستكانة والقنوع والرضى والتوكل وحسن الظن وشدة الحياة وحسن الخلق ونفي الطمع وجهاد النفس وبذل المعروف وسلامة الصدر والتشاغل عن النفس والمبادرة في العمل بالخير والبطء عن الشر كل امرى على قدر

(١) التزمت كالثلون وزنا ومعنى

(٢) الجريمة الذنب . والخلاة . بكسر الخاء الخديعة

ما فيه من البر يكون فعله على قدر ذلك ويكون حذر على قدر ذلك . فان كنت تسأل عن العجب الذى دخل أصحاب الاعمال من العباد فأخبرك بفتنتهم وشدة بلائهم فوقها واحذرها واستعن بالله فانه ليس شئ أتعجب الى ابليس الحديث من فتنة العابد لأن فتنة أهل الدنيا مكشوفة بطلتهم الدنيا والناس قد عرفهم بطريقها وفتتها فنهم من يحتملها وهو يعلم أنه مفتون فيها وأما فتنة العابد فهي أعظمها فتنة وأعظمها بلية وأعظمها صرعا لأنهم قد تركوا عبادة الدنيا وجدوا في طلب الآخرة وكابدوا المفاوز والقفار وجاهدوا صعود العقاب وجاهدوا أنفسهم على ترك الدنيا لمعرفتهم بالنفس وما تدعوه اليه ولمعرفتهم بالدنيا وما تدعوه اليه وأقبلوا على طلب الآخرة وايثارها بالصدق منهم وحسن الارادة غير أن الله جل ذكره امتحن هذا الخلق في كل أحوالهم في تمسكهم بالدنيا وفي تركهم لها وفي طلتهم الآخرة وايثارهم لها بالجهد والاجتهد وجعل في كل نوع من ذلك مؤنة لاتدفع إلا بالصبر ووعد ابليس وعدا فهو منجزه له إلى يوم القيمة بأن أسكته هو وذرته صدور بني آدم بحرى منهم مجرى الدم وذلك لمن أطاع منهم ولمن عصى ولو أليانه وأعدائه فليس للعبد في عبادته أن ينفي الشيطان عن قراره أو يزعجه عن المسكن الذي أسكته الله فيه ومكنته منه وهذه من المحن التي امتحن الله بها خلقه لينظر كيف يعملون غير أن العبد اذا تيقظ بقلبه خنس الحديث عنه فلم يكن له شئ الا مع غفلته وطبع الله الخلق كلهم على الغفلة والتيقظ وأيد الله العابد بما كا يدته ابليس فليس أحد أحوج الى صحة تركيب العقل فيه من هذا العابد الذي قدقصد خلافه وقوى على احتمال ترك الأسباب التي يصل بها ابليس الى ابن آدم من فنون الشهوات خذل ذلك أجمع وخلفه خلفه ثم قرب من العقبة التي ان جاوزها كان منحدرا الى الجنة باذن الله فتجرده ابليس وعلم أنه لم يبق عليه الا هذه الدرجة التي ان سلم منها نجا فلا يسلم في مثل زمانك

مع كثرة هذه الفتن والمحن لا من كان على مثل ما وصفت لك

فصل في النية والعبادة

وقال رحمه الله ينبغي للعبد أن يصحح نيته التي هي قوام عمله ويجمع لذلك قلبه وذهنه وعنايته ويقرر عمله فيما يأتى ويتبصر في عبادة ربه ويقصد معرفة ربه ومكايدة عدوه وبماجدة نفسه واياسه ايها من عملها لطلب الثواب لأنها ان انقطعت عن عبادتها لم تبلغ درجة الفتو لعظيم ماجنت من الاصابة ولو أن تلك العبادة والاحسان بازاً ذنب من ذنوها لاستأهلت بذلك الذنب العقاب لأن يغفر فكيف بجميع اسأتها مع قلة ما يستقبل من صياد^(١) التوبة والمراجعة ثم يحملها على طاعة الله ما استطاعت فان عارضه ابليس بشيء اورفت نفسها رأسها لذكره شيئاً من احسانها منها بما قد عرفه الله من قديم اسأتها ويدركها عيوبها فتنتفع عند ذلك ويكون ذلك زاجراً العدوه ان شاء الله تعالى عند ما يريد من خديعته ليوقعه في العجب بالباطل فلو كان عجبه عجب حقيقة من احتفال نفسه طاعة ربها بهشاشة منها وسرور ورثود فيها يكره الله لكن أولى الاشياء باليقين مع صدقها في الطاعات الرجوع الى الشكر لأن العمل بطاعة الله نعمة من الله على العامل فيما يسر له من العمل ومن غفل عن الشكر في العمل كان جاهلاً بربه جاهلاً بالعمل جاهلاً بالنعم ومن عقل الشكر وذكر نفسه احسان الله رجع الشيطان بعون الله صاغراً ناكصاً على عقبه فألزم نفسك الندم وارجع الى ما عرفك ربك من معرفة نفسك وعدوك وارغب الى الله في العصمة من شر نفسك وشر عدوك واسأله الكفاية فانه لم يلتجأ اليه أحد في شيء من ذلك الا وجده قريباً مجيئاً فاذا صار العبد الى هذه الدرجة أعطي هذه المعرفة فلا يكون له همة ولا بغية ولا مسألة

(١) صياد بكسر الصاد ما يسد به القارورة

الا نقلة من ضيق الدنيا وغمها مخافة أن تعارضه فتنها من فتنها تحول بينه وبين معرفته ويرتجى أن يصير إلى الآخرة وروحها ليأمن فيها على نفسه من رؤوات الشيطان وجنوده وأنا أوصيك أن تطيل النظر في مرآة الفكرة مع كثرة الحالات حتى يريك شين المعصية وقبحها فيدعوك ذلك النظر إلى تركها

فصل في العلم

وقال رحمة الله أعلم أن لدواعى الحبر علامات يستجلب بها دواعى الحزن والتفكير فهو بين ذلك مسرور لأن جعل ذلك في الدنيا بغيته وأمله وإذا أدرك أمله ووجد بغيته طاب عيشه كما أن طالبي الدنيا إذا أدركوا آمالهم من نعيمها أو زهرتها أحاط بهم السرور فكذلك طالب الآخرة وهو بعد ذلك من نفسه وعدوه وزوجته وولده وأهل زمانه خائف وجل لا يأمن من الشيطان الامع استذكاره قول الله عز وجل ((ومن يتوكل على الله فهو حسبي)) فيئذ يقوى قلبه ويستنصر به كيد من كايده وهو مع ذلك معتصم بربه وائق به فمن طلب الآخرة فلا يغفل وللين أمره على طلب السلامة من الخطأ وعلى أساس الصدق فيما بينه وبين ربها ولا يخاف على قليل عمله إذا خلاصه الله من الآفات كلها أن لا ينميه الله له ويكثره ولا سيما إذا كنت في زمان قد كثرت فيه الشبهة والاختلاف فأن تخليصك قليل حملك من بين ظهورك أهل الشبهة والاختلاف حتى تكون عاملًا على حكم الكتاب والسنة عند الله كثير فكمن في زمانك أشد تيقظاً للتخلص إلى معرفة ما كان عليه السلف الماضون من اتباع حكم الكتاب والسنة . واعلم أن المعرفة إذا استحكت فيك لم تدعك مع التقصير في العمل بل تنقلك من درجة إلى درجة حتى تبلغك غيات ما عملت من الخير أو يأتيك الموت وأنت طالب لمغایتها وكما أن الأرض لانتبت بغير ما، فكذلك العمل لا يصلح بغير معرفة فكلها

ازداد العبد بالله معرفة ازداد يقيناً كلاماً ازداد الله خوفاً وكمّا ازداد الله
خوفاً ازداد له طاعة وكمّا ازداد لربه طاعة ازداد له حباً وكمّا ازداد له حباً ازداد
إليه شوقاً وكمّا ازداد إليه شوقاً ازداد للهوت حباً . فإذا كان كذلك كان معموماً
في حالة مسرور و بذلك أن المعموم على الحقيقة لا يتّسّى بأهل السرور في الدنيا
ولا يجري معهم فيهم فيه وذلك أن المعموم جمّع همومه كلها فنصبها بين عينيه
ثم جعلها هما واحداً فقصر به أجله و هي بم على معاييره أحوال آخرته وأهواها
والمعموم بالحقيقة نبه الغم على التسويف فعمل للتقلة من دار الغموم إلى دار
السرور . و سأصل لك حال المعمومين إن شاء الله تعالى . أعلم أن الله عباداته دروا
فعرفوا فلما عرّفوا أيقّنوا فلما أيقّنوا خافوا فلما خافوا أعلموا فلما علموا صمتوا
فلما صمتوا عملوا فلما عملوا أشْفَقُوا فلما أشْفَقُوا جاهدوا فلما جاهدوا
رغبو فلما رغبوا أصْبَرُوا فلما صَبَرُوا أبصروا مساوى أنفسهم فلما أبصروا
مساوى أنفسهم قصدوا بجاهدتها بالقلوب فارتّفعوا عن أعمال الجوارح إلى
تصحّح القلوب فقلّوا طباعهم عن الريب والدّناءة وجانبوا في أحوالهم كلها
و معاملاتهم أحوال أهل المكر والخداع والخب والزرموا أنفسهم مجحة الطريق
في أفعالهم كلها ومنطقهم كله فاستخلصوا باطن الأعمال التي لا تظهر
للمخلوقين وأراحو أبدانهم من ظاهر الأعداء إلا مالزمهم من أداء الفرائض
المحتومة فصارت أعمالهم سراً بين قلوبهم التي هي أرجح وزناً وأحمد ذكرها عند الله
وعلقوا قلوبهم بحب لقاء الله فصغرت الدنيا في أعينهم فإذا أقبلت عليهم خافوا
وحزنوا خوفاً من الاستدراج والمكر وإن أدبرت عنهم سروا وفرحوا ودافعوا
الأيام مدافعة جيّلة مستترین عن الأهل والولد والأخوان والجيران فهمتهم في
باطن أمورهم كالديباج حسناً وفي الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم معمومون
يكثرون (١) الناس بوجوههم وقلوبهم بأكياس وصفاتهم أكثر من أن يحيط الوالصف

(١) يكثرون أي يضاحكون

بها في الكتب . والكلام في ذلك يكثُر فهذه صفات المعمومين على الحقيقة المسرورين
بأنه جل ذكره الفرجين به المنقطعين إليه والحمد لله رب العالمين

فصل في عيوب النفس

وقال رحمة الله أخوانى أنه من لم يعرف نفسه وعيوبها فهو من استقامه دينه
على اعوجاج . وأعلم أن من حسن سيرة العارف بعيوب نفسه أن لا يبني دينه
على قبح ولا فساد وأصل العلم الغريب يدرك بفطنة العقول المرضية وبنور
الحكمة الثاقبة وبمخالفة الأهواء ويفوائد المعرفة الشافية وباصابة الحق في القول
والعمل بال بصيرة ولا ياخ هذه المراتب العالية الامن تقلد حب الآخرة موقفها
وراغبا فيها ومؤثرا لها على مساواها وخاف عن قلبه حب الدنيا وزهد فيها
بالحقيقة واستشعر التواضع وهجر الهوى فينبغي للعامل الحازم اللبيب العالم
العامل العارف البصير أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبتغى تعجيل
الثواب ويتحرك لعزيمة الصبر و بالله التوفيق

فصل في الاشياء التي يستعان بها

على معرفة عيوب النفس

وقال رحمة الله أعلم أني وجدت الذى يعين على معرفة عيوب النفس والعمل
في مجاهدتها مخالفة الهوى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . يا أخي انه
لن يعدمك من عدوك خاطر الشر في القلب للعصبية فادفعه عنك بحاكم العلم
من القلب للطاعة . وانه لن يعدمك من نفسك سرعة القبول لموافقة الهوى
فأدرأه عنك بقلة المساعدة لخلاف الهوى وأنه لن يعدمك من عدوك التبيط^(١)

(١) التبيط التقاعد

عن العمل فادفعه عنك بتعجيل المبادرة الى العمل . وانه لن يعدمك من نفسك التثبت بالكسل فادفعه عنك باغتنام الصحة . وأعلم يا أخي أن القلب اذا تراكمت عليه أقدار الذنوب وأطفار الشهوات (١) عمى واسود ونكس وطفى نوره فلم يبصر عيوب نفسه وأبصر بعينه عيوب غيره فشغل به عن عيوب نفسه فليس شيء أولى بالمدعين للارادة من أن يتولوا الى الله عز وجل بطلبهم منه صلاح قلوبهم ليسروا من شرور أنفسهم وغلبة أهوائهم . واعلم أن القلب اذا لم يثبت فيه الحزن خرب كما أن البيت اذا لم يسكن خرب

فصل في الحزن والخوف

وقال رحمة الله اعلم أن العلم والعمل بالعلم لا ينفع العبد الا باستقامة قلبه والاعداد العلم عليه فصار جهلاً وعاد العمل فصار ضرراً مع أن فساد قلوبنا هو الذي فرق بيننا وبين سلوك طريق الاستقامة والاتباع للقوم الذين يصلحون عند فساد الناس وهم الذين لم يتركوا من الفرائض شيئاً إلا أدوه لم يتركوا الصلاة والزكاة والحج والجهاد والصيام والغسل من الجناية والظهور للصلة كل ذلك واجب عليهم وهو شيء معروف لم يزد فيه ولم ينقص منه فما بال الفساد واقع علينا ونحن لم ننكر هذه الفرائض كالمبنكروها وانا لنعمل في الظاهر بأكثرها غير أن القلوب من مائة إلى حب ما زهد القوم فيه والأنفس منا قبلة لحب هواها مستقلة لما في الحق من الصبر والمكرهه . وسأعطيك دواء لفساد قلبك ينفعك الله به اذا كانت لك حياة ان شاء الله تعالى اعلم يا أخي أن القوم صبروا على مكرهه مادهتم عليهم الحق فصبروا في الغضب والرضا والشدة والرخاء والمسرة واليسر والعافية والبلاء فكانت أهواهم تابعة للحق على ما أحبت الأنسوس وكرهت فكان الحق لهم قائداً أو الهوى لعقوتهم

(١) الطفوس قدر الإنسان اذا لم يتعهد نفسه

تابعاً فاستقامت منهم السيرة بـلـزـوـمـهـمـ مـحـجـةـ الـحـقـ فـيـ موـاطـنـ غـضـبـهـمـ وـرـضـاـهـمـ وـطـعـمـهـمـ وـتـقـواـهـمـ وـكـانـواـ اـذـاـ اـمـتـحـنـواـ فـيـ هـذـهـ موـاطـنـ ظـهـرـهـمـ قـوـلـ الـحـقـ فـيـ موـاطـنـ غـضـبـهـمـ وـهـمـ لـهـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ أـلـزـمـ وـأـشـدـ تـمـسـكـاـ مـنـهـمـ فـيـ موـاطـنـ الرـضـاـ فـاـنـ عـارـضـهـمـ طـعـمـ دـنـيـاـ ظـهـرـهـمـ التـنـزـهـ وـالـورـعـ وـالتـقـوىـ وـالتـائـىـ وـفـقـدـمـهـمـ الـحـرـصـ وـالـرـغـبـةـ خـوـفـهـمـ وـكـانـ مـنـهـمـ كـالـطـبـاعـ لـمـ يـتـصـنـعـوـاـ فـيـ وـطـبـاعـنـاـ الـيـوـمـ بـخـلـافـ ذـلـكـ كـاـهـ وـكـانـواـ أـخـوـفـ لـهـ وـلـهـ أـحـذـرـ مـخـاـفـةـ أـنـ لـاـ يـقـبـلـ مـنـهـمـ عـمـلاـ فـلـاـ تـفـرـحـ بـكـثـرـةـ الـعـلـمـ مـعـ قـلـةـ الـخـوـفـ وـاـغـتـمـ قـلـيلـ الـعـلـمـ مـعـ الـخـوـفـ فـاـنـ قـلـيلـ حـزـنـ الـآخـرـةـ الدـائـمـ فـيـ الـقـلـبـ يـنـقـيـ كـلـ سـرـورـ سـرـرـتـ بـهـ وـأـلـفـتـهـ مـنـ سـرـورـ الـدـنـيـاـ وـقـلـيلـ سـرـورـ الـدـنـيـاـ فـيـ الـقـلـبـ يـنـقـيـ عـنـكـ جـمـيعـ حـزـنـ الـآخـرـةـ وـالـحـزـنـ لـاـ يـصـلـ إـلـىـ الـقـلـبـ إـلـاـ مـعـ تـيـقـظـهـ وـتـيـقـظـهـ حـيـاتـهـ وـسـرـورـ الـدـنـيـاـ لـغـيرـ الـآخـرـةـ لـاـ يـصـلـ إـلـىـ الـقـلـبـ إـلـاـ مـعـ غـفـلـتـهـ وـغـفـلـةـ الـقـلـبـ مـوـتـهـ وـالـحـزـنـ يـوـقـظـهـ وـيـسـتـبـطـ لـهـ الـيـقـظـةـ مـنـ خـالـصـ عـيـنـ الـيـقـينـ وـبـخـطـرـاتـ غـامـضـ الـفـهـمـ تـكـوـنـ خـطـرـاتـ الـيـقـينـ وـعـلـامـةـ ثـبـاتـ الـيـقـينـ فـيـ قـلـبـ العـبـدـ اـسـتـدـامـةـ الـحـزـنـ فـيـ

فصل في الزهد والخلوة

وـقـالـ رـحـمـهـ اللـهـ تـعـالـىـ اـعـلـمـ أـنـ لـمـ أـجـدـ شـيـئـاـ أـبـلـغـ فـيـ الزـهـدـ فـيـ الـدـنـيـاـ مـنـ ثـبـاتـ حـزـنـ الـآخـرـةـ فـيـ الـقـلـبـ وـعـلـامـةـ ثـبـاتـ حـزـنـ الـآخـرـةـ فـيـ الـقـلـبـ أـنـسـ الـعـبـدـ بـالـوـحـدـةـ وـمـوـضـعـ هـيـاجـ الـحـزـنـ السـرـورـ وـمـعـدـنـهـ وـمـفـاتـحـهـ الـعـقـلـ وـمـحـالـهـ أـنـ يـكـونـ مـحـزـونـاـ مـسـرـوـرـاـ فـيـ حـالـةـ وـاحـدـةـ وـجـيـعـ الطـاعـاتـ تـوـجـدـ بـالـتـكـلـفـ وـالـحـزـنـ لـاـ يـوـجـدـ بـالـتـكـلـفـ إـلـاـ أـنـ يـصـلـ إـلـىـ الـقـلـبـ الـذـىـ يـكـونـ مـنـهـ الـحـزـنـ وـذـلـكـ أـنـ أـهـلـ الطـاعـةـ قـدـمـواـ بـيـنـ يـدـيـ الـأـعـمـالـ لـطـيفـ مـعـرـفـةـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ بـهـاـ يـسـتـدـيـمـونـ صـالـحـ الـأـعـمـالـ وـيـسـهـلـ عـلـيـهـمـ مـاـخـذـهـاـ توـطـيـنـاـ مـنـهـمـ لـأـنـفـسـهـمـ اـسـتـصـحـابـ نـيـتهمـ

إلى انقضاء آجالهم فصيروا أعمالهم في الدنيا يوماً واحداً وليلة واحدة وكلما مضت ليلة استأنفوا الثانية وطلبو من أنفسهم حسن الصحبة ليومهم وليلتهم وكلما مضى عنهم يوم بحسن الصحبة منهم أو ليلة راقبوا أنفسهم فيها على جميع الطاعات وكان ذلك عندهم غنيمة وذكروا اليوم الماضي فسروا به فصبروا أنفسهم على اليوم المستقبل لخوف انقضاء الأجل فيه أوفي ليلته وطرحو اشغل القلب بذكر غد واستعملوا أجسادهم وجوارحهم فيه وتفرغوا له فقصرت عنهم الآمال وقربت عندهم الآجال وتباعدت عنهم أسباب وساوس الدنيا وعظم شغل الآخرة في قلوبهم فنظروا إليها بعين صحيحة النظر نافذة البصر وتقرروا إلى الله بالأعمال الزاكية فاستقامت لهم السيرة حين وجدوا حلاوة الطاعة وطاواعتهم الزيادة في التقوى فقررت بالخوف أعينهم وتنعموا بالحزن في عبادتهم حتى نحلت أجسامهم وبليت أجسادهم وقل مع المخلوقين كلامهم وتلذذوا بمناجاة خالقهم فقلوبهم بكلكوت السموات متعلقة وفكيرهم بأحوال القيمة مقبلة مدبرة وأبدانهم بين المخلوقين عارية فعمموا عن الدنيا وصموا عنها وعما فيها ووضح لهم أمر الآخرة حتى كانوا ينظرون والحمد لله رب العالمين . ثم نظرت في ذلك فلم أر شيئاً أقرب ولا أجمع لذلك كله من حمية الأنفس عن ألفها وقطع مجاورة المخلوقين بمنع القلوب عن الأخبار التي بها تهيج القلوب من الأشغال القواطع عن التفرغ للحزن أو البحث عن أمر الآخرة والترك للدنيا وما فيها فورثه ذلك حب الخلوات فأحاجها ولزمها وأنس بها واستوحش من المخلوقين وذلك حين جرت عذوبة الخلوة في أعضائه كما يحرى الماء في أصل الشجرة فأورقت أغصانها وأمرت عياذها ولزم خوف ما يجيء به يوم القيمة سويداء قبله فهاج له من الخلوة فنون من أصول الزهد في الدنيا حتى أنه لو اجتهد في فن منها على أن يستحكم له لعظمت عليه المؤنة واشتد عليه فيه

الصلاح فإذا بلغ الله العبد هذه الدرجة حبست إليه الخلوة . فأول ما يستفيد من حب الخلوة الاخلاص في العمل والصدق في القول فيما بينه وبين الله تعالى وفي حب الخلوة راحة للقلب من غموم الدنيا وترك معاملة المخلوقين في الاخذ والعطاء وخرج ذلك كله من صحة العقل فأسقط عن نفسه بالخلوة وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومداهنة المخلوقين ويحبب إليه بالخلوة خمول النفس وامداد الذكر في الناس وهو طريق الصدق ومنه يكون الاخلاص ويحبب إليه بالخلوة الزهد في معرفة الناس والانسان بالله ويوهبه استقبال المخلوقين حتى يفر منهم فراره من الأسد وهو غير مفارق لجماعتهم . ويعطى من حب الخلوة طول الصمت من غير تكاليف غلبة الهوى بالصبر ومن الصمت والصبر غلبة الهوى . ويعطى من حب الخلوة الاستغلال باسم نفسه وقلة اشتغاله بذكر غيره وطلب السلامة مما فيه الناس . ويعطى بالخلوة كثرة الهموم والأحزان والفكير وهذه الخصال من أفضل العبادة وخرجها من خالص الذكر . ويعطى بالخلوة الأعمال التي تغيب عن أعين العباد وتظهر لرب العباد والبلاد وقليل ذلك كثير وخرج ذلك من الصدق . ويعطى بالخلوة التيقظ من غفلة أهل الدنيا وما يذكره منها الخاص والعام ويعطى بالخلوة ترك الرياء والتزيين وكل ذلك من دواعي الاخلاص وهو محض الصدق . ويعطى بالخلوة ترك المرأة وترك الخصومات والجدال وذلك ينفي الرياسة من القلب . ويعطى بالخلوة قلة الخلف في الوعد والتوك من الكذب والأيمان والخث فيها وخرج ذلك من الصدق . ويعطى بالخلوة قلة الغضب والقوة على كظم الغيظ وترك المقد والشحناه ومعاملة الخلق بسلامة الصدور . ويعطى بالخلوة رقة القلب والرحمة وهو ينفيان الغلطة والقساوة وهو من دواعي الخوف وبالخوف الثابت في القلب يخشى العبد ويكتي من خشية الله تعالى في الليل والنهار وهي من غaias

العبادة . ويعطى بالخلوة تذكرة نعم الله عليه واحسانه اليه وطلب الشكر والزيادة من الطاعة . ويعطى بالخلوة وجود حلاوة العمل والنشاط في الدعاء ويجري ذلك من القلب مع تضرع واستكانة . ويعطى بالخلوة القناعة والتوكل والرضا بالكافاف للغفاف والاستغناء عن المخلوقين . ويعطى بالخلوة عزوب النفس عن الدنيا وشهواتها وفتنتها والشوق الى لقاء الله وخرج ذلك من حسن الظن بالله وخوف التقصير في العمل . ويصلى بالخلوة حياة القلب وضياء نوره ونقاذه بصره في عيوب الدنيا ومعرفته بالنقص والزيادة في دينه . ويعطى بالخلوة الانصاف للناس من نفسه . ويعطى بالخلوة خوف ورود الفتنة التي فيها ذهاب الدين والاشتياق الى الموت والانس بكلام رب العالمين وهو القرآن لما قد وجد من حلاوة المناجاة في القرآن الذي جعله الله نوراً وشفاءً للؤمنيين فإذا التبس عليك هذا الطريق واشتبرت عليك الأمور فقف نفسك على الإرادة من الترغيب والترهيب والتشويق الى ما يذهب الله اليه المؤمنين فانك ترجع بصيراً من حيرتك وعلماً من جهالتك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانظر الى كل موطن يضطررك الى الصبر فاهرب منه فانك تعجز عن القيام به . واعلم أنه لا يثبت لك قدم على محجة دين الله وفيك خوفان خوف الفقر وخوف الغنى والثروة فان ذلك مفتاح فقر الأبد وخوفك من السقوط من أعين الناس هو الذي يسقطك من عين الله وينسيك حظك منها فادرأ ذلك عنك واطلب التخلص وهي^{*} لذلك خوفين خوف أن مثلك لا يستأهل أن يبلغ ما يؤمل من الآخرة فان تفضل عليك ربك يلوغ أملك فأتبعه الشكر ولتحضره خوفاً شديداً لأنك لا تقوم بالشكر لما أنعم به عليك كما ينبغي فان لم تفعل ذلك خفت عليك أن تسلب النعمة فترجع الى أسوأ حالك فإذا ألزم العبد نفسه هذين الحالتين وتمسك بهما رجوت ان يؤمنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وقد روى

عن بعض العلماء بأنه أنه قال لست آمن على نفسى الفتنة وأن يحال بيني وبين الاسلام فهو لا يخافون هذا وهم الصفوه الذين اختارهم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم خافوا مع سابقتهم وطاعتهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهجم عليهم أقل مما أنت فيه من الفتنة فيحول ذلك بينهم وبين ما كانوا يعرفون من حلاوة الامان فكيف بك يا مسكون ولا سابقة لك الا في الشر ولا حلاوة عرقها قديما من الاسلام الا حلاوة المعاصي وأنت بارك في دولة الفتنة وزمان الشر تحب البقاء طمعا في الزيادة وأنت مع ذلك لاتنقم عليها سببا خدعتك وأنت لا تعلم أنك مخدوع . واعلم أن المطبع اذا كان غير عالم بما يلزمه من الطاعة في عبادة ربه ولا عارف بمكايده عدوه هانت على ابليس صرعته لأنه ليس نوع من العبادة الا ولها ضد من الفتنة فمن لم يعرف الخير وضده من الشر ولا سيما في العبادة خاصة ثم اجتهد خلاه ابليس واياها لما يعلم من قلة علمه بعبادته وما يحب عليه فيها ولم يتعرض له في نفس عبادته بشيء ويقصد له جهة آفاتها التي تبطل عبادته من شهوة النفوس التي تسارع في قبول ذلك فيتزين عنده أن ذلك خير من عندها وأنه سيجزى ويثاب فيصدقها بما تلقى إليه من ذلك فتزهو النفس لرضى صاحبها عنها ويتحقق ابليس ظنه به وبالخدع له فاذن قد صرخ وخندل وجلأ إلى نفسه بميمه عن طريق الشكر ويظهر له من فتنه عدوه ما يستصربه المخلوقين وتكون نفسه عنده أنه لا عدل لها زكاه وطيا وهي أخت الأنفس وأنتها وأسقطها من عين الله تعالى فكلما سول له نفسه من عمل احتمل فيه الأذى مع مساعدته ايها وشدة رضاه عنها من تحمل لبس الحشيش وأكل الطعام الجشيم وطول السهر والصبر على ظاهر العبادة بما يفتنه به ويستميل به ابليس قلوب الجهال . ولقد قال بعض الحكماء انى لأعد كلامي فيها لا بدلي منه مصيبة واقعة أستعين بالله على السلامة منها واني لأعد صمتى عملا لا يعنينى

غنية واحداث نعمة أنتس الشكر عليها اذ عملت ان من وراء كل كلبة رقياعيدها وأنزل مااضطررت اليه من القول مصيبة نازلة وماكفيت من الكلام غنية باردة . ويروى عن بعض الحكاء أنه قال ان من شر كسب الدين والدنياتنقيس العبد غيره والحقيقة فيه وهي الغيبة ويقال أنها تفطر الصائم وتنقض الوضوء وتحبط الأعمال ويستوجب بها صاحبها المقت من الله تعالى والغيبة والنسمة خرجهما من طريق البغي والنعام قاتل والمغتاب آكل ميتة والماهي متكبر وهو لاء الثلاثة أمرهم واحد بعضها مفتاح لبعض وذلك كله مجانب لأحوال المتقين

فصل في معرفة أصل الأشياء

التي تترفع منها فنون الخير

وقال رحمه الله سأله سائل حكيمًا فقال أخبرني بأصل الأشياء التي منها تترفع فنون الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليه الأعمال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فقال له الحكم اعلم أن أصل الأشياء التي تترفع منها فنون الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليه الأعمال بعد اليقين بمعرفة النعم والقيام بأداء الشكر والعمل به وأن يصح عنك أن جميع الخير مواهب من الله تعالى وتعلم أن جميع المعاصي كلها عقوبة من الله تعالى وهي من طريق الخذلان وذلك من علامات السخط فإذا اعترفت بذلك كثرت حسناتك وقلت سيناتك لأنك اذا علمت أن الإحسان نعم ومواهب من الله تعالى ازدت في الشكر واستقللت كثير شكرك عند صغير نعمه عليك لأن الجبار العظيم من بها عليك وساقها إليك فقل عنك كثير الشكر وكبر عنك صغير النعم بغير حيئتك في ميدان الزيادة من عمل الخير وعلمت معرفة الرضا وطمعت في العفو وإذا علمت أن الإساءة التي اكتسبتها إنما هي خذلان من الله وإنما هي من طريق السخط فرعت إلى التضليل فنزلت بساحته وإلى الاستكانة

فصحبتها والى التواضع فاتخذته خدنا فاذا كان ذلك كذلك لجأت الى التوبة
فاستجرت بها ولبس جلب الحياة مما سلف منك وشهاد الله عليك به وشاهده
منك من الاصامة مع ما تعرف من كثرة احسانه فلم تتعرض بعد ذلك لشيء
ما يكره وعمدت الى المعاشر فعاديتها منك ومن غيرك فتكره أن يعصيه أحد
من خلقه كلهم بصغرى أو كبيرة فراجعت الاحسان مجتهداً وأنت مع ذلك
عارف بالنعمه عليك في التبني والرجوع وان ذلك تفضل منه عليك فالقسمت
لطيف الشكر بعد اقلالك عن الاصامة بشدة المضادة لها فعظم شكرك عند
التحويل الى الاحسان بعد الاصامة فاذا ذاك قد صرت في جميع أحوالك شاكراً
ذاكراً ولم يعجزك معرفة الاحسان فشكّرت حينئذ الشاكر المشكور الذي وعد
على الشكر الزيادة ووعده لاخلف فيه وعرفت الاصامة من أين كان مخرجاها
فراجعت الاحسان بالعتاب منك لنفسك ولمن زين الاصامة لك ودعاك اليها
فهذا الأصل الذي تفرع منه فنون الخير وبه تغلق أبواب الشر ولا حول ولا
قدرة الا بالله العلي العظيم

فصل في كيفية تهويين سلوك الطريق

والوصول اليه بعون الله تعالى

وقال رحمة الله سئل رجل من أهل العلم فقيل له أوضح لنا المنزلة التي ينال
العباد بها القرب من ربهم ويقولون بها على معرفته ويلغون بها رضوانه والأمر
الذى يقربهم اليه ويقصر بهم عنه أيضاً شافياً حتى يكون ذلك عندنا بينما
فقال سأوضح لك ذلك ان شاء الله تعالى فاقرئ لهم قولى بفهم لا يخالف طه سهو وتذكر
فيه بتذكرة لا يخالف طه غفلة واصبر عليه صبراً لا يخالف طه جزع فانك ان تفعل ذلك
ينهج لك منهاج الطريق وتسسلم من تقصير طريق الهملة والتوفيق بالله تعالى

اعلم أن مبتدأ الأمور والذى لا ينتفع بشئ إلا به العقل الذى جعله الله جل ذكره زينة خلقه ونورا لهم . فالعقل يعرف العباد خالقهم وأنهم مخلوقون وأنه المدبر وهم المدبرون وهو الباقي وهم الفانون فاستدلوا بعقولهم على مارأوا من خلقه في أرضه وسمائه وسمسه وقره وليله ونهاره وعلموا أن لهم ولهذا الخلق خالقا وأن لذلك كله مدبرا وأنه لم يزل ولا يزال وعرفوا به الحسن من القبيح وعلموا أن الظلمة في الجهل والنور في العلم هذا ماده لهم عليه العقل . فقيل له كيف يكتفى العباد بالعقل دون غيره . فقال إن العاقل دله عقله الذي جعله الله قوامه وزينته على أن له رباً وعلم أن ربه لم يخلق عبشاً وأنه لم يخلق خلقه لعباً وعلم أن خالقه حبها وكراهية وأن له طاعة ومعصية فلم يجد عقله دله إلا على ذلك وعلم أنه لا يوصل إليه إلا بالعلم وطلبه وأنه لا ينتفع بعقله إنما يطلب ذلك ويعمله فوجب على العاقل طلب العلم والأدب وهو الذي لا قوام له إلا به . فقيل له صف لنا ما هذا العلم الذي لا ينبغي للعاقل إلا طلبه ولا يجوز له التقصير بنفسه عنه فقال طلب العلم الذي جات به رسليه وأنياؤه عنه من أمره ونهيه ووعده ووعيده وملائكته وكتبه ورسليه وجنته وناره وبعثه وحسابه وحلاته وحرامه وطاعته ومعصيته ومحبته وكراهيته . فقيل له هل يكتفى العالم بما علم من ذلك أو يحتاج إلى غيره فقال لا ينتفع العالم بما علم من ذلك دون الإيمان به وأن يقر ذلك في قلبه حتى يعلم أن الله هو الحق وأن ماسواه باطل وأن أحداً لا يملك له نفعاً لم يقدر الله له ولا ضرًا لم يكتبه عليه . فقيل له فهل يجب عليه بعد الإيمان غير ذلك أو يكتفى به . فقال نعم إن الله تبارك وتعالى أمر عباده بالطاعة والعبادة له والعمل بها ونهى عن معصيته وركوبها فلن آمن ولم ي عمل كان متهاوناً وتصديق الإيمان العمل به . فقيل له فكيف العلم وكيف العمل . فقال أن تعمل بمحبة الله عز وجل وإن خالفها لك وأن تعمل بطاعة الله وإن أخططك وأن تجتنب

سخط الله وان سرك وأن تدع كراهيته وان أحببتك وأن تؤثر ما هو له وان ساءك
 وان ترغب فيها رغبك وترهد فيها زهدك وأن يجعل القرآن امامك ودليلك . فقال
 له السائل قد للتني على العمل فعرفت وعرفت فآمنت فلم يكن على ذلك كبير مؤنة
 ولا عظيم مشقة بل خفة وراحة مع ما استرددت به هداية وبصيرة ومعرفة فلما
 صرت الى العمل به لزمني في ذلك مؤنة شديدة وثقل كبير حتى حال بيني وبين
 كثير من الذي عيشتى ونعم دنياى وحملنى على المكرره وصرفني عن كثير من
 السرور فصفى لي أمراً أقوى به على العمل فيما آمنت به فقد اشتدت على مؤنته
 وثقل على احتماله . فقال الأمور التي تقوى بها على العمل والأدب الصبر الذى
 هو تمامه وقوامه فأنك ان صبرت انتفعت بعلمه وبلغت منه رضوان الله
 وقويت فيه على العمل وليس منزلة من منازل الخير الا وللصبر فيه عمل وبه
 تمامه . فالصبر قوى العباد على أداء الفرائض والحلال والحرام وبالصبر قووا
 على اجتناب المحارم وبالصبر بلغوا الغاية من كرامة الله تعالى وثوابه فإذا صبرت
 على العمل انتفعت بالعلم والأدب وانك ان لم تصبر لم تعمل وان لم تعمل لم تنتفع
 بالإيمان بما علمت ومن لم ينتفع بالإيمان لم ينفعه العمل ومن لم ينتفع بالعمل
 لم يغن عنه العقل . فرأس أمر العباد العقل ودليلهم العلم ونورهم الإيمان وسائلهم
 العمل ومقر لهم الصبر فمن لم تكن له قوة على الصبر ضعف ومن ضعف لم يعمل
 ومن لم يعمل لم يتم له أمره ونوره وبقي في ظلمة ومن ذهب عنه النور عمى وحاد
 عن الطريق ومن لم يصر فليتبع الدليل وهو القرآن ومن اتبع العلم الذى هو النجاة
 من المول العظيم وعمل له وصبر عليه صار الى غاية العلم والأدب . فقال له قد
 بصرتني من فضل الصبر قوته وعلمتني مارغبني فيه وقواني على العمل به مع ثقله
 على فضل امراً أزداد بالصبر تبصرأً وفيه رغبة وعليه حرصاً . فقال صبرك
 على الطاعة وطلبك لها وهربك من المعصية وبليتها هو الذى يرغبك في الطاعة

ويبيّن لك فضلها . قال قد شرحتي أمر الصبر وفضله فزدني به تبصرًا . فقال له هذا الدليل والامام كتاب الله هو الذي يبيّن لك فضل الصبر ويرغبك في لزومه فان الله تبارك وتعالى وصف أعمال العباد ذكر ثوابهم فلم يذكر ثواباً يعدل ثواب الصبر فانه ذكر أنهم يوفون أجراً بغير حساب فهو الدليل على فضل الصبر مع ما ذكر من ثوابه في موضع من كتابه . فقال له صاحبه قد دلني العلم وكتاب ربى على ما ذكرت من فضل الصبر وثوابه فزادني بفضلة تبصرًا وازدادت عليه حرصاً وفيه رغبة وبه تمسكاً وعليه اعتماداً مع شدة منه على وثقل وصبر على خلاف ما أشتهرى وحمل نفسي على ما أكراه لطبيبي في الأجر والفضل وابتغاء العمل والأدب فنصف لي أمراً يخفف به على مؤنة الصبر ويسهل على لزومه ويخف على احتماله وتذلل صعوبته . فقال له أراك للخير مريداً وللفضل طالباً وعليه حريضاً وتحب أن تكون قدقوية على مادلك عليه العلم بنفذ من الصبر وقوه من العمل وذلك من علامات السعادة فان العبد كلما ازداد على ما فيه تفهمما ازداد للخير طلباً وعليه حرصاً يخفف عليه الثقيل وقرب عليه البعيد وطفأ في الدنيا عما يريد وإنما الثقل والعسر تمثل الدنيا في قلب العبد وهي مرصد ابليس وسلامه فإذا قطع عنه ذلك استثار القلب وخرجت الظلمة منه فلم يكن للشيطان به احتمال قوه ولا له فيه نصيب ووصل من الأمر إلى ما يريد . فقال له زدني مايسهل به على ثقل احتمال الصبر ويخففه على . فقال له الأمر الذي يسهل عليك ثقل احتمال الصبر ويخففه عليك الرضا عن الله تبارك وتعالى بكل ماصنع بك واختاره لك وساقه اليك . فقال له صاحبه فأوضح لي كيف يهون على مؤنة الصبر برضائي عن الله ويخفف على احتماله . فقال ألسست تعلم أنك إنما انتسبت إلى الرضا وسيته صبراً لأن الأمر الذي نزل بك مكروره عليك وإن هو لك ونفسك ينazuنك إلى غيره فاحتاجت إلى الصبر فتدبرت واعتبرت فصرت من

ذلك الى موضع رضاه ثم يتجاوز بك الامر حتى تصير الى موضع السرور حتى ترى لوصف ذلك الامر عنك لصرت منه الى تقوية نفسك وعلمت أن ما صرف عنك عقوبة بعض ما أحدث من ذنبك أو قصرت فيه عن شكر ما أنعم الله به عليك فصرت منه الى الدرجة الرفيعة ومنازل أهل الرضا واما يوصل الى ذلك بالمعرفة بالله وبحعرفته ينظر اليك فتعلم أنك لانظر لك من نفسك فترضى بما رضى به وترغب فيما رغب وترهد فيما زهده والزهد من الرضا . قال قد علمت فضل الرضا ووضح لي أمره فصف لي كيف يهون على أمر الصبر في الزهد وكيف مأخذته فقد أراني مع ما أصیر اليه من الزهد مقينا على الصبر وأزداد أیضامع زهدي في الدنيا أموراً أحتج فيها الى الصبر مخالفة هواي ورفضها لشهواني وما تنازعني نفسي من لذاتي فقد أراني ازدلت ثقلاً وضجراً . قال أراك لاتقبل من الامور الا أصلحها ولا ترضي لنفسك الا بواضحتها ولا تختار منها الا أرشدها وذاك من الامور التي أرجو لك بها القوة والنجاح حاجتك والظفر بطلبتك وبالوغك أقصى الغاية من ارادتك فافهم قوله وتدبر نصحي فان الحجة في ذلك واضحة والامر فيه بين ألسنتك تعلم أن الدنيا كانت باقية في قلبك وأن حبهما غالب عليك وأن سرورها فرح لك وان مكروها شديد عليك فحملت نفسك على قطع ذلك مع حبك لها وايشارك لها ونزنها منك مع طلبك الفضل من احتمال الصبر وحملت نفسك على المكره من أمر دنياك وصبرت عليها لشدة منه عليك لأن مكرهها عندك مكرهه ولأن سرورها عندك سرور . فشقق عليك الصوم لقطعك الشهوة عن نفسك من الأكل والشرب . وثقلت عليك الصلاة والاشتغال بها لما تسره اليك نفسك من اللهو والحديث في الباطل وثقلت عليك الزكاة والصدقة لما تتحب أن تصرفه فيه من لذاتك . وثقل عليك التواضع لما ترى من تغيير شأنك ودناءة منزلتك عند أهل الدنيا . وثقل عليك

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لثلا يعاديك الناس أو ينقطع رجاؤك منهم أو يسمعونك ما تذكره فيدخل عليك التغىص في سرورك . وثقل عليك القنوع والرضا لعظيم موقع الدنيا من قلبك وحبك الا كثار منها وحربك عليها وكراهتك للموت ونعم ما بعده مع اشياء كثيرة يطول وصفها . وكل ذلك انما صار شدته عليك لحب الدنيا وانما ثقل عليك الصبر وملته وضيق الشيطان عليك المذاهب من أجل ذلك لأن سلاحه الذي به يقوى وكيفه الذي يصل به الى أهل الدنيا الرغبة فيها وطلبها فإذا أنت زهدت في الدنيا ورفضتها ورغبت في الآخرة وطلبتها سهل عليك الأمر فآثرت الآخرة وطلبتها ورغبت فيها وأدبرت عنك الدنيا وثقلها وتولت عنك هاربة يلامها وأتاك بمنافعها وصرفت عنك شرورها برغم منها وانقطع رجاء الشيطان وصغر كيده وولى وقل سلاحه فلا قوة له بك ونجوت بعصمة الله وتوفيقه من الضيق والتعيس والهملة وصرت الى النعمة والسرور والراحة وخرج حب الدنيا من قلبك فازمت الصيام وخف عليك لأنك لم تكن نفسك تشرح الى الأكل والشرب وغيرهما من الشهوات ولومت الصلاة واستغلت بها لأن نفسك لم تكن تنازعك الى الله او الخلوة الى حديث في باطل وخفت عليك الزكاة والصدقة لأنك أعددت ما قدمته أمامك ولا ت يريد منه شيئاً يبي خلفك وخف عليك التواضع لأن الإيمان قد خرج من قلبك وهان عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الناس قد استوا واعندك فلم ترج أحداً غير ربك ولم تخف شيئاً غيره وخف عليك القنوع لأنك رضيت من الدنيا باليسر ولم تنازعك نفسك الى غير البلاغ والكافية وخف عليك الجهاد لأن الدنيا قد أخرجتها من قلبك وكرهت البقاء فيها وأحببت الموت لما ترجو من النعيم والسرور والحياة الدائمة التي أمامك فالزهد في الدنيا راحة للقلب والبدن وهو جماع الخير وئامه وليس شيء مبنى على البر الا وله ضد من .

غيره فا قصر بك عنه فارفضه وازهد فيه يسلم لك عملك ويخف عليك ثقله
 فقال له صاحبه أوضحت فيبنت وأرشدت فهدية وكشفت فأريت فصف لي
 كيف الزهد وما حده والذي ينبغي لي العمل به فقد استبان لي فضله ووضع
 لي رشده . فقال له صاحبه ان الزهد في الدنيا واجب عليك وهو الورع لا يجوز
 لك التقصير فيه ولا الرغبة عنه وهو اجتناب ما حرم الله عليك ونهاك
 عنه فهذا الأمر لازم لك لاعذر لك في التقصير عن الزهد والقرب الى ربك
 طلبا للفضل ونفيا لكل أمر قصر بك عنه من المسارعة في طاعته والمسابقة
 الى رضاوه فهذا ما ينبغي لك العمل به وادارة صلاح نفسك عليه . فقال أما
 ما حرم الله على ونهاك عنه فقد دلني عليه العلم لأنه صار لا ينبغي لي المقام عليه
 ولا العمل به فزهدت فيه ورفضته فصف لي الزهد الذي أرجو أن أنمأ به
 كرامة سيدى وأن أبلغ من ذلك مجتبه وأن أدفع به عني كيد الشيطان ومكره
 فقال له ذلك الزهد في فضول الدنيا والرضا منها بيسيرها والأخذ منها بقدر البلاع
 الى غيرها ورفض ماسوى ذلك من فضولها وأمورها باخراج الناس من قلبك
 فلا تخف أحدا في الله ولا ترد حمد أحد من الناس ويستوى الناس عندك فلا
 ترج أحدا غير الله ولا تطلب الا فضله وتنصح في الله في السر والعلانية ولا
 تخف لوم أحد من الناس ولا عذله وتحب في الله وتبغض في الله ولا تشعل
 قلبك بشيء غيره وتلزم التواضع والتذلل لربك وتحمل ذكره وتغييب اسمك ولا
 ترد بذلك تعظيم أحد من الناس غير الله تبارك وتعالى وتحب الموت وتكون
 ممتلا له بين عينيك لرجله ما بعده وتزهد في الحياة مخافة الفتنة والبلية فهذا أصل
 الزهد فإذا أنت وصلت الى ذلك نلت شرف الآخرة ونجوت بعون الله من بلية
 عاجلك . فقال له صاحبه لقد ذكرت لي من أمر الزهد شيئا ضاق به ذرعى واشتد
 له غمى واعتصر له قلبي واستصعب به على أمري وتفرق له رأى واشتدت على

المؤنة فيه وقد كان الصبر والاحتمال له أيسر على مؤنة منه وأخف على حلامن الزهد وخشيته أن لا أقوى على احتماله ولا تطيق نفسي العمل بكله ولاقدر على القيام تماماً وأن تمثله نفسي وترفضه وترجع منه إلى غيره ما فيه هلاكه وعطتها وقد عرفت فضل الزهد وعظم قدره فصف إلى أمراً أتقى به على الزهد ويخففه على . فقال له صاحبه قد فهمت قوله ولقد صعب عليك النزول واشتد عليك اليأس ونقل عليك الخفيف وعميت عليك المداخل وما ألمك حيث اشتد عليك من أمرك ماذ درت حين لم تعلم الأمر الذي له في الدنيا زهدت والذي به عليه قويت ولو علمته لمان عليك من أمرك الشديد وخف عليك الثقيل وسهلت عليك موارده وسهلت عليك فيه المذاهب وخفت عليك فيه المؤنة فافهم قوله بعقل وتدبره بحكم وخذ فيه بقوه وجد . وأعلم ان العباد زهدوا في الدنيا ودعاهم الى الزهد فيها ورفضها خصال شئ بعضها أرفع وأعلى درجة من بعض وكلها داعية الى الزهد فيها . فأول درجات الزهد أن الله تبارك وتعالى خلق العباد في الدنيا وجعل ما فيها زينة لها وزعدهم فيها وخلق الآخرة ونعمتها وندبهم اليها ورغبهم فيها وأعلمهم أنهم عن الدنيا مرتاحون وأنهم الى الآخرة صاروا فراغ العباد في الباقي وزهدهم في الفاني فائز الآخرة واطلبها وازهد في الدنيا وارفضها لكيلا ينتقص من حظك في الآخرة بما نلت من نعيم دنياك . وأما المنزلة الثانية من الزهد في الدنيا فان الله عز وجل خلق العباد في الدنيا فأوجب الموت عليهم وأعلمهم انهم ميتون وضرب لهم فيها أجلاً فلم يعلموا في أي الأوقات وال ساعات تأتיהם ميتهم فتحول بينهم وبين دنياهم ونعمتهم عيشهم ومفارقة أحبابهم فلما انتصر الموت في قلوبهم أسرروا في الليل أعينهم واشتعلوا بهمومهم عن أهلهم وأولادهم ودام حزنهم وبكاؤهم وزهدوا في الدنيا وأهلها ونعمتها فصار الليل والنهر عندهم بمنزلة الصيفان وكان المقوى لهم على الزهد في الدنيا ذكر الموت

وقصر الأمل بهذه الخصلة شريقة من خصال الزهد في الدنيا وأما الخصلة الثالثة في الزهد فصدق العبد ربها فيما أخبره به من نعيم الآخرة وما خوفه به من عقاب النار وعذابها وما حذر منه من الدنيا والاغترار بها فزهد فيها وأحب بالموت مفارقتها والتبتاد عنها والخروج منها إلى داره وقاربه تصرأ منه بالدنيا وحالها بهذه الخصلة من خصال الزهد أشرف مما قبلها . فقال له صاحبه ماتر كتلى إلى الدنيا والركون إليها سبيلاً ولقد استبان لي من قولك البر والحق ووضح لي من وصفك الصدق وقويت بحمد الله وتوفيقه على الزهد فيها ورفضها فصف لي بصفتك الشافية ونعتك النافع دواء لداء قلبي تخبرني فيه عن الامر الذي يدلني على هذه الخصال ويقويني عليها . فقال الأمر الذي يدللك على هذه الخصال ويقويك عليها وينورها في قلبك هو اليقين الذي لا يخالطه شك والتصديق بربك الذي لا يخالطه لبس فإنه من صدق ربها أىقين ومن أىقين أبصراً ومن أبصراً زهد والزهد في الدنيا شعبة من شعب اليقين وأفضل اليقين التوكل . قال فصف لي اليقين لأعرفه . فقال أن تعلم أن الله وحده لا شريك له وأنه الحق المبين وأنه كما وصف نفسه في قدرته وسلطانه وخلقه وأن وعده حق وقوله صدق وكذا وعيده وكتبه ورسوله حتى تقر بذلك في قلبك وتتبع كتاب ربك فهذا اليقين الذي لا يشك فيه . قال صفتلي التوكل لأعرفه . فقال التوكل هو العمل بطاعته وتصديق اليقين دلالته فمن أىقين وعلم أن الله خالق الأشياء والمقدار عليها والمالك لها والمفرد بها توكل عليه في جميع أموره وقطع رجاءه عن سواه من خلقه ولم يتحقق بأحد ولم يأنس إلا به فانقطع إلى الله وتوكل عليه في جميع حالاته وهذه صفة العمل والتوكيل وما خذله . قال ما الذي يدلني على الفكرة ويقويني عليها فاني كلما أردت الفكرة لم أصل إليها ولم أقدر عليها . فقال أجل لاتصل إلى ماتريدين الفكرة مع الاشتغال

بغيرها فسبيل الوصول الى الفكرة الصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الاعن ذكر الله والخير في الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فصل في السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز

فانظر رحمنا الله واياك الى ما قرر هذا السيد رحمة الله في كيفية السلوك والأخذ أولاً بالصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الاعن ذكر الله والخير في الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول فلم يكتفى رحمة الله بالخلوة ليس الا حتى ذكر الاعتزال مع الخلوة فلو كانت خلوة دون اعزاز لقل أن يفتح له ولاجل ذلك احترز بقوله والاعتزال . فأين هذا الحال من حالنا اليوم اذا أن الغالب على من ينسب الى الخرقة في هذا الزمان انما شأنه كثرة الاجتماع وحضور السماع والرقص فيه حتى كأن ذلك مشروط في السلوك نسأل الله السلامة بهم . فن أراد الخير فليعتزل عن هذه صفتة والا فالفتح عليه بعيد اعني الفتح الحقيق الذي يقرب به من ربه عزوجل دون ادعاء والافبعض هؤلاء يدعون الأحوال ويزعمون أنه يفتح عليهم في حال رقصهم وتأخذهم الأحوال اذ ذاك ويخبرون بأشياء من أمر الغيب ولو وقع ذلك في بعض الأحيان لكان مصادقة ثم أنهم يولون ويعزلون في تلك الأحوال ويخبرون بمنازل أصحابهم فيقولون مثلاً فلان أحد السبعة وفلان أحد العشرة وفلان أحد السبعين وفلان أحد الثلاثمائة الى غير ذلك ولا شك أنها أحوال نفسانية أو شيطانية لأن الفتاح من الله تعالى لا يكون مع ارتکاب المكر وها أو المحرمات . وهذا السماع على ما يعملونه محروم . قال الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمة الله في تفسيره لما أن تكلم على سورة الكهف في قوله تعالى (اذ قاموا

فقالوا رب السموات والأرض هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته شكرًا لما أولاهم من نعمته ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم وخائفين من قومهم وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء الأولياء أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام خصوصاً في هذا الزمان عند سماع الأصوات الحسان من المردو النسوان هيبات ينهموا والله مثل ما بين السماء والأرض. ثم إن هذا حرام عند جماعة العلماء انتهى. وقد تقرر فيما مر أول الكتاب أن الفقير المنقطع لا يتصرف إلا في واجب أو مندوب وأن المكروه عند هذه الطائفه كالحرم لاسيما ذكره فضلاً عن فعله. وقد اختلف العلماء رحمة الله عليهم في ضرب الطار على حدته هل يجوز أم لا. وكذلك اختلفوا في الشبابة على حدتها. وقاعدة أهل الطريق الخروج من الخلاف فكيف يقدمون على شيء قد اتفق الناس على منعه ذلك محال في حقهم. ثم مع ارتكاب بعضهم ماذكر يدعون الأحوال الرفيعة ويشيرون إلى مقامات ومنازلات تستعظم في الغالب على من هو متصرف بالأقدام والاتباع فكيف يحصل لأهل التخليط وارتكاب مالا ينبغي ذلك محال. ومن أشد ما فيه من القبح ما أحدثوه في السجود للشيخ حين قيام الفقير للرقص وبعده. وقد نقل الشيخ الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتابه ماهذا لفظه. روى ابن ماجة في سنته والنساء في صحيحه عن أبي واقد (قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا فقال يارسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقهم وأساقفهم فرأيت أنك أولى بذلك فقال لاتفعل فاني لوأمرت أحداً يسجد لأحد لأنمرت المرأة أن تسجد لزوجها لا تؤدى المرأة حق زوجها حتى تؤدى حق زوجها حتى لو سلّم نفسها وهي على قبر لم تمنعه) هذا لفظ النسائي وفي بعض طرق حديث معاذ (ونهى

عن السجود لبisher وأمرنا بالصالحة) قلت وهذا السجود المنهى عنه قد أخذته جهال المتصوفة عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم فترى الواحد منهم اذا أخذه الحال بزعمه يسجد للقادام سوا كان للقبلة وغيرها جهالة منه ضل سعيهم وخطاب عملهم

(فصل) فانظر رحمنا الله واياك الى قصة معاذ المتقدمة وقوله للنبي صل الله عليه وسلم انك أولى بذلك يؤخذ منها من الفوائد النفيسة التحرز عن مخالطة أهل الكتاب والبعد منهم اذا نفوس تميل غالبا الى ما يكثر ترداده عليها . ومن هنا والله أعلم كثير التخليط على بعض الناس في هذا الرمان لجوائهم ومخالطتهم لقبط النصارى مع قلة العلم والتعلم في الغالب فأنست نفوسهم بعوايد من خالطوه فنشأ من ذلك الفساد وهو أنهم وضعوا تلك العوائد التي أنست بها نفوسهم موضع السنن حتى أنك اذا قلت لبعضهم اليوم السنة كذا يكون جوابه لك على الفور عادة الناس كذا وطريقة المشابع كذا فان طالبه بالدليل الشرعي لم يقدر على ذلك الا أنه يقول نشأت على هذا و كان والدى وجدى وشيخى وكل من أعرفه على هذا المنهاج ولا يمكن في حقهم أن يرتكبوا الباطل أو يخالفوا السنة فيشنع على من يأمره بالسنة ويقول له ما أنت أعرف بالسنة من أدركتهم من هذا الجم الغفير . وقد تقدم انسكار بعض العلماء على الامام مالك رحمه الله في أخذه بعمل علماء المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكيف يحتاج هذا المسكين بعمل أهل القرن السابع مع مخالطتهم لغير جنس المسلمين من القبط والأعاجم وغيرهما نموذج بالله من الضلال . مع ان السماع المعروف عند العرب هو رفع الصوت بالشعر ليس الا فإذا فعل أحد ذلك قالوا أهل السماع وهو اليوم على ما يعهد ويعلم . ولأجل هذا المعنى قال الامام الشيخ رزين رحمه الله ماؤني على بعض العلماء المؤخرین الا لوضعهم الاسماء على غير مسميات

وهما هذابين الاترى السماع كان عندهم على ماتقدم ذكره وهو اليوم على مانعاينه
وهما ضدان لا يجتمعان . ثم أنهم لم يكتفوا بما ارتكبوه حتى وقعوا
في حق السلف الماضين رضى الله عنهم ونسبوا اليهم اللعب واللهو في كونهم
يعتقدون أن السماع الذى يفعلونه اليوم هو الذى كان السلف رضوان
الله عليهم يفعلونه ومعاذ الله أن يظن بهم هذا ومن وقع له ذلك فيتعين عليه
أن يتوب ويرجع الى الله تعالى والا فهو هالك . الاترى أن الشيخ الامام
السرورى رحمه الله لما أتى تكلم على السماع قال فى أثناء كلامه ولاشك انك
اذا خيلت بين عينيك جلوس هؤلاً للسماع وما يفعلونه فيه فان نفسك تنزه
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تعهم عن ذلك المجلس وعن حضوره
انتهى . ولقد أنصف فيما وصف وهذا هو الحق الذى يجب اعتقاده في حق السلف
الماضين رضى الله عنهم أجمعين . وقد قيل عن الجنيد رضى الله عنه أنه قال ان
السماع لا يرجع مباحاً الا عشرة شروط وهو أن يكون في مكان لا يطلع عليهم
غيرهم لأنه لا يطلع عليهم الا ذو محرم أعني أن يكون منهم واماكن وآخوان
قال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله وأن يكون القوال هو الذى يمدحهم
قال الشيخ الامام الجنيد رحمه الله وأن يكون بغير أجرة وأن لا يكون بين أحد
من يحضره شنآن وأن لا يحضره أحد من أبناء الدنيا وأن لا يحضره شاب
إلى غير ذلك من الاوصاف الجميلة وحيث كان مباحاً بهذه الشروط فان اتفقاً اجتماعها
كان السماع المعروف عند العرب وهو انشاد الشعر برفع الصوت كما تقدم
ولأجل هذا المعنى ذكر الشيخ ابوطالب المكي رحمه الله في كتابه عن بعض
السلف رضى الله عنهم انهم كانوا يدخلون إلى خلواتهم فن عجز منهم عن تمام
المدة التي دخل عليها خرج فضر السماع ثم رجع إلى خلوته نشطاً لأن القوال
كان يمدح في بواطفهم ثم مع ذلك ينشد لهم من درر الشعر ما يناسب حاليهم

وتقوى به قلوبهم على السير الى المقامات العلية والهوض اليها وترك التراخي والتسويف الشاغل عنها . ومثل ذلك كانوا يفعلون اذا عجز أحدهم عن تمام المدة التي دخل عليها الى الخلوة خرج الى مجلس عالم فضله ثم يرجع الى خلوته قويا لأن حضور مجالس العلماء العاملين بعلمهم يحيى القلوب الميتة كما يحيى المطر الوايل النبات بل النظر اليهم تقتات به النفوس الآية وينشرح صدرها ويحدث لها عند تلك الروية ازعاج وفوه باعثة على ماتؤمله من الخير كي فلا وهم أمناء الله في أرضه وخلفاؤه في خلقه وقد جعلهم الله عزوجل رحمة وكيفاً لمن يأوى اليهم ويستظل بظلام نصبهم هداة للتحيرين ونوراً للساكين اللهم لا تحرمنا بركتهم ولا تختلف بنا عن سنتهم فأنت ول ذلك القادر عليه . فإذا تقرر هذا من حالم وعلم فلاشك أن ما يفعل اليوم من هذا الساع الموجود بين الناس مخالف لجماعتهم اذ أنه احتوى على أشياء محرمات أو مكرهات أو هباماً وقد تقدمت الحكاية عن العلماء في ذلك اذ أنهم جعوا فيه بين الدف والشباهة والتصفيق . وقد تقرر في الشرع أن التصفيق أنها هو للنساء دون الرجال فهو منوع كما منعت الآلات المتقدم ذكرها . وبعضهم ينسب جواز ذلك للشافعى رحمه الله . وقد سئل الشيخ الامام أبو ابراهيم المزني رحمه الله وكان من كبار أصحاب الامام الشافعى رحمه الله فقيل له ما تقول في الرقص على الطار والشباهة فقال هذا لا يجوز في الدين فقالوا أما جوزه الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فان شرطه الله تعالى

حاشا الامام الشافعى النبوه أن يرتقي غير معانى نبيه
 أو يترك السنة في نسكه أو يتبع في الدين ما ليس فيه
 أو يدع طاراً وشباهه لناسك في دينه يقتدي به
 الضرب بالطارات في ليلة والرقص والتصفيق فعل السفيه

وليس في التزيل ما يقتضيه
هذا ابتداع وضلال في الورى
ولا حديث عن نبي المدى
ولا أصحاب ولا تابعيه
بل جاهل يلعب في دينه
قد ضيع العمر بهم وتهيئه
وراح في الله على رسله
وليس يخشى الموت اذا عترته
ان ولی الله لا يرضي
الاباما الله له لا يرضي
وليس يرضي الله به فاعليه
بل بصيام وقيام في الدجي
وآخر الليل لستغفرية
لا يعرف العلم ولا يتغيه
ولبسوا الامر على جاهليه
قد أكلوا الدنيا بدين لهم
جهل وطيش فعلمهم كله
شبه نساء جمعوا مائة
والضرب في الصدر كما قدرى
ليس لهم غير النساء من شبيه
انكر عليهم ان تكون قادرًا
فهم رجال اليس لاشك فيه
ولاتخف في الله من لام
وفتك الله لما يرضي

وقد تقدم أن من ثبتت عداته لا ينسب اليه الاماليلق بحاله وبطريقته من
الخصال الحديدة فن ذكر عنه غير ما يناسبه كذب فيما ادعاه وأنكر عليه الاترى
أن المزني رحمه الله لما أن باشر الشافعى رحمه الله أنكر على من نسب اليه
جواز السماع بما تقدم ذكره

(فصل) وأشد من فعلمهم السماع كون بعضهم يتعاطوه في المساجد
وقد تقدم توقير السلف رضي الله عنهم للمسجد كيف لا يكون ذلك وقد كانوا
يكرهون رفع الصوت فيه ذكرًا كان أو غيره . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن رفع الصوت بالقراءة فيه . ومن ذلك ما ورد من انشاد الصالة في المسجد

لقوله عليه الصلاة والسلام (من نشد ضالة في المسجد فقولوا له لا ردها الله عليك) ومن ذلك ماورد (من سال في المسجد فاحرمه) وروى أبو داود والترمذى والنمسانى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشراء والبيع في المسجد وأن تنشد فيه ضالة وأن ينشد فيه شعر ونوى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة . وبعض هؤلاء يفعلون السماع على ما هو عليه اليوم في المساجد ويرقصون فيها وعلى حصر الوقف التي فيها وكذلك يفعلون في الرابط والمدارس . وقد ذكر أن بعض الناس عمل فتوى وكان ذلك في سنة أحدى وستين وستمائة ومشى بها على الأربع مذاهب . ولفظها ماتقول السادة الفقهاء أئمة الدين وعلماء المسلمين وفهم الله لطاعته وأعانهم على مرضاته في جماعة من المسلمين وردوا إلى بلد فقصدوا إلى المسجد وشرعوا يصفقون ويغنوون ويرقصون تارة بالكف وتارة بالدفوف والشابة فهل يجوز ذلك في المساجد شرعا افتونا مأجورين يرحمك الله تعالى فقالت الشافعية السماع هو مكره يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله أعلم وقال المالكية يجب على ولاة الأمور زجرهم وردعهم وآخر جهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله أعلم . وقالت الحنابلة فاعل ذلك لا يصلح خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه وإن كان حاكما وإن عقد النكاح على يده فهو فاسد والله أعلم . وقالت الحنفية الحصر التي يرقص عليها لا يصلح عليها حتى تغسل والأرض التي يرقص عليها لا يصلح عليها حتى يحفر تراها ويرمى والله أعلم . وقد قال الشيخ الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره حين تكلم على قصة السامرى في سورة طه سئل الإمام أبو بكر الطرطوشى رحمه الله ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية حرس الله مدته أنه اجتمع جماعة من الرجال يكثرون من ذكر الله وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم أنهم يوقعون أشعارا مع الطقطقة بالقضيب

على شىء من الأديم ويقوم بعضهم برقض ويتواجد حتى يخر مغشيا عليه
ويحضرهون شيئاً يأكلونه هل الحضور معهم جائز أملاً أفتونا يرحمكم الله وهذا
القول الذى يذكر ونه

ياشيخ كف عن الذنوب قبل الفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحـاً مادام ينفعك العمل
أما الشباب فقد مضـى ومشيب رأسك قد نـزل

فأجاب بقوله يرحمكم الله مذهب هؤلاء بطالة وجهالة وضلاله وما الإسلام
الاكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وأما الرقص والتواجد
فأول من أحدهـه أصحاب السامرـى لما اتـخذ لهم عـبلا جـسدـالـه خـوارـ
قاموا بـرقصـونـ حـوالـيـهـ وـيتـواجـدـونـ فـهـوـ دـينـ الـكـفـارـ وـعـبـادـ العـجـلـ . وأـمـاـ
الـقـضـيـبـ فأـولـ منـ أحـدـهـ الرـنـادـقـ لـيـشـغـلـواـ بهـ المـسـلـيـنـ عنـ كـتـابـ اللهـ تـعـالـىـ وـانـماـ
كانـ يـجـلـسـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ معـ أـصـحـابـهـ كـائـنـاـ عـلـىـ رـوـسـهـمـ الطـيرـ مـنـ الـوقـارـ
فيـنـبـغـيـ لـلـسـلـطـانـ وـنـوـابـهـ أـنـ يـمـنـعـهـمـ مـنـ الـحـضـورـ فـيـ الـمـسـاجـدـ وـغـيرـهـاـ وـلـاـ يـحـلـ لـأـحـدـ
يـؤـمـنـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ أـنـ يـحـضـرـ مـعـهـمـ وـلـاـ يـعـيـنـهـمـ عـلـىـ باـطـلـهـمـ . هـذـاـ مـذـهـبـ مـالـكـ
وـأـبـيـ حـنـيفـةـ وـشـافـعـيـ وـأـمـدـ بنـ حـنـبلـ وـغـيرـهـ مـنـ أـمـةـ الـمـسـلـيـنـ وـبـالـلـهـ التـوـقـيقـ
وـقـالـ الشـيـخـ الـإـمـامـ أـبـوـ بـكـرـ الـطـرـطـوشـيـ أـيـضاـ رـحـمـهـ اللـهـ فـيـ كـتـابـهـ المـسـعـىـ
بـكـتـابـ النـبـيـ عـنـ الـأـغـانـىـ وـقـدـ كـانـ النـاسـ فـيـمـاـ مـضـىـ يـسـتـرـ أـحـدـهـ بـالـمـعـصـيـةـ إـذـ
وـاقـهـاـمـ يـسـتـغـفـرـ اللـهـ وـيـتـوبـ إـلـيـهـ مـنـهـاـمـ كـثـرـ الـجـهـلـ وـقـلـ الـعـلـمـ وـتـنـاقـصـ الـأـمـرـحـ
صـارـ أـحـدـهـ يـأـتـيـ الـمـعـصـيـةـ جـهـارـاـمـ اـزـدـادـ الـأـمـرـ اـدـبـارـاـ حـتـىـ بـلـغـنـاـ أـنـ طـافـةـ مـنـ
أـخـوـاتـاـ الـمـسـلـيـنـ وـفـقـنـاـ اللـهـ وـإـيـاهـ اـسـتـرـهـمـ الشـيـطـانـ وـاسـتـهـوـيـ عـقـوـبـهـ فـ، حـبـ
الـأـغـانـىـ وـالـلـهـ وـسـمـاعـ الـطـفـقـةـ وـاعـتـقـدـهـ مـنـ الـدـيـنـ الـذـيـ يـقـرـبـهـ مـنـ اللـهـ تـعـالـىـ
وـجـاهـرـتـ بـهـ جـمـاعـةـ الـمـسـلـيـنـ وـشـاقـتـ بـهـ سـيـلـ الـمـؤـمـنـيـنـ وـخـالـفـتـ الـعـلـمـاءـ وـالـفـقـهـاءـ

وحملة الدين (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتين له المدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولي ونصله جهنم وسأله مصيرًا) وقد سئل مالك رحمه الله عما رخص فيه أهل المدينة من الغنا . فقال إنما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغنا واستئعنه . وأما أبو حنيفة رحمه الله فإنه يكره الغنا و يجعله من الذنب وكل ذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وابراهيم والشعبي لاختلاف بينهم في ذلك ولا نعلم أيضاً بين أهل البصرة خلافاً في كراهة ذلك والمنع منه . وأما الشافعى رضى الله عنه فقال في كتاب أدب القضاء إن الغنا هم مكروه ويشبه الباطل والمحال أما سماعه من المرأة التي ليست بمحرم له فإن أصحاب الشافعى بمحظون على أنه لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب سواء كانت حرمة أو ملوكه قال الشافعى وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفية ترد شهادته وغلظ القول فيه وقال هو دياثة فمن فعل ذلك كان ديوثاً وكان الشافعى يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن . وأما العود والطنبور وسائر الملاهى فoram ومستمعه فاسق وقال صل الله عليه وسلم (من فارق الجماعة قيسبر ما ميتة الماجاهيلية) وهذه الطائفة مخالفة جماعة المسلمين لأنهم جعلوا الغنا ديناً وطاعة ورأته اعلانه في المساجد والجوامع وقد كان أولى الناس بالاحتياط لدينهم هذه الطائفة فانهم متلبسون بالدين ومدعون الورع والزهد حتى توافق بواطفهم ظواهرهم وقد قال الله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) الآية قال الحسن ومجاهد والنخعى هو الغنا . وقال ابن مسعود لهو الحديث الغنا والاستئعنه . وقوله تعالى (واستفرز من استطعت منهم بصوتك) قال مجاهد بالغنا والمزامير (وأجلب عليهم بخيلك ورجالك) قال أكثر المفسرين كل راكب وماش في معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله (وشاركتهم في

الأموال والأولاد) قال قوم كل مال أصيب من حرام وأنفق في حرام . قال الطرطوشى رحمه الله ويحوز أن يقال مشاركته لنا في الأموال والأولاد ما يزينه لنا من الإيمان ثم يزين لنا الحنى فيها فقط الفروج بعد الحنى ونكتب الأموال بالإيمان الكاذبة . وقال تعالى (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأتم سامدون) قال ابن عباس رضى الله عنهما سامدون هو الغناء بلغة حمير . وقال مجاهد هو الغناء لقول أهل العين سعد فلان اذا غنى . وروى أبو اسحاق ابن شعبان في كتابه الزاهي بسانده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن) زاد الترمذى ولا تعلوهن وأكل أنماهن حرام وفيهن نزلت (ومن الناس من يشتري له الحديث) زاد غيره (والذى يعني بالحق مارفع رجل عقيرته أى صوته بالغناء الابعث الله عزوجل عند ذلك شيطانين برتدفان على منكبه لا يزالان يضران بأرجلهم على صدره وأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره حتى يكون هو الذي يسكن) وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (كان إبليس أول من ناح وأول من غنى) وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يسخن قوم من أمتي آخر الزمان فردة وخنازير قالوا يا رسول الله مسلمون هم قال نعم يشهدون أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ويصلون ويصومون قالوا يا رسول الله فما بالهم قال اتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا هذه الأشربة فباتوا على شرابهم فأصبحوا وقد مسخوا) وروى علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء إذا كان المغمدو لا والأمانة مغنمها والزكاة مغنم ما أوطاع الرجل زوجته وعقمه وجفا أباه وبر صديقه وارتقت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة

شهر وشربت المخور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حراء أو خسفاً أو مسخاً) وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من أشراط الساعة أو القيامة اضاعة الصلوات واتباع الشهوات وتكون أمراء خونه ووزراء فسقة فقال سليمان رضي الله عنه بأبي وأمي يا رسول الله إن هذا كائناً قال نعم ياسلمان عندها يكذب الصادق ويصدق الكاذب ويؤمن الخائن ويختون المؤمن المؤمن يمشي بين أظهرهم بالمخافة يذوب قلبه في جوفه كما يذوب الملح في الماء هما ولا يستطيع أن يغير عندها ياسلمان يكون المطر قيظاً والولد غيطاً والفق مغراً والمال دولاً ياسلمان عند ذلك يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب ذوات الفروج السروج فعليهم من أمري لعنة الله ياسلمان عند ذلك يجحفو الرجل والديه ويرصدiche ويحتقر السيدة قال أو يكون ذلك يا رسول الله قال نعم ياسلمان عند ذلك تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتطول المنابر وتكثر الصنوف والقلوب متبااعدة والألسن مختلفة دين أحدهم لعقة على لسانه ان أعطى شكر وان منع كفر قال أو يكون ذلك يا رسول الله قال نعم ياسلمان عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية البكر ويخطب كما تخطب النساء قال أو يكون ذلك يا رسول الله قال نعم ياسلمان عند ذلك تحلى ذكور أمري بالذهب والفضة عند ذلك يأتي من المشرق والمغرب قوم يلون أمري فوييل لضعيفهم من قويهم وويل لهم من الله تعالى ياسلمان عند ذلك تحلى المصاحف بالذهب والفضة ويتخذون القرآن مزامير بأصواتهم وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم ياسلمان عند ذلك يكثر الربا ويظهر الزنا ويتهان الناس بالدماء ولا يقام يومئذ بنصر الله ياسلمان تكثر القينات وتشارك المرأة زوجها في

الت التجارة عند ذلك يرفع الحاج فلا حجج تحجج أمراء الناس تنزها ولهوا وأواسطهم للتجارة وقراؤهم للرياه والسمعة وفقراؤهم للمسألة^(١)) وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (كسب المغنى والمغنية حرام وكسب الزانية سحت وحق على الله أن لا يدخل الجنة لمن سحت) قال عطاء بن أبي رباح رحمه الله رأيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه وجابر بن عمير يرثيان فل أحدهما بجلس فقال الآخر أجلست سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (كل شيء ليس من ذكر الله تعالى فهو له وسهو الأربع خصال مشى الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته زوجته وتعليمه السباحة) قال قتادة رحمه الله لما أهبط أبليس لعن الله قال يا رب لعنني فما على قال السحر قال فاقرأ متن قال فالشعر قال فاكتابي قال الوشم قال فما طعامي قال كل ميته ومالم يذكر اسم الله عليه قال فما شرابي قال كل مسكر قال فأين مسكنى قال الأسواق قال فاصوئي قال المزامير قال فما مصائدى قال النساء وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ضرب الدف ولعب الطبل وصوت المزمار. وروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كبر مقتا عند الله الأكل من غير جوع والنوم من غير سهر والضحكون من غير عجب والرنة عند المھيبة والمزمار) وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا شرب العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراماً ولعن الله يبتلي فيه دف أو طنبور أو عود وأخشى عليهم العقوبة ساعة بعد ساعة) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لست من ددولاددمي) قال مالك رحمه الله الدلالع

(١) لا يخفى ما في هذه الأحاديث من الاخبار بالمخفيات فقد حدث جل ما فيها ان لم يكن كله فسائل الله السلامه من هذه الفتن منه وكرمه

والله . وقال الحليل بن أحمد في كتاب العين الدجال في الأنامل في الأرض فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم تبرأ مما ينقر في الأرض بالأنامل فما بالك بقطفه القصيبي . قال الحسن رحمه الله ليس الدف من سنة المسلمين . وروى عبد الله ابن عمر قال سأله أنسان القاسم بن محمد عن الغناه قال أنها كعنده وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر يا ابن أخي إذا ميز الله بين الحق والباطل من أيهما يحصل الغناه . وقال الشعبي رحمه الله لعن الله المغنى والمغنى له و قال الحكم بن عيينة رحمه الله حب السماع يورث النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع . وقال الفضيل ابن عياض الغناه رقية الزنا . وقال الضحاك الغناه فسد للقلب مسخطة للرب . وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فإنه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن صوت المعازف واستئناع الأغانى والله بهما ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء . وقال زيد بن الوليد يابني أمية اياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدى المروءة وانه ليتوب عن الخنزير فعل ما يفعل المسكر فإن كنتم لابد فاعليني خنبوه النساء فإن الغناه داعية الزنا . وقال ابن الكاتب اياكم والغناء . وقال المحاسبي في رسالة الارشاد الغناه حرام كالميتة وقال أبو حصين رحمه الله اختصم إلى شريح في رجل كسر طنورا فلم يقض في بشيء

﴿فصل﴾ وأما من جهة الاستنباط فهو جاسوس القلب وسارق المروءة والعقول يتغلغل في مكامن القلوب ويطلع على سرائر الأقداء ويدب إلى بيت التخييل فيثير كل ماغرس فيها من الهوى والشهوة والحسناطة والرعونة بينما ترى الرجل وعليه سمّ الوقار وبهاء العقل وبهجة الإيمان ووقار العلم كلامه حكمة وسكته عبرة فإذا سمع الله نقص عقله وحياؤه وذهبت مروءته

وبهاؤه فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبعه ويبدى من أسراره ما كان يكتمه وينقل منها السكوت الى كثرة الكلام والكذب والازدهاء والفرقعة بالاصابع ويميل رأسه ويهز منكبيه ويدق الارض برجليه وهكذا تفعل الحزة اذا مالت بشارتها . وقد روى أن اعرابية دخلت الحاضرة فسقيت نبضا . فلما خامرها وصحت قالت أو يشرب هذا نساوكم قالوا نعم قالت لئن صدقت فما يعرف أحدكم من أبوه . وقال محمد بن المنكدر رحمه الله اذا كان يوم القيمة نادى مناداً أين الذين كانوا ينزعون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة أسموهم حمدى وثنائي وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وقال بعض الزهاد الغناء يورث العناid في قوم ويورث التكذيب في قوم ويورث الفساد في قوم . واحتج بعضهم على اباحة الغناء بما روى عن عائشه رضى الله عنها أنها قالت (دخل على أبو بكر رضى الله عنه وعندي جاريتان من جواري الانصار تغنينا بما تفألهت به الانصار يوم بعاث فقال أبو بكر رضى الله عنه أمزمار الشيطان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبو بكر فان لكل قوم عينا وهذا عينا) والجواب عنه أن تعرف أولاً حقيقة الغناء وذلك أن للفظ الغناء معنيين لغوی وعرف فيحمل الحديث على اللغوی فقولها تغنيان أى ترungan أصواتهما باشداد الشعر ونحن لأنفسنا انشاد الشعر ولا نحرمه وإنما يصير الشعر غناءً مذموماً اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهي الشهوة الطبيعية وليس بكل من رفع صوته بالغناء لحن وأنه وأطراف الممنوع والمكره وإنما هو اللذيد المطرب ولم يعقل من هذا الحديث أن صوتهما كان لذينا مطربا وهذا هو سر المسألة فافهمه . وقد روى البخاري هذا الحديث عن عائشه رضى الله عنها قالت في آخره وليسنا بمعندين فنفت الغناء عنهما والدليل على هذا

أنه مانقل عنها بعد بلوغها إلا ذم الغناء والمعازف على مايننا . وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد وهو أحد فقهاء المدينة السبعة يذم الغناء وقد أخذ العلم عنها وتأدب بها . فان قيل أليس قد أنشد الشعر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب أنا لاتنكر انشاد الشعر وإنما تذكر اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهذا لا يمكن نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم . فان قيل أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم (ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا) فالجواب أن صعصعة بن صوحان وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذا الحديث فقال قوله ان من البيان سحرا هو الرجل يكون عليه الحق وهو لحن بمحاجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فذهب بالحق وأما قوله وان من الشعر حكما فهو هذه المواتظ والأمثال التي يتعظ بها الناس وأما قوله وان من العلم جهلا فيتكلف العالم علم مالا يعلم فيجهل ذلك وأما قوله وان من القول عيالا فعوض ذلك حديث على من ليس من شأنه ولا يريد

(فصل) وقد قال بعضهم نحن لانسمع الغناء بالطبع الذي يشترك فيه الخاص والعام وإنما نسمع بحق فنسمع بالله وفي الله ولا تتصف بهذه الأحوال التي هي مزوجة بمحظوظ البشرية . فلما ان زعمت أنك فارقت طبع البشرية وصرت مطبوعا على العقل وال بصيرة بمنزلة الملائكة فقد كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيك وما وصفتك به من حب الشهوات . وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من فارق الفه وادعى العصمة فاجلدوه فإنه مفتر كذاب وكان يجب أن لا تكون مجاهداً لنفسك ولا مخالفأً لهاواك ولا يكون لك ثواب على ترك اللذات والشهوات . وكان يجب أن تكون أنت وأصحابك تسبحون الليل والنهر لا تفترون وتستغفرون لمن في الأرض . وكان يجب أن تبيح سماع العود

والطنبور وسائر الملاهي بهذا الطبع الذى لا يشاركك فيه أحد من الناس (فصل) فان قيل أليس قد روى عن جماعة من الصالحين أنهم سمعوه قلنا ما بلغنا أن أحداً من السلف الصالحة سمعه ولا فعله وهذه مصنفات أئمة الدين وعلماء المسلمين مثل مصنف مالك بن أنس وصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود وكتاب النسائي رضي الله عنهم إلى غيرها خالية من دعواكم وهذه تصانيف فقهاء المسلمين الذي تدور عليهم الفتوى قديماً وحديثاً في شرق البلاد وغربها فقد صنف المسلمون على مذهب مالك بن أنس تصانيف لاتختصى وكذلك مصنفات علماء المسلمين على مذهب أبي حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين وكلها مشحونة بالذب عن الغناوة وتفسيق أهلها فان كان فعله أحد من المتأخرين فقد أخطأ ولا يازمنا الاقتداء بقوله وترك الاقتداء بالائمة الراشدين . ومن هنا زلت من لا بصيرة له . نحتاج عليهم بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين ويحتاجون علينا بالتأخرين سبيلاً وكل من يرى هذا الرأى الفاسد عار من الفقه عاطل من العلم لا يعرف مأخذ الأحكام ولا يفصل الحلال من الحرام ولا يدرس العلم ولا يصحب أهله ولا يقرأ مصنفاته ودواؤينه . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ما استرذل الله عبداً إلا حظر عليه العلم) فلن هجر أهل الفقه والحكمة وانقضى عمره في مخالطة أهل اللهو والبطالة كيف يؤمن على هذه المسئلة وغيرها (وما كان لهنتمى لولأن هدانا الله) فيامن رضى لدينه ودنياه وتوثق لآخرته ومتواه باختيار مالك بن أنس وفتواه ان كنت على مذهبة وباختيار أبي حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل ان كنت ترى رأيهم كيف هجرت اختيارهم في هذه المسألة وجعلت امامك فيها شهوانك وبلغ أوطارك ولذاتك (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)

(فصل) وقد روی عن بعض شيوخ الصوفية قال رأيت في المنام أن الحق أوقفني بين يديه وقال يا أبا حملت وصنف على ليلي وسعدى لو لا أنى نظرت اليك في مقام واحد أردتني خالصا العذبة قال فأقامني من وراء حجاب الخوف فأرعدت وفزعـت ما شاء الله ثم أقامني من وراء حجاب الرضا فقلـت يا سيدى لم أجـد من يحملـنى غيرك فطرحت نفسـى عليك فقال صدقـت من أين تجـد من يحملـك غيرـي وأمرـي إلى الجنة . وقال الجنـيد رحـمه الله رأـيت ابـليس في النـوم فـقلـت له هل تظـفر من أصحابـنا بشـيء أو تـنال مـنهـم نـصـيبـا فـقال انهـلـي عـسر على شـأنـهم ويعـظم عـلى أن أـصـيبـ منـهمـ شيئاً إلاـ في وقتـينـ وقتـ السـماـعـ وعـندـ النـظرـ فـانـىـ أـنـالـ منـهمـ فـتـةـ وـأـدـخـلـ عـلـيـهـمـ بـهـ . وـسـئـلـ أبوـ عـلـىـ الروـذـبارـىـ عنـ السـماـعـ وـكانـ منـ شـيـوخـ الصـوـفـيـةـ فـقـالـ لـيـلـنـاـ تـخلـصـنـاـ مـنـهـ رـأـساـ بـرـأسـ . وـقـالـ الجنـيدـ اذاـ رـأـيـتـ المـرـيدـ يـحـبـ السـماـعـ فـاعـلمـ أنـ فـيـهـ بـقـيـةـ مـنـ الـبـطـالـةـ . وـقـالـ أبوـ الـحـارـثـ الـأـولـاسـىـ وـكانـ مـنـ الصـوـفـيـةـ رـأـيـتـ ابـليسـ فيـ المـنـامـ وـكانـ عـلـىـ بـعـضـ سـطـوحـ أـوـ لـاسـ وـعـنـ يـمـينـهـ جـمـاعـةـ وـعـنـ يـسـارـهـ جـمـاعـةـ وـعـلـيـهـمـ ثـيـابـ نـظـيفـةـ فـقـالـ لـطـائـفةـ مـنـهـمـ قـوـمـواـ وـغـنـواـ فـقـامـواـ وـغـنـواـ فـاستـفـزـ عـنـ طـيـهـ حـتـىـ هـمـتـ أـنـ أـطـرحـ نفسـىـ مـنـ السـطـحـ ثـمـ قـالـ اـرـقـصـواـ فـرـقـصـواـ بـأـطـيـبـ مـاـيـكـونـ ثـمـ قـالـ يـأـبـاـ الـحـارـثـ مـاـأـصـيـبـ شـيـئـاـ أـدـخـلـ بـهـ عـلـيـكـ الـهـذاـ . وـقـالـ الـجـرـبـىـ رـأـيـتـ الجنـيدـ رـحـمهـ اللهـ فيـ النـومـ فـقـلـتـ كـيـفـ حـالـكـ يـأـبـاـ القـاسـمـ فـقـالـ طـاحـتـ تـلـكـ الاـشـارـاتـ وـبـادـتـ تـلـكـ الـعـارـاتـ وـمـاـنـفـعـنـاـ الـاـ تـسيـحـاتـ كـنـاـ نـقـوـلـهاـ بـالـغـدوـاتـ . فـأـيـنـ هـذـاـ يـرـحـكـ اللهـ مـاـ وـصـفـ اللهـ بـهـ الـعـلـماءـ فـقـالـ (انـ الـذـينـ أـوتـواـ الـعـلـمـ مـنـ قـبـلـهـ اـذـاـ يـتـلـىـ عـلـيـهـمـ يـخـرـونـ لـلـاذـقـانـ سـيـجـداـ وـيـقـولـونـ سـبـحـانـ رـبـنـاـ انـ كـانـ وـعـدـنـاـ بـالـمـفـعـولـاـ وـيـخـرـونـ لـلـاذـقـانـ يـكـونـ وـيـزـيدـهـ خـشـوعـاـ)

(فصل) وقد استدل عظيم من شيوخهم على اباحة الغناء فقال ان

الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجليل يقاسى تعب السير ومشقة الحول اذا سمع الحداء . قال وقد روى أن بعض ملوك العجم مات وخاف ابنا صغيرا فأرادوا أن يبايعوه فقالوا كيف نصل الى عقله وذكائه فاتفقوا على أن يأتوا بقول فان أحسن الاصنام علّوا كياسته فلما أسمعوه القوال ضحك الرضيع فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه . فالجواب انظروا يا ذوي الالباب كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة الى هذه السخافة وحسبك من مذهب امامهم فيه الانعام والصبيان في المهد . وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل وحسبك من عقول لا تقتدى بأبحار المسلمين وعلمائهم وتقتنى بالابل فان كل ماطربت به اليهائم مندو با OEM با حانا نرى البهيمة تدور على أمها وأختها وتركب بيتها فلزم الاقداء بالبهيمة في مثل هذا

(فصل) فان سألا عن معنى قراءة القرآن بالألحان . فالجواب أن مالكا قال ولا تعجبني القراءة بالألحان ولا أحبه في رمضان ولا غيره لانه يشبه الغناء ويضحيك بالقرآن فيقال فلان أقرأ من فلان . قال وبلغني أن الجواب يعلم ذلك كما يعلمون الغناء . أين هذا من القراءة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها . قال ولا يعجبني النبر والهمز يقول لا يرجع في القرآن ولا يقطع بالألحان لأن ذلك لا يتم الا بزيادة همزات في القرآن والزيادة في القرآن لا تجوز . وقيل لمالك هل يقرأ الرجل في الطرقات قال لا الا الشيء اليسير وأما الذي يدوس ذلك فلا يجوز . قيل له فالرجل يخرج إلى السوق أيقرأ في نفسه ماشيا فقال أكره أن يقرأ في السوق . وسئل عن القراءة في الحمام قال ليس موضع قراءة وان قرأ الانسان الآية فلا بأس بذلك . قيل له فالرجل يخرج إلى قريته فيقرأ ماشيا قال نعم . قال سخنون لا بأس أن يقرأ ألا ك والمضطجع وسئل عن الرجل يختم القرآن في ليلة قال ما أجود ذلك من أطافله . قال مالك

ولم تكن القراءة في المصحف في المسجد من أمر الناس القديم وأول من أحدثه الحجاج . قال وأكره أن يقرأ في المصحف في المسجد . فان سألا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (ما أذن الله لشيء كاذبه لبي يتغنى بالقرآن يجهر به) فالممعن ما الاستمع الله لشيء كاستعاشه لبي يجهر بالقرآن لأن أصل الغناه رفع الصوت على ما يلينا وبهذا فسره في آخر الخبر فقال يجهر به . قال مجاهد في قوله تعالى (وأذنت لربها وحققت) أي سمعت . قال أبو عبيد وجاءة من العلامة لا يجوز تلحين القرآن وإنما معنى الحديث التحبير والتحزين . قال عيسى الغفارى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أشراط الساعة فقال (يع الحكم وقطيعة الرحيم والاستخفاف بالذمم وكثرة الشرط وأن يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقربهم ولا بأفضلهم الا ليغتهم غناه) فان سألا عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم (زيروا القرآن بأصواتكم) فان معناه التحزين . قال شعبه نهانى أيوب أن أتحدث بهذا الحديث مخافة أن يتأنول على غير وجهه . وهذا الجواب عما رواه عبد الله بن مغفل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح فقال لو لا أن يجتمع الناس علينا لحكيت تلك القراءة وقد رجع . وان سألا عن معنى قوله النبي صلى الله عليه وسلم (ليس منا من لم يتغنى بالقرآن) قال سفيان بن عيينة معناه ليس منا من لم يستعن به يعني بالقرآن وهكذا فسره أبو عبيد فقال معنى الحديث لا ينبعي لحامل القرآن أن يرى أحدا (من أهل الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا كلها . وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل ما أعطى فقد عظم صغيرا أو صغير عظيم) وقال ابن مسعود نعم كنز الصعلوك آل عمران يقوم بها من آخر الليل والدليل على أن التغنى يعني الاستغناء دون الصوت قول الأعشى و كنت امراً زماناً بالعراق عفيف المنام طويل التغنى

قال أبو عبيد يزيد الاستغناه . والعرب تقول تعنيت تعنيا وتعانيت تعانيا
بمعنى استعنىت قال بعض العرب يعاتب أخيه

كلا أنا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تعانيا

وقال الكسائي مررت على عجوز من العرب قد اعتقدت شأة في بيته فقلت لها
ما تريدين بهذه الشأة قالت تعني بها يا هذا تزيد نستعنى . وقال بعض الصالحين
من تلذذ بالحان القرآن حرم فهم القرآن . وقال أبو هريرة أتم أقرأ ألسنة ونحن
أقرأ قلوبنا . وقال ابن مسعود نحن قوم ثقلت علينا قراءة القرآن وخف علينا
العمل به وسيجيئ قوم يخف عليهم قراءة القرآن ويُثقل عليهم العمل به . وقال
كعب الاحبار ليقرأن رجال القرآن هم أحسن أصواتاً من المعازف ومن حدة
الليل لا ينظر الله إليهم يوم القيمة . وقد أمعن وأجاد الشيخ الإمام الحافظ
الخليل أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في هذا الموضوع وينبه أتم بيان
وأحسن في كتاب التفسير له فمن أراده فليقف عليه هناك إذ أن هذا الكتاب
يضيق بما أتي به وما ذكر إنما هو إشارة لأولى الألباب والله الموفق للصواب
(فصل) ثم قال الطرطوشى رحمة الله وما اشتهرت به هذه الطائفة
اتبع الشهوات والتنافس في ألوان الأطعمة . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
(ماملا ابن آدم وعاء شر من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان
لامحالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) قال أبو جحيفة أكلت ثريدا
بلحم سمين فتجشيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اكفف عنا جشاءك
فإن أطول الناس جوعا يوم القيمة أكثرهم شبعا في الدنيا . وروى أن فاطمة
رضي الله عنها جامت بكسرة خبز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه
الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما
إنه أول طعام دخل في أيديك منذ ثلاثة أيام . وقال يحيى بن معاذ لو أن الجوع

ياع في الأسواق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة أن يشتروا غيره . وقال الشافعى رحمه الله ما شيعت منذ خمسة عشر عاما الا شعبة فطرحتها لأن الشعب يقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة . وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله لما خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا جعل في الشعب القسوة والجهل وجعل في الجموع العلم والحكمة . وقال بشر بن الحارث رحمه الله الجموع يصفى الفواد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق . وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله الجموع للريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة . وسئل الجنيد رحمه الله عن صفة الصوفية فقال طعامهم طعام المرضى ونومهم نوم الغرق . وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله نعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغنية . وقال رجل لبعض المشايخ رحمهم الله أني جائع فقال كذبت قال ومن أين علمت قال لأن الجموع في خزاناته الوثيقة لا يطلع عليها من يفتش سره ولا يعطيه من لا يشكره . وروى أن بعض الفقراء اشتكى إلى شيخه الجموع ثم ذهب فرأى درهما مطروحا مكتوبا عليه أما كان الله عالم بالجموع حتى قلت أني جائع . وقال فتح الموصلى رحمه الله أوصاني ثلاثة شيخا عند فراق لهم بترك عشرة الأحداث وكل . ويروى عن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على ابن عون في الحبس وإذا عمال بني أمية مقيدون في الحديد فحضر غداة هم بفعل الخدم ينقلون الألوان فقالوا لهم يا أبا يحيى فقال ما أحب أن آكل مثل هذا الطعام وأن يوضع في رجلي مثل هذا الحديد . وقال أبو هريرة رضى الله عنه خرج النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه أبو بكر وعمر رضى الله عنهم فقال ما أخرجكم فقلوا الجموع فقال وأنا والذى بعثنى بالحق ما أخرجنى إلا الذى أخرجنكم قوما فأتوا يتنا من الانصار وإذا الرجل غائب فقالت امرأته مرجا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت خرج يستعبد لنا من الماء وإذا بالرجل وعليه

قربة ما فلما نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أجد من الناس اليوم أكرم أضيافا مني فأتأم بعنق من رطب وبسر وتمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اجتنبته فقال يا رسول الله تخيرا على أعينكم ثم أخذ المدية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فأكلوا وشربوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد يده لتسأل عن نعيم هذا اليوم وفي لفظ عن هذا النعيم (فصل) ويقال أن هذه الطائفة تضيف إلى ماهى فيه من الباطل استحضار المرد في مجالسهم والنظر في وجوههم وربما زينوهم بالحلل والمصبغات من الشيب وتزعم أنها تقصد بذلك الاستدلال بالصنعة على الصانع . قال الأستاذ الفشيري رحمة الله وهو من روساء طائفتهم قوله عظيم في الرد عليهم وكشف فضائحهم من ابتلاء الله بشئ من ذلك فهو عبد أهله الله وخدله وكشف عورته وأبدى سوانحه في العاجل قوله عند الله سوء المنقلب في الآجل . وزوى أبو داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من خبب زوجة امرىء أو ملوكه فليس منها) خبب أى أفسد وخدع وأصله من الخبر وهو الخدع ويقال فلان خبب هب اذا كان فاسدا مفسدا . قال الواسطى رحمة الله وهو من كبار الصوفية اذا أراد الله هو ان عبد ألقاه الى هؤلاء الآitan الجيف ولم تسمعوا الى قول الله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكي لهم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلى رضي الله عنه (لاتتبع النظرة النطرة فاما لك الاولى وليس لك الآخرة) وقال بقية ابن الوليد رحمة الله قال بعض التابعين رضي الله عنه كانوا يكرهون أن يحدق الرجل النظر إلى الغلام الامرد الجميل الوجه . قال ابن عباس رضي الله عنهما للشيطان من الرجل ثلاثة منازل في نظره وقلبه وذكرة . وقال عطاء رحمة الله كل نظره يهواها القلب لا خير فيها . وقال سفيان الثوري رحمة الله لو أن رجلا عبث بغلام بين أصابع

رجل يريده الشهوة لكن لواطاً . وقال الحسن بن ذكوان رحمه الله لا تجسسوا أبناء الأغنياء فإن لهم صورا كصو النساء وهم أشد فتنة من العذاري . وقال بعض التابعين ما أخاف على الشاب النايس في عبادته من سبع ضار كحوفي عليه من الغلام الامرد يقعد إليه . وقال بعض التابعين رضي الله عنهم اللوطية على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصاغرون وصنف يعملون ذلك العمل وروى أن أحمد بن حنبل رحمه الله جاء إليه رجل ومعه ابن له حسن الوجه فقال لا تجئني به مرة أخرى فقيل له انه ابنته وهم مستوران فقال علمنا ولكن على رأي أشياخنا . وكان محمد بن الحسن صاحب بحبي بن معين لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة فجاءه غلام حدث ليجلس إليه فأجلسه من خلفه . فاما اتيان الذكور فهي الفاحشة العظمى وهو حرم مغلظ التحرير . قال الله تعالى (أتاؤنكم الذكران من العالمين وتذرون مخلوق لكم ربكم من أزواحكم) قال مالك ويرجم الفاعل والمفعول به أحصنا أولم يحصنا وبه قال ربيعة وأحمد ابن حنبل واسحاق . وقال الحسن البصري وعطا والنخعى وقادمة والأوزاعى وأبو يوسف ومدحه كالزنان كان يكرهونه كان ثببا يترجم ولا فرق بين أن يفعله مع غلام أو امرأة أجنبية والحجارة مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم (قال من وجد تمواه يعمل قوماً لوطاً فاقتلوه الفاعل والمفعول به) وأيضاً فإن الله تعالى رجم بالحجارة قال تعالى (فليما جاء أمرنا جعلنا على أيديها ساقلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) الآية وروى أن أبي بكر استشار الصحابة رضوان الله عليهم في رجل كان ينكح كاتنكة المرأة فقال على بن أبي طالب رضي الله عنه أرى أن يحرق فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه فأحرقه بالنار . وروى عنه أيضاً أنه قال يرجم اللوطى . وقال ابن عباس رضي الله عنهما يرمى من شاهق جبل أعلى ما في البلد منكسا ثم يتبع بالحجارة . وبروى عن أبي يكر الصديق رضي الله عنه

أَنْ قَالَ يَهْدِمُ عَلَيْهِ الْبَيْتُ . وَقَالَ عُثْمَانَ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقْتَلُ . وَرُوِيَ أَنَّ قَوْمًا
لَوْطًا كَانَتْ فِيهِمْ عَشْرَ خَصَالًا أَهْلَكُوهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا كَانُوا يَتَغَوَّطُونَ فِي الطَّرَقَاتِ
وَتَحْتِ الْأَشْجَارِ الْمُثَرَّةِ وَفِي الْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ وَفِي شَطَوْطِ الْأَنْهَارِ وَكَانُوا يَحْذَفُونَ
النَّاسَ بِالْحَصَابِ فَيَعُورُونَهُمْ وَإِذَا اجْتَمَعُوا فِي الْمَجَالِسِ أَظَاهَرُوا الْمُنْكَرَ وَأَخْرَاجَ
الرَّبِيعِ مِنْهُمْ وَاللَّطَمُ عَلَى رِقَابِهِمْ وَكَانُوا يَرْفَعُونَ ثِيَابَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَغَوَّطُوا وَيَأْتُونَ
بِالظَّامَةِ الْكَبِيرِ وَهِيَ الْلَّوَاطُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ
السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَر﴾ وَالنَّادِي الْمَجَالِسُ وَالْمَحَافَلُ . وَمَنْ ارْتَقَ فِي هَذَا
فِي الْبَابِ عَنْ حَالَةِ الْفَسُوقِ وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ بَلَاءِ الزَّوْجِ وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ
فَهُنَّهُ وَسَاوسُ الشَّيْطَانِ وَادِعَاءُ الْعَصْمَةِ وَهُوَ الْكُفَّرُ وَنَظِيرُ الشَّرِكِ فَاحْذَرُ
بِمَجَالِسِهِمْ فَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنْهُ فَتَحُ بَابَ الْخَذْلَانِ وَادْخَالَ الْمَهْرَاجَانِ يَنْتَكُ وَبَيْنَ الْحَقِّ
ثُمَّ يَقُولُ وَهُنَّكُمْ أَيُّهَا الْمَغْرُورُونَ قَدْ بَلَغْتُ رَتَبَةَ الشَّهِيدَاءِ أَلَيْسَ قَدْ شَغَلَتْ ذَلِكَ الْقَلْبُ
بِمَخْلُوقٍ . وَفِي الْحَدِيثِ (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى حَرَامٌ عَلَى قَلْبِ سَكِّنَهُ حُبُّ غَيْرِيْ أَنَّ
أَسْكَنَهُ حُبِّيْ) وَأَمَّا قَوْلُهُمْ أَنَّهُمْ يَسْتَدِلُونَ بِالصُّنْعَةِ عَلَى الصَّانِعِ فَنَهَايَةُ فِي سَعَيْهِ
الْهُوَى وَمُخَادِعَةِ الْعُقْلِ وَمُخَالَفَةِ الْعِلْمِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخِذَهُ هُوَاهُ﴾ قَالَ
ابْنُ عَبَّاسَ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْهُوَى شَرُّ الْهُوَى يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي
فِي بَابِ الْإِعْتِبَارِ ﴿أَفَلَا يَنْظَرُونَ إِلَى الْأَبْلَى كَيْفَ خَلَقْتَ وَالِّي السَّمَاءَ كَيْفَ رَفَعْتَ
وَالِّي الْجَبَلَ كَيْفَ نَصَبْتَ وَالِّي الْأَرْضَ كَيْفَ سَطَحْتَ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿أَوْلَمْ يَرَ
إِلَى الْعَلِيِّ فَوْقَهُمْ صَافَاتٌ وَيَقْبَضُنَّ مَا يَمْسِكُنَّ إِلَى الرَّحْنِ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَّا
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكِ الَّتِي تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ الْآيَةُ وَقَالَ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقَعُوداً
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ الْآيَةُ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَكَائِنُونَ مِنْ آيَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ
عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مَعْرَضُونَ﴾ فَعَدُلُوا عَمَّا أَمْرَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْإِعْتِبَارِ إِلَى مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ

بقوله ﴿فَلِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ الآية
(فصل) وأما الدف والرقص بالرجل وكشف الرأس وتخريق الثياب
 فلا يخفى على ذى لب انه لعب وسخف ونبذ للمرءة والوقار ولما كان عليه
 الآنياء والصالحون . روى أهل التفسير عن علی بن أبي طالب رضي الله عنه قال
 كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وحياة وصبر وامانة لارتفاع
 فيه الأصوات ولا تزبن^(١) فيه الحرم يتواصون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون
 فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب . قال
 وكان النبي صلى الله عليه وسلم لين الجانب سهل الخلق دائم البشر ليس بفظ
 ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا خاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما
 لا يشتهى قد ترك نفسه من ثلاثة المرأة والاكثر وما لا يعنيه وترك الناس من
 ثلاثة كان لا ينم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجأوا به
 وإذا تكلم أطرق جلساً كأنما على رؤسهم الطير فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون
 عنده الحديث ومن تكلم انصتوا له حتى يفرغ يعني يسكنون ويغضبون أبصارهم
 والطير لا يسقط الا على ساكن انتهى كلامه . ولو لم يكن في السماع والرقص شيء ينم
 الا أنه أول من أحدهه بنو اسرائيل حين اخذوا العجل المها من دون الله تعالى
 فجعلوا يغنوون بين يديه ويصفقون ويرقصون فبقي حالمكم كذلك الى أن جاءهم
 موسى عليه الصلوة والسلام وقع من قصتهم ما قد ذكره الله تعالى في كتابه
 فهم أصل لما ذكر وما كان هذا أصله فينبغى بل يتبعن على كل عاقل أن يهرب
 منه ويولى الظهر عنه ان كان عاجزا عن تغييره وأما ان كان له قدرة على ذلك
 فيتعين عليه والله الموفق . وقد قال عليه الصلوة والسلام (جب الى من دنياكم
 ثلاثة النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة) قال الإمام الطرطوشى رحمة

(١) لاتزبن في الحرم أى لاتذكر بما لا ينبغي

الله هؤلاء زعموا أن قرة أعينهم في الغناء واللهو والنظر في وجوه المرد
 (فصل) وقال رحمة الله وأما تمزيق الثياب فهو يجمع إلى ما فيه من
 السخافة افساد المال. روى أن النبي صلى الله عليه وسلم (نهى عن قيل وقال
 واضاعة المال وكثرة السؤال). وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه (مر النبي
 صلى الله عليه وسلم بشارة ميتة أعطيتها مولاً ليمونه من الصدقة فقال لها انتفعتم
 بها بها فقالوا أنها ميتة قال أنا حرم كلها). قال العلماء ويحجز على السفهاء
 وهو المبذرون لأموالهم وما في السفة أعظم من تمزيق الثياب. وقال أنس رأيت
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة
 رقعة واحدة منها من أديم أحمر. وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انقطع
 شمع نعله فقال أنا الله وأنا إليه راجعون. ومن أمثالهم من أصلح ماله فقد صان
 الأكرمين دينه وعرضه وتمزيق الثياب داخل في قوله تعالى لا بلس (وشاركم
 في الأموال والأولاد) وإذا كان الكسب خبيثاً كان مآلها إلى مثله انتهى كلام
 الطرطوشى رحمة الله

(فصل) وقال الشيخ أبو عبد الله القرطبي رحمة الله في تفسيره في
 قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) سئل عبدالله بن مسعود عن
 قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث فقال الغناء والله الذي لا إله إلا هو
 يردها ثلاث مرات وعن ابن عمر هو الغناء. وكذلك قال عكرمة وميمون بن
 مهران ومكحول. وروى شعبة وسفيان عن الحكم وحادي عن ابراهيم قال قال
 عبدالله بن مسعود الغناء ينبع النفاق في القلب. وقال مجاهد وزادأن لهو الحديث
 المعاذيف والغناء. وقال القاسم بن محمد الغناء باطل وبالباطل في النار. وقال ابن
 القاسم سألته عنه مالكا فقال قال الله تعالى (فإذا بعد الحق ألا ضلال) أفق
 هو . وروى الترمذى وغيره من حديث أنس وغيره عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال صوتان ملعونان فاجران انهى عنهم صوت مزمار ورنة شيطان عند نعمة وفرح ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب . وروى جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعثت بكسر المذاهير) خرجه أبو طالب الغيلاني . وخرج ابن بشران عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بعثت بهدم المذاهير والطبل) . وروى ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من جلس إلى قينة يسمع منها صب في أذنيه الآنك^(١) يوم القيمة) . وقد روى مرفوعاً من حديث أبي موسى الأشعري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين فقيل وما الروحانيون يا رسول الله قال قراء أهل الجنة) خرجه الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول . ومن رواية مكحول عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مات وعنه جارية مغنية فلا تصلوا عليه) . وهذه الآثار وغيرها قال العلامة بحرىم الغنا و هو الغناء المعتمد عند المشترين به الذى يحرك النفوس و يبعثها على الهوى والغزل والمحون الذى يحرك الساكن و يبعث الكامن فهذا النوع اذا كان فى شعر يشبب فيه بذكر النساء و وصف محسنهن و ذكر الخنور والمحرامات لا يختلف فى تحريمه لأنه اللهو والغناء المذموم باتفاق فأما من سلم من ذلك فيجوز القليل منه فى أوقات الفرح كالعرس والعيد و عند النشاط على الأعمال الشاقة كما كان فى حفل الخندق . فأما ما ابتدأه الصوفية اليوم من الادمان على سماع الاغانى بالآلات المطربة من الشابة والطار والمعازف والاوtar فرام . قال ابن العربي فأما طبل الحرب فللاحرج فيه لأنه يقيم النفوس ويرهب العدو . وذكر أبو الطيب طاهر

(١) الآنك بالمد وضم النون خالص الرصاص

ابن عبد الله الطبرى قال أماما لاك ابن أنس فانه نهى الغنا و عن استهانه وقال اذا اشتري جارية و وجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة . قال النحاس وهو من نوع بالكتاب والسنة . قال الطبرى وقد أجمع علماء الأمصار على كراهة الغنا والمنع منه . قال أبو الفرج بن الجوزى وقد قال الفقال من أصحابنا لاتقبل شهادة المغني والرقص . قال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله واذ قد ثبت أن هذا الأمر لا يجوز فأخذ الاجرة عليه لا يجوز . وقد داعى أبو عمر بن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على ذلك . وذكر القرطبي أيضاً في سورة سبحان في قوله تعالى (ولا تمش في الأرض مرحما) قال استدل العلامة بهذه الآية على ذم الرقص و تعاطيه . قال الإمام أبو الوفاء بن عقيل قد نص القرآن على النهي عن الرقص فقال (ولا تمش في الأرض مرحما) و ذم المختال والرقص أشد والمرح الفرح أولئك الذين نبذوا على الخز لاتفاقهما في الطرف والسكن فما بنا لانفيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والطلب لاجتماعهما فـ أقبح ذلحيثـ إذا كان ذاتيـةـ يرقصـ و يصفقـ على توقيعـ الأخـانـ والقضـبانـ خـصـوصـاـ إذاـ كانـ أصـواتـ نـسـوانـ وـ ولـدانـ وـ هلـ يـحـسنـ لـمـ بـيـنـ يـديـهـ المـوتـ وـ السـؤـالـ وـ الـخـشـرـ وـ الـصـراـطـ ثمـ مـآلـهـ إـلـىـ أحـدـيـ الدـارـينـ يـشـمـسـ بـالـرـقصـ شـمـوسـ الـهـائـمـ وـ يـصـفـقـ تـصـفيـقـ النـسـوـةـ وـ اللهـ لـقـدـ رـأـيـتـ مشـايـخـ فـيـ عـمـرـ مـاـبـانـ هـمـ سـنـ مـنـ التـبـسـ فـضـلاـ عـنـ الصـحـكـ معـ اـدـمـانـ مـخـالـطـيـ هـمـ . وـ قـالـ أبوـ الفـرجـ بنـ الجـوزـيـ وـ لـقـدـ حدـثـيـ بـعـضـ الـمـشـايـخـ عـنـ الـغـزـالـ أـنـهـ قـالـ حـمـاـقـةـ لـأـتـزـولـ الـلـعـبـ . وـ ذـكـرـ القرـطـبـيـ أـيـضاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ (وـ اـسـفـرـ مـنـ اـسـطـعـتـ مـنـهـ بـصـوـتـكـ)ـ قـالـ فـيـ الـآـيـةـ مـاـيـدـلـ عـلـىـ تـحـرـيمـ الـمـزـامـيرـ وـ الـغـنـاـ وـ اللـهـ وـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ وـ اـسـفـرـ مـنـ اـسـطـعـتـ مـنـهـ بـصـوـتـكـ عـلـىـ قـوـلـ مـجـاهـدـ وـ مـاـ كـانـ مـنـ صـوـتـ الشـيـطـانـ أـوـ فـعـلـهـ وـ مـاـ يـسـتـحـسـنـ فـوـ اـجـبـ التـنـزـهـ عـنـ (ـ فـصـلـ)ـ وـ قـدـ حـكـيـ عـنـ اـمـاـمـ هـذـهـ الـطـرـيقـةـ وـ هـوـ الشـيـخـ الـجـنـيدـ رـحـمـهـ اللهـ

أنه سئل لحضور السماع فأبى ثم سئل فأبى فقيل له ألسست كنت تحضره قال مع من ومين وقد حكى عن غيره من الأكابر أنه سئل لحضور السماع فأبى فقيل له أتذكر السماع قال ومثلي ينكره وقد فعله من هو خير مني ومنكم عبدالله بن جعفر الطيار وإنما أنكر ما أحدث فيه وهذا كما قد سبق من أن الغناء هو رفع الصوت بالشعر فحضره هذا السيد لما أن كان كذلك فلما أن حدث فيه ماحدث تركه وهذا أيضاً موافق لكلام الجنيد في قوله مع من ومين لما تقدم عنه رحمة الله إن القوال هو شيخ الجماعة الذي منه يستمدون وبه يقتدون ولاشك أن هذه الصفة بعيدة من سماع هذا الزمان لما تحتوي عليه معا لاينبغى كا هو مشاهد مرئي وقد وقعت الاشارة لبعضه وهذا مع ما فيه مما تقدم ذكره قل أن يسلم من حضور النساء في الموضع المشرفة عليه من سطح أو غيره وسماعهن الأشعار المهيجة لفتنة والشوؤن والملذوذات فإن ذلك يحرك عليهم ساكناً لما تقدم من أن الغناء رقية الرنا وهن ناقصات عقل ودين سبباً إذا اتضاف إلى ذلك أن يكون لهن طريق إلى التوصل إلى الرجال أو الرجال اليهن فأعظم فتنة وبليه سبباً إذا اتضاف إليه أن يكون المغني شاباً حسن الصورة والصوت ويسلك مسلك المغنيات في تكسيرهم وسوء تقلباتهم في تلك الحركات المذمومة مع ما هو عليه من الزيينة بلباس الحرير والرقيق من غيره وبعضهم يبالغ في أسباب الفتنة فيتقلد بالعنبر بين ثيابه لتشم رائحته منه و يجعل على رأسه فوطة من حرير لها حواش عريضة ملونة يصففها على جبهته ولم في استجلاب الفتن بمثل هذا أمر يطول ذكرها ثم العجب من هذا المسكين الذي عمل السماع لهم وجعهم له كيف يطيب خاطرها أو يسكن باطنها بروءية أهله لما ذكر أذ أن ذلك كله فتنة عظيمة قل من يسلم عند سماعها أو رؤيتها فانا لله وانا إليه راجعون أين غيرة الاسلام أين نجدة الرجال السادة الكرام أين الهمم العالية العفيفة عن الحرام أين اتباع السلف الاعلام

فتحصل مما تقدم ذكره أن كل من حضر الساع من الرجال والشبان ومن اطلع عليه من النساء أو سمعهم افتتن وقل أن يرضي بما عنده من الحلال غالبا فتشوف نفوسهم إلى ارتكاب المحرمات فنهم من يصل إلى غرضه الخسيس وهي البلية العظمى ومنهم من لا يقدر على ذلك لقلة ذات يده أو غيره من العوائق المانعة له فيكون آثما في قصده ولو توقف الأمر على ما ذكر لرجت لهم التوبة والاقلاع والاقالة مما وقعوا فيه لكن البلية العظمى إن كثيرا منهم يتذينون بذلك ويعتقدون به القرابة إلى الله عز وجل سبياً ان عملاً بسبب المولد فهو أعظم في الفتنة لأنهم يعتقدون أنهم في أكبر الطاعات وأظهار شعائر الدين وتعطى هذه القاعدة التي اتيحا لها أنهم أعرف بالشعائر من سلفهم فعود بالله من المحن والفتن ومن الابداع وترك الاتباع . وبالمجمل فقتنه أكثر من أن تحصر وهذا مع ما فيه من اضاعة المال والرياء والسمعة لو قيل لأحد هم تصدق بعض ماتتفقه فيه على المضطربين المحتاجين سرى الشج بذلك وبخل وما ذلك إلا لوجوه . الوجه الأول خبث الكسب غالباً لأن المال الذي يتحصل من وجه خبيث لا يخرج إلا في وجه خبيث مثله بذلك جرت الحكمة . الثاني إيشار الشهورات والملذات . الثالث الرياء والسمعة . الرابع محبة الثناء والحمدة والقيل والقال كما تقدم . الخامس محبة النفوس في الظهور على القرآن . السادسة إن صدقة السر خالصة للرب عز وجل فلا يقدر عليها إلا ذو حزم ومرءة واخلاص فالسعيد السعيد من تمسك بنور الشريعة وسلوك منهاجها وشديدة عليها وترك كل ما أحدهه المحدثون وعمل على خلاص مهجه وأهله و ولده ولا خلاص إلا بالاتباع وترك الابداع سلك الله بنا الطريق الأرشد انه ول ذلك وال قادر عليه بمحمد وآله (فصل) وقد تقدم في أول الكتاب أن تصرف المكافف لم يبق إلا في قسمين وهما الوجوب والندب فإذا كان هذا في حق غير الفقير المنقطع فإ

بالك بالفقير المنقطع المتوجه الى ربه الذى ترك الدنيا وشهواتها ولمذواتها خلف ظهره فهو أولى وأوجب بالمطالبة بالاتباع وترك الابداع أكثر من غيره واذا كان ذلك كذلك فالسماع اذا سلم ما تقدم ذكره لم يدخل في باب الواجب والمندوب بدلنل ما تقدم عن الجنيد رحمة الله حيث قال لا يصير السماع مباحا الا عشرة شروط وقد تقدم أكثرها والفقير أولى بل أوجب أن يحتاط لنفسه ويتحقق مواضع الريب ويسعد عن نفسه أبواب المفاسد كلها فانه شيه بالعالم في الاقداء به فصلاحه يتعدى لغيره وفساده كذلك فيتعين عليه أن يحفظ مهجته ومهجة غيره من المسلمين بالنهوض الى ما يجب عليه أو ينذر اليه ويترك ما عدا ذلك ويعرض عنه والله المستعان

(فصل) وينبغى له أن يصون حرمة الخرقة التي ينسب إليها بترك الوقف على أبواب أبناء الدنيا ومخالطتهم والتعرف بهم وقد تقدم قبح ذلك في حق العالم في حق الفقير أولى وأحرى اذا أنه أقبل على طريق الآخرة وترك الدنيا وأهلها فوقوفه على أبواب من تقدم ذكرهم نقىض طريقة ومقصده بل ينقطع عنهم ظاهرآً وباطناً أعني أنه لا ينقطع في خلوته وقلبه متعلق بغير ما هو فيه فان تعاقب خاطره بشئ من ذلك فهو منهم وان كان لم يدخل معهم في الظاهر ولم يكتثرون . الا ترى أنهم قد قالوا اذا رأيت الأمير على باب الفقير فاتهم الفقير لأنـه ماجأه الا لنسـبة حصلت في الفقير من أجل ما يتعاطـونه من أمور الدنيا ولأجل ذلك جاءـ الأمير لـ الحصولـ الجنـسـية او كـاـقاـلـواـ . وقد يكونـ الفـقـير لا يـشعـرـ بما أـوجـبـ ذلكـ فيـ حقـهـ . حتىـ لـقدـ حـكـيـ عنـ بعضـ هـمـ أنهـ كانـ لاـ يـمـرـ لهـ خـاطـرـ فيـ الدـنـيـاـ ثمـ حـصـلـ لهـ فيـ بـعـضـ الـأـيـامـ التـفـاتـ إـلـيـهـ وـإـذـ بـجـنـدـيـ يـدـقـ الـبـابـ فـدـخـلـ إـلـيـهـ وـجـلـسـ يـتـحدـثـ مـعـهـ فيـ الدـنـيـاـ فـرـجـعـ الشـيـخـ إـلـيـ نـفـسـهـ وـقـالـ هـذـهـ عـقـوـبـةـ مـنـ اللهـ مـنـ أـيـنـ أـتـيـتـ وـإـذـ هـوـ قـدـ ذـكـرـ الـخـاطـرـ الـذـيـ مـرـ بـقـاتـ

إلى تعالى وأفلح عنه وإذا بالجندي قد قام وخرج من حينه . فهذه كانت أحواضهم وسيرتهم الحسنة وهي قدوة لمن بعدهم من يتمسك بطريقهم أسأل الله أن لا يخالفنا عن حالمهم . ومم وهذا فلا تنسك الاجتماع بهم أعني إذا جاؤوا إلى الفقير راغبين فقد وردت السنة بحسن البشاشة عند اللقاء والأخذ مع المضطرين والمساكين فيما نزل بهم ولاشك أن احتياج أبناء الدنيا للرب يد وخطره أعظم من احتياج غيرهم من الفقراء والمساكين إلى المرید المنقطع إلى ربه عزوجل لأن الفقير المسكين أقرب إلى رب سبحانه وتعالي اذ هو في حالة الاضطرار والمسكينة عليه ظاهرة بخلاف أبناء الدنيا لأن الغالب عليهم الشر ودعن باب ربهم لأجل تعلقهم بمن هو فوقهم أو من هو مثلكم من أبناء الدنيا فيحتاج المريد إذا أتوا إليه أن يبسط لهم لكي يتوصل بذلك إلى مواعظهم وسياسة أخلاقهم ليسرق طباعهم بالرفق والتيسير وعدم التغير قاصدا بذلك وقوفهم بباب ربهم وارشادهم إليه لالغرض دنيوي لأن نجاة هؤلاء من باب خرق العادة بخلاف الفقير والمسكين فإذا خلص واحداً من هذه صفتة فلا شك أنه من المجاهد في الجهاد من الفضيلة ما فيه فيحتاج أن يغتنم مasicي إليه من هذا الخير العظيم ويشد يده عليه بشرط أن يتحفظ على مقامه الذي هو فيه من تدنيسه بالتشوف إلى ما في أيديهم أو التعزز بعزم القاف أو الركون إلى شيء من أحواضهم الزائلة فإذا سلم من ذلك فلا ينافي قضاء حوانج المضطرين من المسلمين على أيديهم لأن له بذلك منه عليهم لأنه ساق إليهم خيراً عظيماً ومعروفاً جسياً لكن بشرط يشترط فيه وهو أن يريهم أن الحظ والمنفعة وال الحاجة الكبرى لهم في استقضائه حوانج المسلمين منهم بعد أن يتحقق عنهم أنهم مضطرون إلى ذلك أكثر من أرباب الحاجات إليهم وأن ذلك متى علهم من غير أمره لهم بذلك فكيف مع اطلاعه واطلاعهم وهذا باب كبير متسع فيكتفى التنبية عليه . وبالجملة فالفقراء السالكون من مضى .

منهم نفعنا الله بهم قد انقسموا في هذا الباب على ثلاثة أقسام . فنهم من كان لا يخالط أحداً من غير جنسه فان وقع لأحد هم شيء من ذلك استعمل التحيل في التخلص منه . كما حكى عن سفيان الثورى أنه لما أن تولى الخليفة من يعتقد أنه ويرجع اليه هرب منه الى البلاد وسافر الى مواضع لا يعرف فيها في الخليفة يسأل عنه ويبحث عن أمره الى أن اجتمع به بعض من يعرفه فتكلم معه في أن اجتمعه بال الخليفة فيه خير كثير للمسلمين فكان جوابه أن قال يصلح ما يعلم فساده فإذا فرغ من ذلك أتيته وجلست مه وعلمه مالم يعلمه أو كما قال . وقد حكى عن بعضهم أنه أظهر التوله حين اتىان السلطان اليه بأن جعل على بابه أحمالاً من الخبز فوضعها وجلس هناك فلما أن رأى السلطان مقبلاً أخذ رغيفاً وجعل بعض فيه ويا كل بنهمة بفم السلطان فسأل عنه فقيل له هذا فسلم عليه فرد عليه السلام فكلمه فأني عن جوابه فسألته لم لا ترد على الجواب فقال أخاف أن تشغلني عن أكلى أو أن تأكل معي فيذهب هذا الخبز وأنا لاأشبع أو كما قال فرجع السلطان عنه وهذا باب السلامة ولا يعدل بالسلامة شيء . القسم الثاني أنهم يجتمعون بهم اذا أتوا اليهم بالشروط المتقدم ذكرها . القسم الثالث الاتيان اليهم وفيه خطر من أجل مخالطتهم والوقوف على أبوابهم لقضاء حاجتهم المسلمين اذا ذلك جمع بين أمرين متضادين أحدهما حسن وهو قضاء حاجتهم المسلمين والتفرج عنهم والثاني ضده وهو اهانة خرقه الفقير بالوقوف على أبواب من لاينبغى . وقد قال بعضهم ما أقيح أن يسأل عن العالم فيقال هو ياب الأمير فإذا كان هذا القبح في حق العالم فالله بالله في المريد الذي خلف الدين او رأ ظهره وأقبل على الآخرة يطلبها وتوجه الى الله عز وجل بالانقطاع اليه ولم يكن فيه من القبح الا أنا مأمورون بالتغيير عليهم في بعض أحوالهم والوقوف يابهم ينافي ذلك . وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يختار الطريقة الوسطى لاشرقية ولاغربية لا يقف

بيا لهم ولا ينفر منهم بل يستقضى حاجتهم والمساكين منهم اذا أتوا اليه وأما من لم يأت منهم اليه فانه كان لا يرسل اليه أصلاً ومن نزلت به ضرورة واقتضى عليه يحيله على الصدقة والتوبة مما جنى وأما الارسال اليهم فكان لا يرسل من يعرف ولا من لم يعرف فمن كان يعرف منهم اذا جاء ذكر له ما اطلع عليه من ضرورات المسلمين فأزالها وهذا الذي درج عليه هو حال أكثر السلف اعني الطريقة الوسطى المتقدم ذكرها والله الموفق هذا حاله مع زيارة من ينسب الى الدنيا . وبالجملة فمن يأتي الى زيارة المرید ينقسمون على ثلاثة اقسام . الاول ايتان أبناء الدنيا له . والثانى زيارة المریدين والصلاحاء . والثالث زيارة من شارك فى الخرفة من جهة شيخه او من جهة العالم الذى اهتدى بهديه فالقسم الاول قد تقدم ذكره وأما القسم الثانى فيتعين عليه أن يلقى من أئمته برب وسعة صدر وأن يكثر التواضع لهم ويرى الفضل لهم عليه فيما فعلوه ويرى نفسه أنه مقصرة في حقهم اذا أنه قعد عن زيارتهم حتى استاجروا إلى زيارته فيعوض لهم عن ذلك كثرة الأنس واظهار الود بشرط أن يكون ذلك منه باطنا كما فعله ظاهرا والمقصود أن يبالغ في الأدب معهم بتوقير كبيرهم واحترامه واللطف بصغيرهم في ارشاده وتهذيب أخلاقه وتهيء أمره للسلوك والترقى وان استطاع أن لا يخرج عنه أحدا من هذه الطائفة الا عن أكل فليفعل لأنه قد ورد عن السلف رضي الله عنهم أنهم كانوا لا ينصرفون الا عن ذوق فان لم يمكنه ذلك الا بتكلف مثل أخذدين أو ما يقاربه فالترك أولى به . وقد حكى عن بعضهم انه جاءه أضياف فقدم لهم خبزا وملحا وقال لو لا أنا نهينا عن التكلف لتتكلفت لكم لكن يعوضهم عن ذلك أ Maddahem في بواطنهم ان كان من أهل ذلك فان لم يكن من أهل الامداد فيدعو لهم بظاهر الغيب ولعل أن يكون فيهم وهو الغالب من هو أرفع منه قدرا وأعظم شأنًا فيكون دعاؤه اذا ذلك يعود عليه بركته . لما ورد أن المرء اذا دعا لأخيه

فِي ظَهَرِ الْغَيْبِ فَإِنَّ الْمَلَكَ يَقُولُ لَهُ وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ أُوكَا وَرَدٌ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلْفِ كُلَّ حَاجَةً أَحْتَاجُهَا وَأَرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ بِهَا النَّفْسَى أَدْعُوَ بِهَا الْأَخْرَى فِي ظَهَرِ الْغَيْبِ لِأَنِّي إِذَا دَعَوْتُ لِنَفْسِي كَانَ الْأَمْرُ مُحْتَمِلًا لِلْقَبُولِ أَوْ ضَدِّهِ وَإِذَا دَعَوْتُ لِأَخْرَى فِي ظَهَرِ الْغَيْبِ فَلَمْ يَكُنْ يَقُولُ لَكَ مِثْلُ ذَلِكَ وَدَعَاءُ الْمَلَكِ مُسْتَجَابٌ . وَقَدْ حَكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى زِيَارَةِ أَخِيهِ فَقَالَ لَهُ الْمَزُورُ يَا أَخِي أَمَا كَانَ لَكَ شُغْلٌ بِاللهِ عَنْ زِيَارَتِي فَقَالَ لَهُ الرَّازِئُ شُغْلٌ بِاللهِ أَخْرَجَنِي إِلَى زِيَارَتِكَ . وَقَدْ حَكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ إِذَا سُأْلَهُ أَحَدٌ مِنْ أَخْوَانِهِ فِي حَاجَةٍ يَبْكِي ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَسُئِلَ عَنْ مَوْجِبِ بَكَانَهُ فَقَالَ أَبْكَى لِغَلْطَتِي عَنْ حَاجَةٍ أَخِي حَتَّى أَحْتَاجَ أَنْ يَدِيهَاهُ وَهَذَا الَّذِي ذُكِرَ هُوَ جَارِ عَلَى جَادَةٍ غَالِبٍ حَالَ النَّاسِ وَبَعْضُ الْأَكَابِرِ يَعْوَضُ عَنْ ذَلِكَ مَا هُوَ فِي الْإِيَّاثَارِ أَكْثَرُ وَأَعْمَمُ وَلِهِ ذَلِكَ اقْتِدَاءٌ حَسْنٌ صَحِيحٌ . كَمَا حَكِيَ لِي مِنْ أَنْقَبِهِ إِنَّ الْفَقِيهَ الْإِمامَ الْمُعْرُوفَ بِابْنِ الْجَيْزِيِّ جَاءَ إِلَى زِيَارَةِ الْفَقِيهِ الْإِمامِ الْمُحَدِّثِ الْمُعْرُوفِ بِالظَّهِيرَةِ التَّزَمِنِيِّ وَكَانَ إِذَا ذَلِكَ مُنْبَسِطًا مَعَهُ مِنْ حَضْرَهُ فَلَمَّا أَخْبَرَ بِمَجْمِعِ الْفَقِيهِ إِبْنِ الْجَيْزِيِّ إِلَى زِيَارَتِهِ اقْبَضَ عَنْ ذَلِكَ وَزَالَ بِسْطَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ مُنْقَبِضٌ فَسَلَمَ عَلَيْهِ فَرَدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ شَيْئًا وَلَمْ يَكُنْ كَلَامَهُ إِلَّا جَوَابًا فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَسْطِ مَعَهُ مِنْ حَضْرَهُ فَسُئِلَ عَنْ مَوْجِبِ ذَلِكَ فَقَالَ اسْتَغْفَرَتْ نَفْسِي أَنْ يَكُونَ مِثْلُ هَذَا السَّيِّدِ يَزُورُ مِثْلِي فَأَرْدَتْ أَنْ أَكَانَهُ بِعْضَ مَا يَسْتَحْقَهُ فَوَجَدْتُ نَفْسِي عَاجِزَةً عَنْ مَكَافَأَتِهِ فَأَتَرَتْهُ بِالْأَجْرِ كَاهَ حَتَّى يَكُونَ فِي صَحِيفَتِهِ دُونِ لِمَا وَرَدَ إِذَا تَقَرَّ الْمُسْلِمَانَ فَأَكْثَرُهُمَا ثُوابًا أَبْشَهُمَا لِصَاحِبِهِ فَأَتَرَتْهُ بِذَلِكَ أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ . وَهَذَا أَهْلُ الْأَصْلِ فِي الْإِتَّابَةِ لِلسَّنَةِ الْمُطَهَّرَةِ وَهُوَ مَارُوِيٌّ أَنَّ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ إِذَا لَقِيْتَ عَلَيْا ابْتَدَأْنِي بِالسَّلَامِ فَلَقِيْتَهُ إِلَيْكَ يَوْمَ فِيمَا يَسْلِمُ عَلَى حَتَّى ابْتَدَأْنِهِ بِالسَّلَامِ

قال له اجلس فجلس واذا بعى بن أبي طالب قد جاءه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم تبتدئ ابا بكر اليوم بالسلام فقال يا رسول الله رأيت فيما يرى الناس فصراف في الجنة لم ار مثله فقلت من هذا القصر فقيل له يبتدئ اخاه بالسلام فأردت أن أؤثر اليوم ابا بكر على نفسي أو كا قال وهذا أعظم في الاحترام وأبر في الاحترام فمن كانت له استطاعة على مثل هذا الايثار فهو أولى به لكن يخالف على فاعل ذلك في هذا الزمان أن ينفر الناس غالباً عن باب ربهم ويوقعهم فيما لا ينبغي فارتکاب الطريقة المتقدمة والحالة هذه أولى بل أوجب اللهم إلا أن يقع ذلك مع من له رسوخ في السلوك كما تقدم وصف من وقع له ذلك والله الموفق (فصل) اعلم رحنا الله واياك أن لقبول الدعاء مواضع عديدة ينبغي الاعتناء بها ليعرف المكلفين أما كلها فيتعرض لها لقوله عليه الصلاة والسلام (أن الله نفحات فتعرضوا لنفحات الله) فمن جملة النفحات ما تقدم ذكره من دعاء المؤمن لأخيه في ظهر الغيب . والثاني المضطر وهو الأصل لعمومه قال الله تعالى (أمن يحب المضطر اذا دعاه) وهذا لفظ عام دون الاتصاف بصفة دون أخرى وكثير من يقع له الغلط والوهم في هذا القسم فيرى أنه مضطر فيدعوه فلا يستجاب له فيقول أني هنا فيقع له الجواب ببيان الحال (قل هو من عند أنفسكم) إذا أنه لو حصلت له حالة الاضطرار مارد وما يحب لأن الله سبحانه وتعالى لا يختلف الميعاد . ومثال ذلك في الحسن ما كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول مثله مثل من ركب في السفينة فهو مضطر إلى رفع يمني بها وإلى بحر هاد قليل الآفات لكنهم مطمئتون بسفينتهم راكبون إليها وفي هذا السكون من عدم الاضطرار ما فيه فلوجاء الريح العاصف وتحرك عليهم هول البحر لكن اضطرارهم أكثر من الأول لكنهم عندهم قوة في أنفسهم بالسفينة التي هي سبب السلامة غالباً فلو انكسرت السفينة مثلاً وبقي كل واحد منهم أو جماعة على لوح

لاشتد اضطرارهم أكثـر من الثاني لكنهم يرجون السلامة لما تحتمـمـنـالـأـلـواـحـ وذلك قدح في حقيقة اضطرارهم فلو ذهبت الألواح وبقوا بعد ذلك في بحر البحار لا يرى ولا يجهـهـ تـقـصـدـ ولا لـوحـ يـرـامـ أنـيـصـعـدـ عـلـيـهـ فـهـذـهـ الصـفـةـ هيـ حـقـيقـةـ الـاضـطـرـارـ أوـكـاـ قالـ .ـ فـنـ اـتـصـفـ بـهـذـهـ الصـفـةـ وـهـوـ فـيـ حـالـةـ الـاتـسـاعـ مـنـ أـمـرـهـ كـانـ مـضـطـرـاـ حـقـيقـةـ فـلـايـشـكـ وـلـايـرـتـابـ فـيـ اـجـابـتـهـ وـمـاـوـقـعـ الغـلـطـ الـافـ صـفـةـ التـحـصـيلـ لـهـذـهـ الصـفـةـ الـجـمـيلـةـ الـتـيـ أـخـبـرـنـاـ اللهـ تـعـالـىـ بـهـ فـيـ كـتـابـهـ العـزـيزـ الثالثـ مـنـ مواطنـ الـاجـابـةـ عـنـ نـزـولـ الغـيـثـ .ـ الـرـابـعـ عـنـ الـآـذـانـ .ـ الـخـامـسـ عـنـ اـصـطـفـافـ النـاسـ الـصـلـاـةـ .ـ السـادـسـ عـنـ اـصـطـفـافـهـمـ لـلـجـهـادـ .ـ السـابـعـ الـثـلـاثـ الـآـخـيرـ مـنـ الـلـيـلـ فـيـ كـلـ لـيـلـ إـلـىـ طـلـوعـ الـفـجـرـ .ـ الـثـامـنـ الدـعـاءـ عـنـ الـصـائـمـ عـنـ اـفـطـارـهـ .ـ الـعاـشرـ حـضـورـ يـؤـمـنـونـ عـلـىـ دـعـاءـ الـدـاعـيـ .ـ التـاسـعـ الدـعـاءـ مـنـ الصـائـمـ عـنـ اـفـطـارـهـ .ـ الـعاـشرـ الـدـعـاءـ مـنـ الـمـاسـفـ عـنـ سـفـرـهـ .ـ الـحـادـيـ عـشـرـ وـهـوـ آـكـدـهـ السـاعـةـ الـتـيـ وـرـدـتـ فـيـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ وـقـدـ تـقـدـمـ بـيـانـهـ .ـ الـثـانـيـ عـشـرـ يـوـمـ الـاثـنـيـنـ وـلـيـلـتـهـ وـقـدـ تـقـدـمـ بـيـانـهـ الـثـالـثـ عـشـرـ لـيـلـ الـقـدـرـ وـهـيـ أـمـ الـبـابـ وـخـلـافـ الـعـلـمـاءـ فـيـهاـ مشـهـورـ مـعـرـوفـ الـرـابـعـ عـشـرـ الدـعـاءـ مـنـ الـوـالـدـيـنـ لـوـلـهـمـاـ .ـ الـخـامـسـ عـشـرـ الدـعـاءـ عـنـ حدـوثـ الـخـشـوعـ وـاقـشـعـرـ الـجـلـدـ وـالـخـرـوفـ وـالـقـلـقـ وـغـلـبةـ الـرـجـاـءـ فـانـ هـذـهـ مواطنـ كـلـهاـ مـحـلـ لـلـلـاجـابـةـ .ـ السـادـسـ عـشـرـ وـهـوـ أـعـظـمـهـاـ وـأـوـلـاهـاـ الدـعـاءـ باـسـمـ اللهـ الـأـعـظـمـ وـقـدـ اـخـتـلـفـ النـاسـ فـيـ تـعـيـينـهـ اـخـتـلـافـاـ كـثـيرـاـ حتـىـ قـالـ بـعـضـهـمـ انـ ذـلـكـ رـاجـعـ الـاـتـصـافـ بـحـالـةـ الـاضـطـرـارـ كـاـ تـقـدـمـ وـمـنـهـمـ مـنـ قـالـ اـنـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ (ـوـالـهـكـمـ الـهـوـاـحـدـ لـاـهـلـاـهـ الـرـحـمـنـ الرـحـيمـ)ـ وـمـنـهـمـ مـنـ قـالـ (ـاـلـهـ لـاـهـ لـاـهـ الـحـيـ الـقـيـوـمـ)ـ وـ(ـالـمـالـهـ لـاـهـ لـاـهـ الـحـيـ الـقـيـوـمـ)ـ وـعـنـتـ الـوـجـوـهـ الـحـيـ الـقـيـوـمـ)ـ وـمـنـهـمـ مـنـ قـالـ (ـلـاـهـ الـأـلـاـنـتـ سـبـحـانـكـ اـنـ كـنـتـ مـنـ الـظـالـمـيـنـ)ـ وـمـنـهـمـ مـنـ قـالـ آـخـرـ سـوـرـةـ الـحـشـرـ إـلـىـ غـيـرـ ذـلـكـ وـهـوـ كـثـيرـ .ـ السـابـعـ عـشـرـ يـوـمـ عـرـفـةـ .ـ الـثـامـنـ عـشـرـ شـهـرـ رـمـضـانـ .ـ التـاسـعـ عـشـرـ

فـ السجود . وبالجملة فالدعا له أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فـ ان صادف أركانه قوى وـ ان صادف أجنحته طار في السماء وـ ان صادف أسبابه نجح وـ ان صادف أوقاته فاز فـ ان أركانه الاضطرار وقد تقدم . وأجنحته قوة الصدق مع المولى سبحانه وتعالى فيما يرجوه ويؤمله منه ويخافه . وأسبابه الصلة على النبي صلى الله عليه وسلم . وأوقاته الاسحار . وما تقدم ذكره اناها هو فيمن هو على جادة التكليف . وأما من هو في مقام الرضى أو ما يقاربه فقد يكون السؤال في حقه ذنبـاً يتعين عليه التوبة والاستغفار منه . كما قد حكى عن بعض السلف أنه قال بمحاسـرـتـ الـبارحةـ وـسـأـلـ رـبـيـ المـعـافـةـ مـنـ النـارـ وـكـاـ حـكـيـ الشـيـخـ الـامـامـ اـبـوـ طـالـبـ المـكـ رـحـمـهـ اللـهـ عـنـ بـعـضـهـ أـنـ هـقـ كـلـ المـقـامـاتـ نـلتـ مـنـهـ شـيـئـاـ الاـهـنـاـ الرـضـاـ فـاـنـىـ مـاـنـلـتـ مـنـ الـاـمـقـدـارـ سـمـ الـخـيـاطـ . وـمـعـ ذـلـكـ لـوـ أـخـرـجـ أـهـلـ جـهـنـمـ أـجـعـينـ وـأـدـخـلـهـ جـهـنـمـ وـمـلـأـهـ بـجـسـدـهـ وـعـذـبـهـ بـعـذـابـهـ أـجـعـينـ لـكـانـ رـاضـيـاـ بـذـلـكـ وـقـدـ تـقـدـمـ مـاـجـرـىـ لـلـكـلـيمـ عـلـيـ الـصـلـةـ وـالـسـلـامـ مـعـ الـعـابـدـ . وـبـالـجـمـلـةـ فـالـأـمـرـ رـاجـعـ إـلـىـ حـالـ مـنـ وـقـعـهـ ذـلـكـ وـفـيـ أـيـ وـقـتـ يـقـعـهـ ذـلـكـ وـقـدـ يـكـونـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ الرـضـاـ فـيـ حـقـهـ أـوـلـىـ وـأـفـضـلـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ حـالـهـ وـمـاـخـتـصـهـ فـيـ وـقـهـ ذـلـكـ وـقـدـ يـكـونـ فـيـ وـقـتـ آـخـرـ الدـعـاـ وـالتـلـقـ وـاظـهـارـ الفـاقـهـ وـالـاضـطـرـارـ وـالـحـاجـةـ أـوـلـىـ وـأـفـضـلـ وـكـلـ ذـلـكـ مـاـخـوذـ مـنـ السـنـةـ الـمـطـهـرـةـ وـعـنـ السـلـفـ الـمـاضـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ أـجـعـينـ . ثـمـ نـرـجـعـ إـلـىـ مـاـكـنـاـ بـسـيـلـهـ مـنـ أـقـسـامـ الزـائـرـ وـالـمـزـورـ . الـقـسـمـ الثـالـثـ الـاشـتـراكـ فـيـ الرـضـاعـةـ فـيـ مجـالـسـ الـعـلـمـ وـمـجـالـسـ الشـيـوخـ فـنـ جـاهـ مـنـ هـنـاـ القـسـمـ فـوـ مـنـ الـخـاصـةـ بـهـ فـاـنـ استـطـاعـ أـنـ يـكـونـ لـهـ أـرـضاـ فـلـيـفـعـلـ إـذـ أـنـ اـحـتـرـامـهـ اـحـتـرـامـ لـشـيـخـهـ الـذـىـ أـخـذـ عـنـهـ . وـآـدـابـ الـمـرـيدـ مـعـ شـيـخـهـ لـاـتـحـصـرـ وـلـاـرـجـعـ إـلـىـ قـانـونـ وـلـاـيـقـدـرـ الـمـرـيدـ أـنـ يـقـومـ بـحـقـهـ فـيـ الغـالـبـ إـذـ أـنـ حـقـيقـةـ أـمـرـ الشـيـخـ أـنـ وـجـدـهـ فـيـ بـحـارـ الـذـنـوبـ وـالـغـفـلـاتـ فـأـخـرـجـهـ مـنـ كـلـ ذـلـكـ وـأـدـخـلـهـ الجـنـةـ وـهـوـ أـمـرـ

لا يقدر أحد أن يجازى عليه الله تعالى
(فصل) وينبغى له أن يكون أهل الامر عنده وآكدها الخلوة عن
 الناس والانفراد بنفسه دونهم كا تقدم لأن الخلوة سبب للفتح غالباً . وللحد من
 أن يقبل ماتلقى إليه نفسه أو الشيطان من محنة الاجتماع بالأخوان أو الميل إليهم
 أو الميل إلى رؤيتهم فان النفس مجبرة غالباً على حب الراحة والبطالة وهي لا تجد
 لذلك سبيلاً مع دعوب الخلوة ولا تجد السبيل إلى أن تسرقه أو تميل به عما هو
 بسبيله الأسباب الاجتماع بالأخوان غالباً اذ بالاجتماع بهم تجد السبيل إلى الزيادة
 والنقصان فيما يريده ويختاره وفيه من الخطأ ما فيه أو عكسه وهو الداء الذي
 ليس له دواء في الغالب الالتوبة والاقلاع والتحلل وكان في غنيمة عن ذلك كله
 وهذه دسيسة قل من يشعر بها الا من نور الله بصيرته . وقد قال الشيخ الإمام أبو
 عبد الرحمن الصقلي رحمه الله في كتاب الدلالات له عن بعض شيوخه أنه قال كنت
 أخلاقاً لأسلم من ضرر الناس فصرت أخلاقاً لأنغم فصرت أخلاقاً لفهم فصرت
 أخلاقاً لأعلم فصرت أخلاقاً لأنعم . فانظر رحمنا الله واياك إلى هذه المقامات الجليلة
 التي انتقل منها وإليها واحدة بعد واحدة . فاوها طلب سلامة الناس
 منه كا تقدم اذ أن طلب السلام من الناس فيه تزكية للنفس ووقوع
 في حق إخوانه المسلمين فإذا خلا بنفسه لكي يسلم الناس من لسانه وبصره
 وسماعه وبطشه وسعيه وحسنه إلى غير ذلك مما يعتوره في خلطته لهم فيحصل
 بسبب ذلك في القسم الذي شهد له صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلم
 بالاسلام حيث يقول عليه الصلاة والسلام (المسلم من سلم المسلمين من لسانه
 ويده) وقد تقدمت الاشارة إلى ذلك كله . فلما أن حصل هذا المقام السنى ترقى بعده
 إلى ما هو أنسى منه وهو حصول الغنيمة فهو في أعمال الآخرة يتهمها اذ أن الخلوة التي
 هو فيها أعادته على افتراس ذلك والهوض إليه لعدم العائق . ثم بعد حصول

هذا المقام السنى ترقى إلى ما هو أسمى منه وهو الفهم عن الله تعالى في آياته وفي
أحكامه وفي تدبيره في خلقه واحسانه إلى أوليائه وقربه منهم وعلمه بحالهم اذ
هو سبحانه وتعالى الكريم الذى من بذلك وسهل الأمر عليه فيه والفهم عن
الله أعم من هذا كله وإنما هو اشارة ملائعاً ما ذكر . ثم انتقل بعد هذا المقام
السنى إلى ما هو أسمى منه وهو العلم لأنها نتيجة الفهم اذ أنه اذا فهم علم وهذا العلم عام
في العلم بالله تعالى والعلم بأحكام الله اذ أنه لا يوجد جاحد بأحكام الله عليه عالم بالله
والعلم بالله ليس له حدينه إليه بخلاف العلوم الشرعية فإن لها نهاية على ما قد علم فلما
أن حصل هذه الدرجة السنوية انتقل منها إلى ما هو أسمى منها وهو التنعم في خلوته والتلاذ
بالطاعات التي يحاوتها اذ أنه عبد قد خلعت عليه خلع القرب فتصف بالمقامات
السنوية التي لا يستحقها ولا بعضها الأفضل المولى سبحانه وتعالى وكرمه وامتنانه
اذ لا فرق بينه وبين اخوانه من المسلمين فكونه خلع عليه دونهم هذا فضل
عظيم لا يقدر أن يقوم بشكر بعضه اللهم لا تحرمنا ذلك فانك وليه والقادر
عليه بمحمد وآلـه صلـى الله علـيه وعلـيـهم وسـلـمـ . فإذا حصل في هذه الدرجة انتفع
بنفسه وانتفع به من عرفه ومن لم يعرفه . فإذا حصل في هذا المقام السنى جاءاته
الألطاف تترى اذ أنه تشبه فيه بالملائكة الكرام الذين لا يأكلون ولا يشربون
وبذكر ربهم يتنعمون اذ أن الذكر لهم كالنفس لنا ومن هذا حاله تكون العبادة
له كالغذاء لأن الغذاء جمع أشياء منها شهوة النفس للأكل والشرب وقوام البدن
والاعانة على فعل الطاعات . ومن حصل في هذا المقام الذي تقدم ذكره فقد
تم له النعم . ألا ترى أن بعضهم كان يأكل أكلة في الشهر وبعضهم في ثلاثة
أشهر وبعضهم في ستة أشهر وبعضهم لاهذا ولاهذا كل ذلك راجع إلى حال
النعم في الخلوة كما تقدم . ومن هذا الباب انقطع كثير من المریدين لأنهم لم
يحكموا الآداب في الوصول إلى هذا المقام فيريدون أن يتشبهوا بمن هو فيه

فينة طعون وماذاك الا أن هذاغداوه بالتنعم الذى هو فيه وقد مضت حكمه الحكيم سبحانه وتعالى أن هذا البدن لاقوام له الا بقوت فالقوت المعنوى الذى حصله هذا الذى تقدم ذكره أغناه عن القوت الحسى وهم لم يحكموه وتركوا القوت الحسى . وقد قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله اعلم أن الله عزوجل قد تكفل لهذا الهيكل برزق لاقوام له الا به قال وهذا الرزق الذى تكفل به ليس من شرطه أن يكون محسوسا فتارة يكون محسوسا وتارة يكون معنويا أو كما قال ولاجل الجهل بتحصيل هذا القوت المعنوى حصل لبعض من يتعانى كثرة المجاهدة أشياء رديئة مثل العربدة أو الجنون أو النشاف^(١) الى غير ذلك فنتأدب بهذه الآداب المذكورة في الخلوة يغلب الرجاء أنه من الناجين والحمد لله رب العالمين . وقد سمعت سيدى أبا محمد رحمة الله يقول انه قد كان دخل في مجاهدة بنية أمد معلوم فلم تقدر نفسه على اتمام المدة وضاق ذرعه بذلك قال فأردت ان أفتر ثم حصلت لي عزيمة على ترك ذلك فلما أن شعرت نفسى بهذه العزيمة غنى عليها فرأيت في تلك الغشوة كأن انسانا يطعمنى فأكلت حتى شبعت ثم سقاني فشربت حتى رويت ثم استفدت وأنا شبعان ريان فقمت أغمضت الطاعة مبتدرا بقوة ونشاط فقررت المدة وأنا على ذلك الحال ثم بقيت بعد مدة أخرى كذلك ولو بقيت على ذلك بقية العمر لرأيت أنى لأحتاج الى غذاء بعدها لكن رجعت الى الغذاء خوفا منى على ترك السنة اذ أن السنة وردت بالغذاء . هذا الوجه الذى ذكره رحمة الله . وفيه وجيه آخر وهو أنه لو تمادى على ذلك الحال لاشتهر أمره وعرفه الناس بذلك وهذا فيه ما فيه . وبالجملة فبركة الخلوة لا تحصر ولا تتفق على حد ينتهى اليه كل

(١) النشاف بالتشديد كشداد من يأخذ حرف الرغيف فيغمسه في رأس القدر ويأكله دون أصحابه اه قاموس

على قدر حاله ومرتبته وأقل فوائدها بل أعظمها وزبدها ما يحمدنه الله عزوجل عند ذلك من الخشوع وتصادر النفس والاحتقار بها وذاتها والاطلاع على مسكنتها وقلة حيلتها وفقرها واضطراها إلى سيدها ومدبرها . وقد سأله سفيان الثوري الأعمش رحمة الله تعالى عن الخشوع فقال يا ثورى أنت تريد أن تكون أماماً للناس ولا تعرف الخشوع سأله إبراهيم النخعي عن الخشوع فقال يا أعميش تريد أن تكون أماماً للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع بأكل الجشي ولالبس الحشن وتطاوطى الرأس لكن الخشوع أن ترى الشريف والدنى سواء وأن تخشع له في كل فرض افترض عليك . والغالب أن هذا قول أن يحصل إلا مع كثرة الخلوات فالخلوة نور ذلك كله وبهاؤه وعليها تقرر الأحوال السنية والمراتب العالية فليشد المريد يده ليحصل ما يترتب عليها من البركات والله الموفق للصواب

(فصل) وآكـد ما عليه في خلوته النظر في الجهة التي يقتات منها فايتحفظ على نفسه من الشبهات التي تطرأ عليه فيها اذ أن ذلك لا يخلو من وجوه اما أن يكون يعرف أصلها مثل أن يكون من كسب يده أو ميراث أو غيرها من وجوه الحل فهذا قد لطف الله به اذ يسر له ذلك من وجه حل وانقطع بسيـه الى الخلوات وبركتها واما أن يكون ذلك من جهة ما يفتح الله تعالى بهـ من الغـيب فـذلك على وجـهـين أحـدـهما أن يكون بغير واسـطةـ والأـخـرـ بواسـطةـ فـأنـ كانـ الأولـ فهوـ مثلـ القـسـمـ الذـيـ قبلـهـ مـلـطـوفـ بـهـ الاـ أـنـهـ قدـ يـخـشـىـ عـلـىـ بـعـضـ مـنـ يـقـعـ لهـ ذـكـ منـ الدـسـائـسـ الـوارـدةـ عـلـىـ النـفـوسـ وـهـ كـثـيرـةـ لـاـ تـحـصـرـ . وأـمـاـ القـسـمـ الثـانـيـ وهوـ أـنـ يـكـونـ تـيسـيرـ ذـكـ علىـ يـدـ مـخـلـوقـ فـهـنـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـفـصـيلـ . سـمعـتـ سـيـدـيـ أـبـاـ مـحـمـدـ رـحـمـهـ اللهـ يـقـولـ انـ ذـكـ يـنـقـسـمـ عـلـىـ أـرـبـعـةـ أـقـسـامـ . القـسـمـ الـأـوـلـ يـسـرـ وـيـضـرـ . القـسـمـ الثـانـيـ عـكـسـهـ لـاـ يـسـرـ وـلـاـ يـضـرـ . القـسـمـ الثـالـثـيـسـرـ وـلـاـ يـضـرـ

القسم الرابع عكسه يضر ولا يسر . فالقسم الأول وهو الذي يسر ويضر هو الفتوح الذي يأتي من جهة فقير محتاج معتقد فان أنت قبلته منه سر بذلك ويضر في نفسه لأجل فقره فهذا ينبغي للمريد أن لا يرزاه في شيء ويرده عليه بسياسة حتى لا ينكسر خاطره أو يقبله منه ويكافئه عليه بما تيسر وليخذر أن يشوش عليه بدفع العوض له بل يعوضه دون اشعاره بذلك . وأما القسم الثاني وهو عكس الأول وهو الذي لا يسر ولا يضر فهو الفتوح الذي يأتي من عند منه جدة واتساع وهو مستور بلسان العلم وصاحبها ليس بمعتقد فان هو أخذ منه لم يسر بذلك ولم يضره أخذ منه فالمريد في هذا القسم مخير ان شاء أخذ وان شاء ترك وذلك راجع الى حسب حاله في الوقت ولو قدر على أن لا يأخذ منه شيئاً لكان أولى به وأرفع لمقامه لأن هذه الطائفة ينبغي أن تكون يدهم هي العليا . كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (اليد العليا خير من اليد السفل) وقد فسره في الحديث فقال اليد العليا هي المنفعة واليد السفل هي السائلة . وقد اختلف الناس في هذا . وكان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ان المراد بالعليا والسفل السائلة والمسئولة فان كنت سائلا في قبول معروفك فيدك سفل وان كنت مسؤولا فيدك هي العليا . وكان رحمه الله يستدل على ذلك بما ورد أن المكلف لا يخرج صدقة حتى يفك فيها لحي سبعين شيطانا فاذهم المكلف باعطاء صدقة واعتبره هذه الشياطين وغلبهم وأناك بمعرفه فان أنت ردته عليه فقد أعننت الشياطين عليه وقد لا تسمح نفسه بعد ذلك أن يعطيها لغيرك فيحرم من هذا الخير العظيم وتتجدد الشياطين السهل الى تقصير يده عن الصدقة وان أنت قبلت منه ذلك فقد أعننته عليهم وينسوا منه فقد حصل لك بذلك الثواب الجزيل . وإذا كان كذلك فيد الآخذ هي العليا والحالة هذه . ثم مع ما تقدم يحصل لأخيك المؤمن من الثواب في الدار الآخرة

ما يعجز عن وصفه . يشهد لذلك ماحكي أن شابا جاء إلى شيخ هذه الطائفة وأمامها الجنيد رحمه الله تعالى فقال له أنا جائع فهل من يطعمني فقام انسان من له اتساع فقال عندي فأخذ الشاب ومضى معه إلى بيته وقد ملأ طعاما كان الشاب يشهيه فنذر يده فرفع لقمة وبقي بها في يده لحظة فقال له صاحب المنزل كل فاللقطة اذا أكلتها عندي خير من الدنيا وما فيها فوضع الفقير اللقطة من يده وخرج ولم يأكل عنده شيئاً وأتى إلى الجنيد فقال مثل مقالاته الأولى فقام فقير فقال عندي فذهب معه فقدم له خبزاً وبصلاً فأكل حتى شبع ثم رجع بفمه الأول إلى الجنيد فأخبره بما جرى فقال له اجلس فلما أن جاء الشاب سأله الجنيد هل أكلت قال نعم قال له وما أكلت قال خبزاً وبصلاً فقال له وما قدم لك هذا قال له قدم لي طعاما مفترحاً فقال له ما منعك من أكله فقال له كنت جائعاً فرفعت اللقطة وأنا أتخير أي قصر آخذها في الجنة فيما أنا كذلك وإذا هو قد قال اللقطة اذا أكلتها عندي خير من الدنيا وما فيها فاستحببت من الله تعالى أن أكل طعام رجل خسيس الهمة ليس له همة إلا في الدنيا فتركته ومضيت وأما هذا ففيه أن لو كانت له الدنيا بحذا فيرها فهو يستقبلها تقديمياً أو كما قال . وهذه الحكاية تشعرك بأن الآخذ من هذه الطائفة يده هي العليا إذ أنه في حقيقة الأمر يعطي ما يحقق ويأخذ ما يفتني فتأمل ذلك تجده صواباً وذلك محظوظ على أنه مستور بلسان العلم وأما لسان الورع فهو أمر آخر وهو متذر في هذا الزمان غالباً في وقع له الحال على ذلك فالأخوة له أن لا يخالط الناس ويقيم في البراري والقفار أو يكون خرق الله تعالى له العادة فلا يتكلم عليها . وأما القسم الثالث وهو الذي يسر ولا يضر فهو الفتوح الذي يأتي على يد بعض الإخوان المعتقدين الذي يعرف سببهم وهم من أهل اليسار فإن أخذت منهم دخل عليهم السرور بذلك ولا يتضررون به . فهذا أحسن الأقسام كلها وأسلها من الآفات المتوقعة

وأما القسم الرابع وهو الذي يضر ولا يسر فهو ما كان من بعض الناس وهو متصرف بوصفين أحدهما أن يكون محتاجا لما يعطيه والثاني عدم اعتقاد الدافع لل مدفوع له فان أنت قبلت منه مأتك به تضرر بذلك حاجته اليه ولا تدخل عليه سرورا لعدم اعتقاده لك . وقد كان سيدى أبو محمد رحمة الله التزم في نفسه طريقة غريبة قل من يقدر عليها من أصحابه وغيرهم الا من وفقه الله تعالى وقليل ماه . وذلك أنه كان لا يقبل صدقة واجبة كانت أو تطوعا ولا يقبل شيئاً من أرباب الخدم وان كان معتقداً وان قلت خدمته وان تحر زمام مأكنه ومن أهدى له من الاخوان المعتقدين فيختلف حاله في ذلك فبعضهم يرد عليه ما أتى به وبعضهم يقبل منه ثم يعرض له عن ذلك باطلاً وسياسة وما أتاها من جهة الاخوان المتسبيين المعتقدين نظر الى اكتسابهم فان كان مستوراً بلسان العلم نظر في حال صاحبه هل يدخل عليه سرور بالأخذ منه أم لا فان ظهر له منه أنه سواء عنده أخذ منه أو رد عليه لم يأخذ منه شيئاً وان ظهر له أنه ينكسر خاطره عند الرد عليه وينجر خاطره ويدخل عليه السرور حين الأخذ منه فلن اتصف بهذه الصفة فهو الذي يقبل منه . وهذه طريقة غريبة عزيرية لا يقدر عليها إلا من كان مثله أو يقاربه لاجرم أنه كان هو وأهله ومن يلوذ به من شظف العيش بحيث المتنى فلقد كان يأخذ بفلس ليونا فإذا تم به غدوة وعشية هو وأهله وقد بي أهله في بعض الأيام لاشيء عندهم يتقوتون به فأخذ ثوبا ودخل به الى البلد ليبيعه فلم يدفع أحد فيه شيئاً لأنه كان من زى المغاربة فرده وجاء الى المسجد ولم يدخل البيت خشية من الأولاد أن ينقطع رجاؤهم من القوت اذا ذاك فيزيد فلائم بفلس في المسجد حتى صلى العشاء الأخيرة رجاء أن يكون الأولاد قد ناموا فلما أن دخل عليهم وجدتهم مسرورون يكثرون من شرب الماء فسألهم عن ذلك فقالوا كأن كل واحدمنا أكل خروفا وهم في الشبع بحيث لا يحتاجون

إلى زيادة على ما هم فيه وبقى أمرهم كذلك مدة حتى فرج الله عنهم . وأنواع هذا كثيرة وهو باب لا يقدر عليه إلا الأفراد من الأولياء لأنه وإن صبر في نفسه فالأهل والأولاد لا يصبرون في الغالب فان وجد ذلك فهو من باب الكرامات . ولأجل هذا المعنى قال سيدى أبو مدين رحمه الله العارف من أخذ نفسه بالورع وأطلق غيره في ميدان العلم وما تقدم وصفه فهو من هذا القسم نفعنا الله بهم . ورزقنا التصديق بأحوالهم أذ لم نكن أهلا للاقتداء بهم . اللهم لا تحرمنا من بر كاتبهم بمنك بمحمد وآلـه صلـى الله علـيه وعلـيـهم وسلـم تسـليـها كثـيرا

(فصل) في ذكر ما باتلي به بعض من ينسب إلى طريق القوم وغيرهم من تعلقت خواترهم بفعل الكيميا واستخراج ما في الأرض من الاموال المدفونة فيها وهي التي اصطاحوا على تسميتها بالمطالب . وليحذر مما يفعله بعض الناس في هذا الزمان من تعانيهم استخراج ما في الأرض مما تقدم ذكره وهذا قبيح لوفاته بعض العوام فهو في حق المرشد أقبح وأشنع إذ أنه خالف الدنيا ورآه ظهره وأقبل على الآخرة بكليته لا طلب له سواها وتعاق خاطره بما تقدم ذكره يشهد بكلته في طريقه من دعواه الانقطاع إلى الله تعالى والتوجه إليه مع أن من تعاق خاطره بهذا فالغالب عليه فيما يظهر الفقر المدقع والديون الكثيرة ومخالطة من لا يرضي حاله في دينه ودنياه وذلك سبب كبير إلى وقوع الناس في عرض من اتصف بذلك بسبب تعاطيه ما يوقع الناس فيه فيكون شريكا لهم في أثم وقيعتهم فيه وقد يقول أمر فاعل ذلك إلى الحبس والاهانة وغير ذلك مما هو معلوم من العوائد الجارية في ذلك كله ولو لم يكن فيه من الدزم إلا من تعاق خاطره بذلك فهو متصرف بحب الدنيا ومن أحب الدنيا فهو قال للآخرة أذ أنها ضررتان متنافرتان فهما أقبل الإنسان على أحدهما أضر بالآخر ولو لم يكن فيه من الدزم إلا ما ورد (من أحب الدنيا ينادي عليه

يُوْم الْقِيَامَةِ هَذَا أَحَبُّ مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَقَدْ تَقْدِمُ فَعْلَ السَّافِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي هَرَبِهِمْ مِنَ الدِّينِ خِفَةً مِنْهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ مِنْهَا وَمِنْ طَلَبِ شَيْئًا مَا تَقْدِمُ ذَكْرَهُ فَهُوَ مُسْتَشْرِفٌ لِطَلْبِهَا وَذَلِكَ مَذْمُومٌ يَذْهَبُ بِجُمِيعِ خَاطِرِهِ وَاشْتَغَالَهُ عَنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدِنْيَاهُ بَلْ كَانُوا يَعْدُونَ الدِّينَ إِذَا أَقْبَلُتُ عَلَيْهِمْ عَقْوَبَةً نَزَلتُ بَهُمْ وَقَدْ مَضَتْ حَكَايَةُ أَبِي الدَّرَداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهَا جَرِيَّهُ فِي الْعَطَاءِ الَّذِي أَتَاهُ وَعَلَى هَذَا دَرْجَ فَعْلَ السَّافِرِ وَالخَالِفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَقَدْ حَكَى فِي الْإِسْرَائِيلَيَّاتِ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَرَّ فِي سِيَاحَتِهِ وَمَعَهُ الْحَوَارِيُّونَ بِمَوْضِعٍ فِيهِ ذَهَبَ كَثِيرٌ فَنَظَرَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَيْهِ وَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْقَاتُولَ وَمَرْ فِي سِيَاحَتِهِ فَتَخَلَّفَ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ وَقَالُوا إِلَى أَيْنَ هَذَا الْمَقْصُودُ أَوْ كَمَا قَالُوا فَقَسَمُوا ذَلِكَ ثَلَاثَةً بَعْلَسْ اثْنَانِ يَحْرِسُانِ ذَلِكَ وَأَرْسَلَا ثَالِثَهُمَا إِلَى الْبَلَدِ لِيَأْتِيَ بِالْدَوَابِ وَالْأَعْدَالِ وَمَا يَأْكُلُونَهُ فَلَمَّا أَنْ مَضَى لِذَلِكَ تَحَدَّثَ الْاثْنَانِ فِيهَا بَيْنَهُمَا فَقَالَا لَوْ كَانَ هَذَا الْمَالُ يَتَنَاهُ لَكَانَ أَوْلَى ثُمَّ قَالَا وَكَيْفَ الْحِيلَةُ فَاقْفَقَا عَلَى أَنَّهَا إِذَا جَاءَ يَقْوِمَانَ إِلَيْهِ وَيُقْتَلَانَهُ وَيَبْقَى الْمَالُ بَيْنَهُمَا نَصْفَيْنَ وَقَالَ الثَّالِثُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ مُثِلَّ قَوْلَهُمَا فَقَالَ لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْمَالُ كَاهَ لِلْكَاهْنَةِ أَوْلَى ثُمَّ قَالَ وَكَيْفَ الْحِيلَةُ نَخْطَرْ لَهُ أَنْ يَعْمَلْ سَمَا فِي الْغَذَاءِ الَّذِي يَأْتِيَ بِهِ فَيَأْكُلَهُ فَيَمُوتَ فَيَأْخُذُ الْمَالَ كَاهَ لِنَفْسِهِ فَفَعَلَ فَلَمَّا أَنْ أَقْبَلَ عَلَى صَاحِبِيهِ وَثَبَّ إِلَيْهِ فَقَتَلَاهُ ثُمَّ أَكَلَمَا أَتَىَ بِهِ مِنَ الْغَذَاءِ فَسَاتَنَ فَبِقِ الْثَّلَاثَةِ هَنَاكَ مَطْرَوْحِينَ فَلَمَّا أَنْ رَجَعَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ سِيَاحَتِهِ وَمَرْ بَهُمْ فَوْجَدُهُمْ هَنَاكَ طَرْحِيَ فَقَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ أَلَمْ أَقْلِ لَكُمْ هَذَا الْقَاتُولَ وَقَدْ تَقْدِمُ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضْرَةٌ حَلَوةٌ فَنَّ أَخْذَهُ بِسُخَاوَةٍ نَفْسٌ بُورَكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخْذَهُ بِاَشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يَبْارِكَ لَهُ فِيهِ) وَلَا شَكَ أَنْ مَنْ اتَّصَفَ بِمَا تَقْدِمُ ذَكْرَهُ بِرْ بُو عَلَى الْمُسْتَشْرِفِ فَتَرْتَفِعُ الْبَرَكَةُ

منه فطلب المريد وغيره لهذه الاشياء على تقدير حصولها يذهب البركة منها والمقصود حصول البركة وانما اذا عدلت من الشيء لو كان ملء الارض ماأعني صاحبه لعدمها منه . وقد حكى الامام الجليل الحافظ أبو نعيم الاصفهاني رحمة الله في كتاب الخلية له في ترجمة طاوس بن كيسان رحمة الله بسانده الى ابن طاوس عن أبيه قال كان رجل له أربع بنين فرض فقال أحدهم اما أن تمرضوه وليس لكم في ميراثه شيء واما أن أمرضه وليس لي في ميراثه شيء قالوا مرضه وليس لك في ميراثه شيء قال فرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئاً قال فأني في النوم فقيل له انت مكانكذا وكذا نخذ منه مائة دينار فقال في نومه أنها بركة قالوا لا فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت امرأته خذها فان من بركتها أن نكتسي بها ونعيش منها فأبي فلما أمسى أتي في النوم فقيل له انت مكانكذا وكذا نخذ منه عشرة دنانير فقال أفيها بركة قالوا لا فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل مقالتها الأولى فأبي أن يأخذها فأني في الليلة الثالثة فقيل له انت مكانكذا وكذا نخذ منه دينارا قال أفيه بركة قالوا نعم فذهب فأخذ الدinar ثم خرج به الى السوق فإذا هو برجل يحمل حوتين فقال بكم هما قال بدينار قال فأخذهما منه بدينار انطلق بهما الى بيته فلما دخل بيته شق بطنهما فوجد في بطن كل واحدة منها درة لم ير الناس مثلها قال فبعث الملك يطلب درة ليشتريها فلم توجد الا عنده باعها بوقرتللين بغل ذهبها فلما رآها الملك قال ما تصلح هذه الا بأختها فاطلبوا أختها وان أضعفتم قال بخواصه فقالوا أعندهك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك قال وتفعلون قالو انعم قال فأعطيتهم ايها بضعف ما أخذوا به الأولى والله سبحانه وتعالى أعلم . فانظر رحنا الله واياك الى هذه البركة ما أعظمها أين هذا من المائة دينار التي عرضت عليه أولا . فالحاصل من هذا أن البركة كامنة في امثال السنة حيث كانت لأن

من فعل مثل هذا فالاستشراف منه بعيد وإذا عدم الاستشراف حل البركة ولا جل هذا المعنى تجده كثيرا من أهل هذا الشأن الغالب عليهم شظف العيش وقلة ذات اليد ثم انهم مع ذلك لا يسبقهم غيرهم في أمر الآخرة وما ذاك إلا لوجود البركة الحاسلة معهم فيما يتناولونه من أمر الدنيا استشرافهم لدنياهم واهتمامهم بأمر دينهم والوقوف بباب ربهم والتضرع إليه ولزوم الامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه والنزول بساحة كرهه . وتد سمعت سيدى أبا عبد الله الفاسى رحمه الله يقول انه كان بمدينته فاس وكان يصحب بعض الفقراء فرأه مرة وهو يبكي ويتصرّع ويسأل الله تعالى أن يرفع عنه ما نزل به فسألته عن موجب ذلك فأبى عن اجابته فبقي كذلك أياما ثم سرى عنه فرجع إلى حاله الأولى قال فسألته عن موجب بكائه وسروره فقال أني كنت أجمع بين الماء والأحجار في الاستنجاء فابتلىت بأبى إذا أخذت حجرا استجمر به أجده ذهبًا فأرميه وأخذ غيره فأجدته كذلك ثم كذلك فضاق ذرعى من ذلك لما نزل بي فبقيت أتصرّع الله تعالى في دفعه حتى أزاله عن فصرت آخذ الحجر فأجدته حجرا كما هو . وقد حكى لي رحمه الله أيضا عن نفسه أنه كان بمدينة فاس قال فكنت أخرج من البلد فأرى عند السور صندوقا مفتوا حاملواً ذهبا قال فكنت أولى وجهى عنه فلما أن كان في بعض الأيام التفت إليه وإذا يد من الهواء لطمت وجهى فردهه إلى الناحية الأخرى فثبت إلى الله تعالى أن لا تلتفت إليه بعد . وقد حكى عن بعضهم أنه كان لا يبيت على معلوم حتى يخرجه عنه وهو مع ذلك يرى في المنام كل ليلة قانلا يقول له إنك لبخيل ويكرر ذلك عليه مرارا فلما أن كان ليلة وقيل له ما قبل آلى على نفسه أنه إذا فتح له من الغدب بشىء يعطيه أول من يلقاه كائنا ما كان فلما أن كان من الغدب فتح له بخمسة دينار فأول من لقيه من الغدشاب وهو عند مزين بحلق له رأسه فأعطاه الهررة فقال له الشاب لاحاجة لي بها عندي قوت يومى فقال له

اعطها في أجرا المزین فقال له المزین قد دخلت على هذا العمل لله تعالى فلا
آخذ عنه عوضا فقال له خذها لك دون أجرا فقال له لا حاجة لي بها فقال له
خمسة دينار فقال له المزین أما قد قيل لك انك لبخيل فوجد في نفسه وجدا
شديدا وأخذ الصرة فرمى بها في الفرات . فإذا قيل مثل هذا بخيل فما بالكم
ينسب إلى الطريق ويطلب المطالب ثم يزعم أنه على الطريق المستقيم هيئات
هيئات ليس الأمر لرأتنا ولا لما اصطدمنا عليه من عوائضنا ولا لما ينطر
من الهوا جس في أنفسنا بل المشي على الطريق المستقيم الذي وقع من السلف
الماضين وقد مضى ذكر بعض أحوالهم . وليس لقائل أن يقول إن ما ذكر تمواه
لا يليق بهذا الزمان لغلبة البخل فيه وقلة البركات بخلاف زمان السلف الماضين
إذ أن الزمانين سواء بالنسبة إلى الانقطاع إلى الله تعالى والنزول بساحة كرمه مع
أن ما تقدم ذكره عن الشيخ أبي عبد الله الفاسى في هذا الزمان وقع مثله كثيرا
من غيره . وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام (إن هذا المال خبرة حلوة
فنأخذ بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له
فيه) ولا شك أن من اتصف بما تقدم ذكره أعظم من المستشرف
فترتفع البركة عنه من باب أولى . ثم انظر رحمنا الله واياك إلى مخالفة السنة
ما أكثر قبحها وبشاعتها . الأذى إلى ما وقع بسبب ما تقدم ذكره فقد جر ذلك
إلى تسلط بعض الناس على هدم كثير من بيوت المسلمين ومساجدهم بسبب
حفرهم على ذلك فلن كانت له شوكة فعله جهارا سواء كانت مسجدا أو غيره
من أملاك المسلمين ومن لم تكن له شوكة عمل الحيل الكثيرة على ذلك حتى
تخرّب وتهدّم وهذا ضرر عظيم حتى صار بعض أهل الأديان الباطلة إذا أراد
أن يخرب مسجدا أو دار مسلم يبنه وبينه عداوة كتب في ورقه أن موضع
كذا فيه كذا وكذا ويكتب تاريخها قديما ويخبرها حتى تبقى كأنها ورقه

عنيقة ثم يعلقها في موضع من يعلم أنه يفعل ذلك بسبب قدرته عليه أهلياته
الباطشة أو كثرة التحيل فكان ذلك سبباً لتخريب مساجد المسلمين ودورهم
ي بذلك على ذلك أن أكثر اليهود والنصارى قل أن تخرب لهم دار أو كنيسة أو بيعة
والكل في بلد واحد وموضع واحد . ثم ان بعض أهل الأديان اذا عجزوا عن
تخريب المساجد والدور تسلطوا على تعب المسلمين في أجسامهم وخسارتهم في
أموالهم فيكتبون أوراقاً في ذروة الجبل الفلاني من الناحية الفلانية منه كذا
وكذا اذا حفرت فيه كذا وكذا وقت كذا وتجدد فيه كذا وكذا وفي
ورقة أخرى الغار الفلاني في جهة كذا وكذا منه تخرب قدر كذا وكذا فتجدد
كذا وكذا الى غير ذلك وهو كثير وكل هذا باطل . ثم على تقدير أن يكون
شيء من ذلك صحيحاً فعليه المالك الكثيرة لأن من فعل ذلك أنها هم من الامم
الملاضية فلم يضعوا شيئاً الا وقد أحاط به مالك عظيمة فقل أن يصل أحداً إلى
ذلك الا بطشه وعطب غيره . ثم ان ما يوجد من ذلك في الأرض فلا يخلو اما أن
يكون في فيافي الأرض من أرض العرب فذلك فيه الخمس يصرف في وجوبه
وباقيه لواجده سواء كان ذلك ذهباً أو فضة أو لؤلؤاً أو نحاساً أو حديداً أو رصاصاً
كل ذلك سواء في الخمس . والذى يؤخذ منه الخمس ثلاثة هذا واحد منها . والثانى
الندرة توجد في المعدن بغير موئنة أو بمؤنة يسيرة والثالث الغنية . وأما ما يوجد
في غير أرض العرب فلا يخلو ذلك من وجهين أحدهما أن يكون ذلك الموضع
أخذ عنوة والثانى أن يكون أخذ صلحاً فان كان عنوة فهو لتلك الجيوش الذين
فتحوا ذلك الموضع ثم لاولادهم ثم لاولادهم أو لادهم وذلك موجود في الغالب
اذأن أولاد الصحابة موجودون بين أظهرنا في هذا الزمان وان كانت صلحاً
فما يوجد في ذلك الموضع فهو لأهل الصلح فان عدموا فلاولادهم ثم لاولاد
أولادهم وهم أيضاً موجودون وهل جرا . ولله مسئلة فروع موجودة في كتب

الفقهاء . فالحاصل من هذا أن واجده ليس له فيه شيء الالتباع واسغال ذمته بشيء كات عنه في غنى وقد يكون ذلك سبب هلاكه وإذا كان ذلك كذلك فالعقل الليب يتعين عليه الفرار من هذا وما شاكله إذ أن غنيمة المسلم إنما هي براءة ذمته ومن اشتغلت ذمته قل أن يتخلص فالسعيد من جلوس إلى الله تعالى في اعتاته على ذلك فإنه الكريم المنان اللطيف الرحمن

(فصل) وأما الاشتغال بتحصيل علم الكيمياء فهو من الباطل بين الغش المتعدى ضرره لأهل زمانه ومن بعدهم وذلك أن من فعلها فقد خلط على الناس أمواهم وبخسها عليهم إذ أنهم مختلفون في فعلها . ففهم من يعملا ولاعلم عنده أنها تغير بعد زمان وذلك الزمان مختلف بحسب القلة والكثرة . وكثير منهم من يعلم أنها تغير ويغش الناس بها فيشغلون ذمته بأموالهم وكل ذلك حرام سحت . ومنهم من يزعم أنها لا تغير وهو بعيد ولو قدرنا عدم تغييرها فذلك لا يجوز أيضا لأن الذهب المعدن والفضة المعدنية ينفعان للأمراض ولهم خاصية في الأدوية وغيرهما يعود بالضرر على المريض فيزيده مرضًا أو يموت بسيبه لأنه لابد أن يكون في غير المعدن عقاقير قد يسمى بعضها وقد يقتل بعضها فعلى هذا فكل من تعاطى شيئاً من ذلك فقد شغل ذمته بأموال الناس ودمائهم . وقد سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول إن صرفها لا يجوز حتى بين أنها من عمل يده وليس بمعدنية وهذا الذي قاله رحمه الله من اجازة ذلك بعد البيان لا يسوع في هذا الزمان بسبب أنه إن بين هو فمن صارت إليه فالغالب أنه لا يبيه والاحتراز من هذا متذر . هذا وجه ووجه ثان وهو أنه إن بين أنها من صنعة يده تمزق عرضه والغالب أنه يؤول إلى سفك دمه وإذا كان كذلك فلا يعدل بالسلامة شيء . فإذا سلم من الاتصال بطلب المطالب والكيمياء فيحذر من خاطئة من يتعانى بذلك أو يشار إليه

بشيء ما فان ذلك سبب لاستشراف نفسه بسبب ساعه منهم ما يخوضون فيه وذلك يذهب بيها عزة الفقر وعزه الاياس اذ لا بد من خالطهم أن يشغف بشيء مامن حالم و لو قل وذلك شغل للقلب عمما هو فيه من التوجه والاقبال على المولى الكريم فيتعين على من تعلق بالارادة الهرب الكلى من يشار اليه بشيء من ذلك لأن حال المرید نظيف جداً والنظيف أقل شيء يقابلة من الوسخية شرفيه. ألا ترى أن الثوب المصبوغ في الغالب لا يؤثر فيه ما وقع فيه بخلاف الثوب الرفيع الأبيض النظيف فان أقل شيء من ذلك يدنسه . ولهذا المعنى يقال في صفتهم قلت ذنوبهم لمعرفتهم من أين أصيروا وكثرت ذنوب غيرهم فلم يعرفوا من أين أصيروا والكيماء على الحقيقة إنما هي الرجوع إلى المولى سبحانه وتعالى والنزول بساحة كرمه وطلب العبد منه ما يحتاج إليه من ضروراته لأن الله عز وجل كما ورد في الحديث يستحب أن يرد يدي سائله صفراء . وقد قال عروة بن الزبير رضي الله عنه أن لا دعوه الله في صلاتي لحوانى كلها حتى الملح العجيفي وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى سلني حتى الملح لعجبينك فوعزتى وجلا لي ان منعتك فلا أحد يعطيك إيه أو كا قال وقد روى الترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم (قال ليسأل أحدكم رب حاجته حتى يسأل الله الملح وحتى يسأل الله شمعه اذا انتفع) . فسبيل العبد طلب حوانجه من ربه عن وجل فان جاء يقول يارب أنا جائع وكذلك ان عطش أو تعرى الى غير ذلك من حوانجه كلها في جلب النفع ودفع الضرر . قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) وقال تعالى (ومن أصدق من الله حديثاً) وقال (ومن أصدق من الله قيلاً) . فالعاقل اللبيب من شمر عن سعادته وتوكل في الحقيقة على ربه وأناب اليه . فإذا حصل للمرید هذا الحال فلو عرضت عليه الدنيا بمحاذيرها

ما قبلها ولا أقبل عليها لما حصل عنده من الاستغناه بربه عز وجل وحسن نظره له اذ أن مفاتيح هدايه لاتحصر ولا ترجع الى قانون معلوم لأنه عز وجل لا يأخذه حصر ولا يقال في حقه أين ولا كيف فكذلك ماستره سبحانه وتعالي عن عبده من عطايه الجنة وهدايه التي لا حصر لها . وقد حكى عن بعضهم أنه أصابته ضرورة وجوع شديد فضرع الى الله سبحانه وتعالي في خلوته وطلب منه العطاء فسمع هاتقا وهو يقول أتريد طعاما أو فضة فقال بل فضة وإذا بصرة بين يديه فيها أربعمائة درهم . وقد حكى عن بعضهم أنه كان اذا طلب منه شيء أدخل يده في جيده وأخرج ما طلب منه وكان أصحابه ينظرون الى جيده ويقطعون بأنه لاشيء فيه ثم انه مع ذلك اذا طلب منه شيء في الحال أدخل يده في جيده فأخرج منه ما طلب منه فسئل عن ذلك فأخبر أن الحضور يأتي بكل ما يطلب منه . وقد سمعت سيدى أبا محمد رحمة الله يحكى أنه كان يصحبه رجل من أهل الخير والصلاح يعرف بأبي عبد الله بن الطفيلي وكان صاحب عائلة وفق و كان الناس في سنة شديدة وغلاء بخاء ليلة بعد أن صلى العشاء الآخرة في جماعة الى بيته فوجدو لا داد يكون فقال لأمهاتهم مم يكن ف وقالت من الجوع قال فتركتهم على تلك الحالة وطلعت على سطح البيت ومررت خدى على الأرض وقلت يا رب هؤلاء يكون الى وأنا أبكى اليك اعطانا شيئاً نأكله قال فإذا سحابة قد طلعت بخاء الدار فامطرت فولا على الدار وحدها قال فنزلت الى الاولاد وأخبرتهم فطلعوا فأكلوا حتى شبعوا ثم بقي عندهم يأكلون منه الى أن دخل القمح الجديد . وقد تقدمت حكاية سيدى الشيخ أبي محمد رحمة الله في أنه يبقى في وقت لا يحتاج الى أكل ولا شرب قال ولو بقيت كذلك لم احتاج الى شيء طول حياته لكن رجعت الى الاكل من طريق الامثال للسنة لا غير . فمن رجع الى الله تعالى فطرق الفتح له متعددة في كل زمان وأوان

ولاجة ملن يقول ان هذا زمان وذاك زمان. لأن المعطى فيما واحد لا يتغير ولا يزول. والعجب من يتوكل على الله في نجاته من النار وجوازه على الصراط وشربه من الموض ودخوله الجنة الى غير ذلك ولا يتوكلا عليه في كسيرات يقيم بها صلبه وفي ثوب يستر به عورته. ولاجل هذا المعنى كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول لو كان اليمان بسوق يباع فيه لما ساوي ايمان أحدكم كسيرة فيسأل عن ذلك فيقول كل واحد منا يتوكلا على الله تعالى أن ينجيه من جميع أحوال يوم القيمة بسبب إيمانه ويقول فضل الله أعظم ورحمته أوسع ثم إن الإيمان الذي أعده لنجاته من تلك الأحوال مخلصه للتوكلا على الله تعالى في كسيرات يقيم بها صلبه ويقول لابد من السبب فلو انقطع عنه السبب أليس وضجر وشكاوى بكى. فإذا لم يخلص إيمانه في هذا النزر اليسير فكيف يخلصه مما بين يديه من الأحوال ففضل الله أعظم ورحمته أوسع في هذا النزر اليسير من باب أولى وأوجب لقوله عليه الصلاة والسلام (لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجلوا في الطلب) لكن المولى سبحانه وتعالى يبتلي خلقه لينظر كيف يعملون ليقع الجزاء وفaca كـ قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فالسعيد من كان فرحا مسرورا بربه وبمحكمه وبارادته ماقتا لأحوال نفسه ورأيه وتدبره اللهم لا تحرمنا ذلك بمنك انك على كل شيء قادر وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه وسلم

فصل في دخول المريد الخلوة

وينبغي للمريد أن لا يدخل الخلوة بنفسه لأن الخطر في ذلك عظيم لما يخشى عليه من القواطع الرديئة مثل ما تقدم ذكره من حصول عربدة أو جنون أو فعل نشاف أو غير ذلك من الملاك لأن الخطر فيها كثير متعدد. وقد قال نعمان

عليه السلام في وصيته لولده يابني عليك بذوى التجارب لأن من جرب قد دخل في المخاضة وعرفها وعرف موضع السلامة فيها وموضع العطب فعلم ما يتوجب منها وما يحذر وما ينبغي أن يفعل وما يستعان به

﴿فصل﴾ وآكد ما عليه في خلوته التعلق بربه والسكن إليه وانقطاع رجائه من هو مخلوق مثله . ومن كتاب سير السلف للإمام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني رحمه الله ولقد قال شقيق البالخي رحمه الله من أراد أن يعرف معرفته بااته فلينظر إلى ما وعده الله ووعده الناس بأي مما قبله أو ثق وقال أتق الأغنياء فانك متى عقدت قلبك معهم وطمعت فيهم فقد اخذهن ربا من دون الله . وقال اذا أردت أن تكون في راحة فكل ما أصبت وبالبس ما وجدت وارض بما قضى الله عليك . وقال من دار حول الشهوات فإنه يدور بدرجاته في الجنة ليأكلها في الدنيا . وقال يحيى بن معاذ الرازى العبادة حرقة وحوانتها الخلوة ورأس ما لها الاجتهد بالسنة وربحها الجنة . وقال الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص . وقال اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلامة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين . وقال الزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة والجوع . وقال على قدر حبك الله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يخافك الخلق وعلى قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق وقال أبو حفص عمر النيسابورى لو أن رجلا ارتكب كل خطية ماحلا الشرك بااته وخرج من الدنيا سليم القلب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غفرله قيل يا أبا حفص هل لهذا في القرآن من دليل قال بلى قوله تعالى ﴿قل إن كنتم حبون الله فاتبعوني يحبكم الله﴾ فاتباعه محبة أصحابه لأجله وقال أبو القاسم الحكيم السمرقندى كم من مستدرج بالإحسان إليه وكم من مغتر بالثناء عليه وكم من مفتون بالستر عليه . وقال أبو تراب النخبي رحمه الله الفقير قوله

ما وجد ولباسه ماستر ومسكته حيث نزل . وقال حقيقة الغنى أن تستغنى عن هو مثلك . وقال الذى منع الصادقين الشكوى الى غير الله الخوف من الله وكتب أبو الأيقض كتابا الى بعض اخوانه سلام عليك ورحمة الله وبركاته وانى أحمد الله الذى لا له الا هو أما بعد فانك لم تكلف من الدنيا الانفساً واحدة فان أنت أصلحتم يضرك فساد غيرها وان أنت أفسدتم لم ينفعك صلاح غيرها واعلم أنك لن تسلم من الدنيا حتى لا تبالي منأكلها من أحمر وأسود . قال شقيق ابن أدهم البلخي رحمه الله تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء في أخذه ومنعه وكلامه . وقال دخل الفساد في الخلق من ستة أشياء أولها ضعف النية في عمل الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة بشهوتهم والثالث غلبة طول الأمل على قرب أجلهم والرابع اتبعوا أهواهم ونبذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم والخامس آثروا رضى المخلوقين فيما يشتهون على رضى خالقهم فيما يكرهون والسادس جعلوا أدلال السلف دينا ومناقب لأنفسهم . وقال حاتم الاصم الزم خدمة مولاك تأييك الدنيا راغمة والجنة راغبة . وينبغى أن يكون دخول المريد الخلوة على يدشيخ متمنك في العدين علم الحال وعلم السنة ان أمكنه ذلك ولا يدخل بنفسه كا تقدم . وإذا كان ذلك كذلك فالشيخ لا يخلو حاله من أحد أمرين . اما أن يكون عنده من المكاففات وخرق العادات ما يمدبه المريد في خلوته فان كان كذلك فهو الكبريت الاحمر الذى لا يفوقه غيره والسلامة بل الغنيمة موجودة على يده متيسرة لأنه يعرف مزاج المريد وقدر ما يحمل من المواجهات وقدر ما يشق عليه منها وقدر ما يخاف عليه ومن سعادة المريد ان وجد من هذه صفتة . واما أن يكون الشيخ ليس من أهل المكاففات ولا ظهر خرق العادات فلا بد أن يكون عنده العلم حاصل بالتجربة لأن قد جرب ذلك واطلع على المفاسد والمصالح وما يليق بالمريد في خلوته وما يقع له من جهة

العادات . والخذر الخذر أن يدخل بنفسه خيفة من مواضع العطب . وأعني بدخول الخلوة هنا ما يستعمله المريد من المجاهدات وأما لوالخلونفسه دون مجاهدة فلا يحتاج هذا إلى شيخ يسلكه بل لسان العلم قائم عليه مطلوب به في الخلاء والملاجئ لافرق اذراك في حقه مع أنه اذا اتبع لسان العلم في هذا الزمان في خلوته وجلوته فهو ملي وقته لأجل حال الزمان فما أسعده ان قدر على ذلك وهذه الطريقة هي طريقة السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين أعني ترك دخول الخلوة على نظام معلوم . ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يربى أصحابه تحت ظلال السيوف وفي الأسواق يخترون وفي الحوائط يعملون . وإنما حدثت الخلوات على يد المربين بعد انفراطهم رضى الله عنهم . وكان سيدى أبو محمد بن أبي جمرة وسيدى أبو محمد المرجاني رحمة الله يقولان إنما جعلت الخلوة للبنات الأربع . وإنما جعلت للمربيدين لما أن كثرت الفتن والمخالفات فاحتاج المربيدون اذراك إلى الفرار لأجل صلاح دينهم وقولهم وخواطرهم وليس لهم السبيل إلى ذلك إلا بدخول الخلوات والفلوات . والمقصود أن لا يدخل الخلوة المعهودة عند السالكين إلا بعد المعرفة بمصالحها ومقاصدها والدسائس التي تطرأ عليه فيها فإن كان على يد شيخ فيشترط في الشيخ أن يكون عارفاً بحال المريد وما يتقلب فيه من الأطوار وما يليق بحاله كما تقدم لأن الشيخ له مراتب عديدة وكذلك المريد مثله . وألخص من ذلك ما سمعت سيدى أبو محمد يقوله نظر الأدنى بعين الأدنى يوجب الهلاك ونظر الأعلى بعين الأدنى يوجب الحيرة ونظر الأعلى بعين الأعلى هو السمو والرفعة ونظر الأعلى للأدنى بعين الأعلى يوجب التعلبه ولا تبعه ونظر الأعلى للأدنى من جنسه يوجب الراحة له ولا تبعه . أما قوله نظر الأدنى بعين الأدنى يوجب الهلاك . فثالثه النظر إلى الدنيا وزينتها بعين الدنيا والاشتهاه . فذلك يوجب الحرص والحسد والتقطاع والتدارب وهو عين

الهلاك . قال الله تعالى (ولا تمن عينيك الى ماتعناها از واجا منهن زهرة الحياة الدنيا لنفترهم فيه) وكذلك أيضا النظر الى أهل المعاصي لأنك اذا نظرت اليهم فان كنت على معصية فالنظر لمن يفعل ما هو أكبر منها يكون عليك ماأنت فيه من المخالفه ويصغر في عينك ذنبك فيكون ذلك سببا الى الزيادة في المعصية وهذا هو عين الهلاك نعوذ بالله من ذلك . وأما قوله ونظر الأعلى بعين الأدنى يوجب الحيرة . فثالثه المبتدى ينظر الى أهل النهايات في يريد أن يتشبه بهم في تعبدهم وتصرفهم مرة واحدة فانه لا يستطيع ذلك ومن تناهى في ذلك الشأن لم يكن أخذه لذلك مرة واحدة وانما يأخذون الشيء اليسيير ويقتصرون عليه ثم يزيدون على ذلك قليلاً قليلاً حتى يحصل لهم من العلم والتعبد أوفرنصيب و تستغرق أوقاتهم في ذلك وهم لم يشعروا به ولم يتبعوا فيه لرقهم وسياستهم وقد قال عليه الصلاة والسلام (ما كان الرفق في شيء الا زانه وما كان الحرق في شيء الا شانه) وقال عليه الصلاة والسلام (علموا وارقووا) اللهم الامن ندر من الفضلاء فدخل في ذلك مرة واحدة فذلك محمود اندر لا يحكم به . نعم اذا وقع للمرء هذا الحال فلا ينبغي له التثبت بما قد ذكر وانما الكلام فيمن يقى مع نفسه فشانه ما تقدم عن أحوال من تقدم ذكرهم كيف كان كسبهم ولم اكتسبوه وان لم يفعل ذلك تحير في طريقة وحير من لاذبه . هذا هو عين الحيرة نعوذ بالله من ذلك . وأما قوله ونظر الأعلى بعين الأعلى هو السمو والرفعة . فثالثه الرجل العالم ينظر لمن هو أعلم منه فيعمل على أن يصل الى ماوصل اليه فيجتهد في طلب العلم والرجل الصالح ينظر لمن هو أصلح منه فيجتهد في التعبد ويزيد في عمله على ما تقدم بالرفق والسياسة حتى يلحق بمن نظر اليه . وهذا المعنى الذي أشار الشيخ اليه قال عليه الصلاة والسلام (خصلتان من كاتافيه كتب عند الله شاكر اصبرا أن ينظر في الدين لمن هو أعلى منه فيقتدى به وأن ينظر في الدنيا لمن هو أقل منه

فيحمد الله الذي فضله عليه) هذا هو السمو والرفة اللهم من علينا بذلك ولا يجعل حظنا منه الكلام بمحمد وآلـهـ . وأما قوله ونظر الأعلى للادنى بعين الأعلى يوجب التعب له ولاتباعه . فثالـهـ من كان من أهل الفضل والخير وأقامـهـ الله في مقام من مقامـاتـ أهلـ النـهاـياتـ اذاـ جـاهـ أحدـمنـ يـرـيدـ أنـ يـرـجـعـ الىـ اللهـ ويـتـوبـ يـرـيدـ منـ حـيـنهـ أـنـ يـحـمـلـهـ عـلـىـ المـقـامـ الـذـيـ هوـ فـيـهـ مـنـ غـيـرـ سـيـاسـةـ تـقـعـ لـهـ قـبـلـ ذـالـكـ وـلـاـ تـدـرـيـعـ هـذـاـ دـوـ التـعبـ مـعـ نـفـسـهـ لـاشـكـ فـيـهـ لـانـهـ يـرـيدـ أـنـ يـحـمـلـ النـاسـ عـلـىـ طـرـيقـهـ وـهـمـ لـاـ يـسـاعـدـونـ عـلـىـ ذـالـكـ وـمـنـ تـبـعـهـ فـيـ التـعبـ أـكـثـرـ لـأـنـهـمـ يـدـعـونـ إـلـىـ مـقـامـ لـاطـاقـهـ لـهـ بـهـ وـلـاـ يـقـدـرـونـ عـلـيـهـ . وـلـاجـلـ هـذـاـ المعـنىـ كـانـ كـثـيرـ مـنـ أـهـلـ السـبـقـ وـالـخـيـرـ اـقـصـرـ خـيـرـهـ عـلـىـ أـنـفـسـهـ وـلـمـ يـتـفـعـ بـهـمـ مـنـ لـاـ ذـبـحـ وـبـخـدـمـتـهـمـ أـعـنـىـ فـيـ الـاقـدـاءـ وـأـمـاـ الـبـرـكـةـ فـلـاـ بـدـ مـنـ حـصـوـلـهـاـ غالـباـ لـلـحـدـيـثـ الـوـارـدـ (ـهـمـ الـقـوـمـ لـاـ يـشـقـ بـهـمـ جـلـيـسـهـمـ) نـسـأـلـ اللهـ أـنـ لـاـ يـحـرـمـنـاـ مـنـ بـرـكـاتـهـمـ بـهـنـهـ وـأـمـاـقـولـهـ وـنـظـرـاـعـلـىـ لـلـادـنـ مـنـ جـنـسـهـ يـوجـبـ الرـاحـةـ لـهـ وـلـاتـبـاعـهـ . فـثـالـهـ الرـجـلـ الصـالـحـ الـمـتـمـكـنـ فـيـ طـرـيقـهـ اـذـ جـاهـهـ أـحـدـمـنـ يـرـيدـ التـوـبـةـ وـالـرجـوعـ أـخـذـهـ بـالـلـطـفـ وـالـرـحـمـةـ وـأـقـبـلـ عـلـيـهـ وـسـاسـ حـالـهـ بـرـأـيـهـ السـدـيـدـ وـتـدـيـرـهـ الرـشـيدـ فـيـ نـظـرـهـ مـنـ جـنـسـهـ عـلـىـ اـسـانـ الـعـلـمـ مـاـ يـصـلـحـهـ وـمـاـ هـوـ الـعـوـنـ لـهـ عـلـىـ مـاـ أـرـادـ ثـمـ يـرـقـيـهـ بـعـدـ ذـالـكـ شـيـئـاـ فـشـيـئـاـ حـتـىـ قـدـ يـلـغـ فـيـ أـقـلـ زـمـانـ إـلـىـ الـمـرـتـبـةـ الـعـلـيـاـ بـجـسـنـ تـدـيـرـ هـذـاـ السـيـدـ وـسـيـاسـتـهـ اـيـاهـ . وـصـاحـبـ هـذـاـ الـحـالـ هـوـ أـعـظـمـ مـنـ تـقـدـمـ وـأـفـضـلـهـ وـهـوـ الـجـارـىـ عـلـىـ السـنـةـ لـأـنـ اللهـ عـزـ وـجـلـ لـمـ يـنـزـلـ الـفـرـوضـ أـوـلـاـ مـرـةـ وـاـحـدـةـ وـلـاـ أـمـرـ بـالـقـتـالـ أـوـلـاـ وـاـنـاـ أـمـرـ أـوـلـاـ بـالـتـوـحـيدـ لـاـغـيـرـ وـأـمـرـ نـيـهـ مـحـمـداـ عـلـيـهـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ بـسـيـاسـةـ النـاسـ وـالـلـطـفـ بـهـمـ فـقـالـ تـعـالـيـ (ـوـاـخـفـضـ جـنـاحـكـ لـمـ اـتـبـعـكـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ) ثـمـ لـمـ لـأـنـ ظـهـرـ المـشـرـ كـونـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـينـ أـمـرـ عـزـ وـجـلـ نـيـهـ عـلـيـهـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ بـالـخـرـوجـ مـنـ مـكـةـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ وـلـمـ يـأـمـرـهـ بـالـقـتـالـ ثـمـ لـمـ لـأـنـ كـثـرـ الـمـؤـمـنـونـ وـظـهـرـتـ الـكـلـمـةـ نـزـلتـ الـفـرـوضـ شـيـئـاـ

فشيئاً فلما أن تقرر لهم الدين وتفتوى أهل الإسلام فعند ذلك أمر عز وجل بالجهاد باللسان قبل الأمر بالقتال فقال عز وجل ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادهم بالتي هي أحسن)) فلما أن تقوى الأمر أكثر من ذلك أمر عز وجل بقتل الأقريين من الكفار فقال تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتلُوا الَّذِينَ يَلُونُكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ)) فلما أن تقوى الأمر وظهر أمر الله عز وجل بالقتال مطلقاً فقال عز وجل ((وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كُلَّهُمْ)) ثم إن الفرض لم يتم إلا في حجة الوداع قال تعالى فيها ((إِلَيْهِمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)) فهو سبحانه وتعالى العالم بعباده وبما يصلحهم فلو كان أمرهم ومخاطبهم أولاً بالقتال وبحملة الفرض فيه مصلحة ومنفعة لهم لأمر بذلك أولاً ((أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ)) وصاحب الحال الذي أشار الشيخ رحمة الله عليه أخيراً مضى على هذا الأسلوب فانتفع بنفسه واستراح وانتفع الناس به ووجدوا الراحة في ذلك على يديه وهذا هو الأصل وعليه العمل . وقد قال عليه الصلاة والسلام ((خاطبوا الناس على قدر عقولهم)) فليس من دخل في التعبد وتمرن فيه وكثرت المجاهدة لديه كمن ابتدأ الدخول . ولما جل هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام في السوداء حين سأله أين الله فقالت في السماء فقال لاصاحها اعتقها فانها مؤمنة فقنع عليه الصلاة والسلام منها بالاقرار بأن الله واحد موجود وذلك ينقى ما كانوا يعتقدون من أن الأصنام هي الآلهة في الأرض فالله سبحانه والد الأرض هو الله الواحد الأحد الموجود لأن الله سبحانه وتعالى حل في السماء تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً إذ أن السماء مخلوقة له ولا يحل الصانع في صنته ومعاذ بن جبل رضي الله عنه الذي كانت هجرته قديمة وتمكن من العلم ومن فعل الخير حين سأله عليه الصلاة والسلام كيف أصبحت فقال معاذ أصبحت مؤمناً حقاً فقال عليه الصلاة والسلام لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك فلم يكتف

من معاذ باللفظ الأول حتى سأله عن حقيقة أيامه وقع من السوداء بما قد ذكرت لأجل ما ينتمي من العلم وأنواع التعبد والله الموفق للصواب (فصل) وينبغي للمريد إذا اجتمع له في زمانه أو بلده مشايخ يرجو بركتهم وهو بعد لم يسكن إلى أحدهم فينبغي له أن ينظر إلى حاله بعد انفصاله عن كل واحد منهم فنحصل له بالاجتماع به منهم علم أو انباتة أو رجوعه فليشديه عليه وإن كان غير ذلك فلا حاجة تدعوه إلى العودة إذ أن خطاه تبقى لغير فائدة . سمعت سيدى أبا محمد رحمة الله يعيّب هذا ويقول لا ينبغي للمريد أن يتعدد إلا لوضع تحصل له فيه فائدة أو فوائد ولا يكون مثل بهيمة السانية (١) لارتفاع تمشي طول يومها وهي لم تبرح من موضعها ذلك . ولا ينبغي أن يسيء الظن بنعيم لم يحصل له منه شيء إذ أن ذلك محتمل لوجهين الأول أن يكون المزور من الأكابر والفضلاء لكن أصحابه معلومون معروفوون خيره مقصور عليهم لا يتعداهم فإذا لم يجد المريد زيادة عند زيارته فيعلم أنه ليس له عنده نصيب فترك ذلك به أولى . وقد يكون آخر خيره مقصورا على نفسه لا يتعدي لغيره . ووجه ثالث يفصل فيه بين أن يكون المريد من أهل التمييز لما تقدم ذكره فان كان كذلك فحكمه مسبق وإن لم يكن في تلك الدرجة فالمواطنة على روبيتهم واغتنام بركتهم به أولى مالم يعارضه أمر شرعى من ارتكاب بدعة أو رؤيتها أو شيء من المكرهات أو يحصل له بسبب ذلك بطالة أو قاته عما هو بصدده ويكتفيه من ذلك زيارتهم في وقت دون وقت كما تقدم في زيارة طالب العلم لهم . وبالجملة فأحوالهم في هذا المعنى لاتضبط والقليل النادر منهم من يكون خيره عاما لسائر الناس . فالحاصل من هذا أن المريد له اتساع في حسن الظن بهم وفي ارتباطه على شخص واحد يعول عليه في أمره ويجدر

(١) السانية كالماشية هي الناقة التي يسقى عليها

من تقضى أوقاته لغير فائدة . قال سيدى أبو مدين رحمه الله عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لاعليك . لأن الفكر فيما مضى هو من باب ندب الأطلال كما تقدم والفكر فيها يأتى ادعاء من النفوس تحصيل الأعمال وهو لا يعرف ما يبرز من العلم المكتنون والتقديرات المغيبات عنا وهى كثيرة

﴿فَصَلِّ﴾ وينبغي للمريد أن يكون أشد الناس نظرا إلى نعم الله تعالى عليه وإلى لطفه به واحسانه إليه قال الله عز وجل في كتابه العزيز ﴿لَتُنْشَرُّتُمْ لَأَزِيذَنَّكُمْ وَإِنْ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي شَدِيدٌ﴾ ييان ذلك أن المريد يصبح عليه الصباح فينحضر إلى صلاة الصبح في وقتها في جماعة ويدرك ما قدر له ثم يجلس بعد ذلك في مجلس علم فيفهم بعضه أو كله ثم يأتى إلى من يعتقده فيتكلم معه في مسائل من الخير ثم يصلى الصلوات الخمس في جماعة وإن فتح له في شيء من أوراد الليل وأوراد الصوم فبخ على بخ فان قيد هذه الأشياء بالشكرا زادت أوراداته وإن رأى وهو الغائب أنه في نفسه لاثيء وأنه لم يفتح عليه بشيء فهذا يخاف عليه لقوله تعالى ﴿وَإِنْ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي شَدِيدٌ﴾ والكافر عالم ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام في أمر النساء (إنهن أكثر أهل النار) قيل بم يارسول الله قال بکفرهن قيل أیکفرن بالله قال يکفرن العشير ويکفرن الإحسان) وقد بوب البخاري رحمه الله لهذا المعنى فقال باب کفر دون کفر وكثير من الناس من يغفل عن هذه النعم فلا يقيدها بالشكرا كا تقدم لأجل أنه يستقلها فتنذهب عنه فييحدرون من هذا كله جهده . ولا يظن ظان أن قول من قال إن الصديقين لا يکونون في يومهم على ما كان عليه حالمهم بالأمس بل يزدادون في اليوم الثاني ترقيا . ومن ذلك قول عائشة رضى الله عنها كل يوم لا أخذ فيه رأياً أو قالت لا أزيد فيه علم لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم . لأن المؤمن اذا جاءه اليوم الثاني فلا بد له فيه من أداء الفرائض وتوابعها وما يتلقاه من الأمر والنهى والتغيب

والترهيب والتحذير فيتبع ذلك ويعمل على خلاص مهجهه في يومه وذلك ترق لاشك فيه . الازى الى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذى اخرجه مالك رحمه الله في موطن (ان اخرين مات أحدهما قبل صاحبه بأربعين يوما فأثنى الصحابة على الاول فسأل عليه الصلاة والسلام عن الثاني فقالوا لا بأس به قال عليه الصلاة والسلام وما يدركم ما بلغت به صلاته انما مثل الصلاة كمثل نهر غمر عذب بباب أحدكم يفتح فيه كل يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبق من درنه شيئا قالوا لا فقال عليه الصلاة والسلام وما يدركم ما بلغت به صلاته) وقد قال بعض الشيوخ أن الدوام على الحال زيادة فيه فإذا أصبح لم يدوام مثل ما كلفه فهو زيادة في حقه ثم كذلك الى حين أجله فينتذ تطوى صحيفه عمله فلا زيادة بعدها فان حصل للمراد زيادة على ما تقدم ذكره فبح على بخ والا فالطريق حاصل له والحمد لله فليحذر أن يكفر هذه النعم بترك النظر الى من من عليه بها وأحسن اليه فيها

﴿فَصَل﴾ وينبغي للمريد أن يكون عارفا بالخواطر حسنها وسيئها فاما أن يميز ذلك بنفسه أو يكون على يد شيخ عارف بها اذا أن الخواطر والمواجس والمواقوف لا تحصر أعدادها ولا يمكن حصرها لكثراها وتشعبها فأشكل عليه أكثر ما يقع منها وتلبس الأمر عليه فان وقف مع ما يقع له من ذلك قل أن يتخلص ويزهد عليه أكثر زمانه بغير عمل لأن اللعين اذا لم يقدر على المريد من جهة الترك أثاره من وجوه آخر لا تحصر فإذا كان يميزا للخواطر وغيرها انسدت هذه الثلاثة الكبرى . والخواطر أربعة رباني وملكي ونفساني وشيطاني . سمعت سيدى أبي محمد رحمه الله يقول الربانى أولها وهو مثيل لمحنة البرق لا يثبت والنفساني يعقبه مثل المصلى مع السابق فايمر ذلك الا وقد استقر هذا في محله وحدث رسول وشهى ولأجل هذا المعنى وقع الخلاف عند بعض من ينسب الى شىء

من هذا المعنى وماذاك الا لسرعة مانقدم ذكره فيخبرون بأشياء قبل أن تقع في الغالب وان وقعت بالموافقة لأن ذلك من جهة أخبارهم وأما المحققون المميزون للخاطر الأول فقل أن يخبروا بشيء الا ويقع كما أخبروا به لأن ما كان من عند الله فهو واحد لا يختلف قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وهذه الخواطر ليست خاصة بالشيخ والمریدین بل هي موجودة فيهم وفي غيرهم لكن التمييز يختص به من يختص ومع ذلك فن تتحقق بهذه الخواطر فلا بد لها أن يزورها على لسان العلم فما وافق أمضاه والإترکه لأن التکلیف لا يقع الا من جهة الشرع المنقول وغير ذلك لا يعول عليه الا على سهل التبع والتأنیس . وأما الخاطر الملکي فهو كل خاطر يأمر بطاعة أو خير ما اذا كان سالما من الوصول الى ما لا ينبغي أو يتوقع معه ترك أو بطالة وقت فان كان كذلك فليس من الملك في شيء . وأما الخاطر الرابع وهو أرذلها وهو الخاطر الشیطانی فهو لا يأمر بخير أصلًا الا أن يكون ذلك الحیر يؤدي الى الشر ويقع الفرق بين الخاطر النفسي والشیطانی بأن الشیطان لا يريد الا الوجوع في المخالفه كيف كانت ومن حيث كانت فان عجز عن هذه المعصية تركها وأنهى الى معصية أخرى فهو ينتقل من حال الى حال اذ مقصوده انما هو المخالفه من حيث هي كائنة ما كانت والخاطر النفسي هو الذي يلزم امرا واحدا لا يفارقه فان أنت ردته عليه أحلى به عليك وقال لا بد من وقوعه وينيك بالتوبه والاستغفار بعده و يعدك بالغرور وأنك اذا نلت ما ألقته اليك تفعل أنت ما تحب أن توقعه من الطاعات فيحتاج المرید الى الت shamir الى معرفة هذه الخواطر حين نزولها به وما يترتب عليه من الأحكام فيها فان لم يكن عارفا بها ولم يكن تحت نظر شيخ يرجع اليه عند اشتباه الأمور عليه فيأخذ معه فيها والا فاسان العلم عليه قائم وهو المرجوع اليه عند الاختلاف وهو طريق

السلامة التي لاشك فيها والخطب في غيرها موجود غالباً إلا من عرف الحكم
عليه في ذلك والله الموفق

فصل جامع لبعض آداب السلوك ولبعض الآثار

عن السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين

ومن ماتقدم ذكره فلا بد له من الخلوات إذ أنه بسيبها يدرك المكلف
ما هو فيه من الخطأ ومن النعم ومن تحف المولى سبحانه وتعالى ويتبين له
بها أشياء كثيرة مما مضى عليه سلفه . ألا ترى إلى بركة هذه الحكم التي
ينطقهم الله بها إذ أن ذلك ليس في قوتهم ولا من قدرتهم إلا ببركة توجهم
واقبال المولى سبحانه وتعالى عليهم وأعظم ما يتوصلون به إلى هذا المعنى التزام
الخلوات كما تقدم . فانظر رحنا الله واياك إلى مانقله الإمام الحافظ اسماعيل
ابن محمد بن الفضل الأصفهاني رحمه الله في كتاب سير السلف له عن أبي حازم
رحمه الله ونفع به وأعاد علينا من بركاته أنه قال قد رضيت من أحديكم أن
يتقى على دينه كما يتقي على دنياه وقال شيطانهما خير الدنيا والآخرة إذا عملت
بهما أتكفل لك بالجنة والأطول عليك قيل وما هما قال تحمل ماتكره
إذا أحبه الله وتترك ما تحب إذا كرهه الله . وقال أيضاً قاتل هواك أشد
ماتقاتل عدوك . وقال رجل له إنك مشدد فقال مالي لا أشدد وقد صدني أربعة
عشر عدواً أما أربعة فشيطان يفتتنى ومؤمن يحسدى وكافر يقاتلى ومنافق
يغضنى وأما العشرة فالجوع والعطش والعرى والحر والبرد والهرم والمرض
والفقر والموت والنار ولا أطيقهن إلا بسلاح ولا أجد لهن سلاحاً قوى من
التقوى . وقيل له ماما لاك فقال ثقى بالله وايايى مما في أيدي الناس وقام
مارأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من شيء تحن عليه وقال ينبغي

للمؤمن أن يكون أشد حفظاً للسانه منه لوضع قدميه وقال أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه وأرجاه لكل مسلم . وقال بعضهم إن لم يكن في المبتدى خمس خصال والافتارجه عقل حسن واتباع للسنة وصحبة الأكابر ومن أين يأكل وحفظ لسانه وصياته أو كا قال . ومن كتاب سير السلف أيضاً وقد قال أبو سفيان اذا رأيت العالم لا يتورع في علمه فليس لك أن تأخذ عنه شيئاً . وكان يقول وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تفتح وضعوا عليها مفاتيح الآخرة فانفتحت . وقال رجل للجندى من أصحاب قال من تقدر أن تطلعه على ما يعلمه الله منك وسئل مرة أخرى من أصحاب قال من يقدر أن ينسى ماله ويقضى ما عليه . وقال قدمشى رجال باليقين على الماء ومات على العطش أفضل منهم يقيناً . وقال من عرف الله لا يسر الإبه . وقال لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله . وقال من نظر إلى ولى من أولياء الله بقلبه وأكرمه أكرمه الله على رؤس الأشهاد . وقال ذو النون المصرى رحمة الله من علامات المحبة متابعته حبيب الله في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسته . وقال من نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبه . وقال رويم رحمة الله لا زوال الصوفية بخير ماتنافروا فإذا اصطلحوا هلكوا . وقال بن حنيف رحمة الله قلت لرويم أوصني فقال أقل ماف هذا الأمر بذل الروح فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا والإفلا شتغل بتراثات الصوفية . وقد قيل أن لقمان عليه السلام كان عبداً أسود نوبياً وكان لبني فلان فقيل له ما بلغ بك مازري فقال تقوى الله وطول الصمت وترك ما لا يعني . ومن كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين للقاضى أبي الوليد الباقي رحمة الله قال وروى عن أبي الدرداء أنه قال لو لا ثلاثة ما أحبت أن أعيش يوماً ظمأً لله بالمواجر والسباحة فأقواماً ينتقدون

خيار الكلام كما تنتق أطايib المثـر . وروى عن بلال بن سعد أنه قال زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصـر وعالـمكم جاـهل وجـاهـلـكم مـغـترـ . وقال بعض الحـكـامـ جـاهـدـ نفسـكـ بـأـصـنـافـ الـرـياـضـةـ وـالـرـياـضـةـ عـلـىـ أـرـبـعـةـ أـوـجـهـ القـوـتـ منـ الطـعـامـ وـالـغـمـضـ منـ المـنـامـ وـالـحـاجـةـ منـ الـكـلامـ وـحـلـ الأـذـىـ منـ جـمـيعـ الـأـنـامـ فـيـتـولـدـ منـ قـلـةـ الطـعـامـ مـوـتـ الشـهـوـاتـ وـمـنـ قـلـةـ المـنـامـ صـفـوـ الـأـرـادـاتـ وـمـنـ قـلـةـ الـكـلامـ السـلـامـ مـنـ الـآـفـاتـ وـمـنـ اـحـتمـالـ الـأـذـىـ الـبـلـوـغـ إـلـىـ الـغـایـاـتـ فـلـيـسـ عـلـىـ الـعـبـدـشـیـ أـشـدـ مـنـ الـحـلـمـ عـنـ الـجـفـاـ وـالـصـبـرـ عـنـ الـأـذـىـ . وـقـالـ عـیـسـیـ عـلـیـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ طـوـبـ لـمـ خـزـنـ لـسـانـهـ وـوـسـعـهـ يـتـهـ وـبـکـ عـلـىـ خـطـیـتـهـ . وـقـالـ الـفـرـرـیـ اـجـتـمـعـ أـحـبـ الـحـدـیـثـ عـلـیـ بـابـ الـفـضـیـلـ بـنـ عـیـاضـ فـاطـلـعـ عـلـیـهـمـ مـنـ کـوـةـ وـهـوـ يـبـکـ وـلـحـیـتـهـ تـرـجـفـ فـقـالـ عـلـیـکـ بـالـقـرـآنـ عـلـیـکـ بـالـصـلـاـةـ وـیـحـکـمـ لـیـسـ هـذـاـ زـمـانـ حـدـیـثـ اـنـمـاـ هـوـ زـمـانـ بـکـاـ وـتـضـرـعـ وـاسـتـکـانـهـ وـدـعـاـ کـدـعـاـ الغـرـیـقـ اـنـمـاـ هـذـاـ زـمـانـ اـحـفـظـ فـیـ لـسـانـکـ وـاـخـفـ مـکـانـکـ وـعـالـیـ قـلـبـکـ وـخـذـ مـاـعـرـفـ وـدـعـ مـاـنـسـکـ . وـقـالـ کـعبـ الـاحـبـارـ رـحـمـهـ اللـهـ وـالـذـىـ نـفـسـيـ يـدـهـ لـأـنـ أـبـکـ مـنـ خـشـیـةـ اللـهـ تـعـالـیـ حـتـیـ تـسـیـلـ دـمـوـعـیـ عـلـیـ خـدـیـ أـحـبـ الـلـهـ مـنـ أـنـ أـتـصـدـقـ بـجـبـلـ مـنـ ذـهـبـ . وـقـالـ وـهـبـ بـنـ مـنـبـهـ فـقـدـ زـكـرـیـاـ اـبـنـیـ يـحـیـیـ عـلـیـهـمـاـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ فـوـجـدـهـ بـعـدـ ثـلـاثـ مـضـطـجـعاـ عـلـیـ قـبـرـ وـهـوـ يـبـکـ فـقـالـ لـهـ مـاـهـذـاـ يـاـبـنـیـ فـقـالـ أـخـبـرـتـنـیـ أـنـ جـبـرـیـلـ أـخـبـرـكـ أـنـ بـینـ الـجـنـةـ وـالـنـارـ مـفـازـةـ لـاـ يـطـقـ حـرـهـ الـدـمـوـعـ فـقـالـ اـبـکـ يـاـبـنـیـ . وـقـالـ عـبـدـ اللـهـ اـبـنـ عـمـرـ رـضـیـ اللـهـ عـنـہـمـاـ لـأـنـ أـدـمـعـ دـمـعـةـ مـنـ خـشـیـةـ اللـهـ أـحـبـ الـلـهـ مـنـ أـنـ أـتـصـدـقـ بـأـلـفـ دـيـنـارـ . وـقـالـ اـبـرـاهـیـمـ بـنـ أـدـمـ اـنـ لـلـذـنـوبـ ضـعـفـاـ فـيـ الـقـوـةـ وـظـلـمـةـ فـيـ الـقـلـبـ وـاـنـ لـلـحـسـنـاتـ قـوـةـ فـيـ الـبـدـنـ وـنـورـاـ فـيـ الـقـلـبـ . وـقـيلـ لـسـفـیـانـ الثـوـرـیـ رـحـمـهـ اللـهـ لـوـ دـعـوـتـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ فـقـالـ تـرـكـ الذـنـوبـ هـوـ الدـعـاءـ وـأـنـشـدـواـ خـلـقـتـ مـنـ التـرـابـ فـصـرـتـ حـیـاـ وـعـلـیـتـ الـفـصـیـحـ مـنـ الـخـطـابـ

وعدت الى التراب فظللت فيه كأني مabrحت من التراب
 خلقت من التراب بغير ذنب وأرجع بالذنوب الى التراب
 ولقي حكيم حكينا فقال له انى لا احبك في الله فقال لو علمت مني ما أعلم من
 نفسي لبغضتني في الله فقال له الاول لو أعلم منك ما تعلمه من نفسك لكان لي
 فيها أعلى من نفسي شغل عن بغضك . وكان الريبع بن خيثم اذا قيل له كيف
 أصبحت قال أصبحنا ضعف مذنبين فأكل أرزاقنا ونتظر آجالنا وقيل للغيرة
 كيف أصبحت يا أبا محمد فقال أصبحنا معترفين بالنعم موقرين بالذنوب يتحبب
 اليها ربنا وهو غنى عنا وتباغض اليه ونحن اليه فقراء . وقد قيل لابراهيم بن
 أدهم رحمه الله تعالى من أين عيشك فقال

نرق دينانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يرق ولا مازرق

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله كيف أصبحت فقال أصبحت طويلاً أهل قصيراً
 أجيلاً سيعمل . كلام الباقي رحمه الله . ومن كتاب سير السلف أيضاً وقال بشر
 ابن الحارث رحمه الله سمعت منصوراً يقول لما خلق الله آدم قال اني جاعل لك بصرك
 طبقاً فاذا عرض لك أمر لا يحل لك أن تنظر اليه فاطبقه وانى جاعل لفيك
 طبقاً فاذا عرض لك أمر لا يحل لك أن تنطق به فاطبقه وانى جاعل لفرجك
 ستراً فلا تكشفه على مالا يحل لك . وقد قال بعضهم الاصحاب ثلاثة صاحبك
 وصاحب صاحبك وعدو عدوك والاعداء ثلاثة عدوك وعدو صاحبك وصاحب
 عدوك . ومن كتاب الباقي أيضاً رحمه الله وروى عن بعض العلماء أنه قال
 انما يدخل الله الجنة من يرجوها وانما يخرب الله النار من يخشها وانما يرحم
 الله من يرحم . وقال لقمان لابنه يابني خف الله خوفاً لا تأس فيه من رحمة
 وارجه رجاء لا تأمن فيه من عقابه فقال يا أبا تاه و كيف واما لى قلب واحد
 فقال يابني ان المؤمن لو شق قلبه لوجد فيه نور رجاء ونور خوف لوزنا لم يبل

أحد هم بصاحبه . وقال عبد الله بن دينار قال لقمان لا به يابني كيف يأمن النار من هو واردها وكيف يطمئن إلى الدنيا من هو مفارقها وكيف يغفل من لا يغفل عنه يابني لاشك في الموت فانك كما تناهى كذلك تموت ولا شك فيبعث فانك كما تستيقظ كذلك تبعث يابني إن الإنسان ثلاثة فهو لله ومنه لنفسه ومنه للدود والتراب فأما ما كان لله فروحه وأما ما كان لنفسه فعمله خيراً كان أو شراً وأما ما كان للدود والتراب جسده . وقال سفيان الثوري ما أمن أحد على دينه إلا سبه . وقال أبو حنيفة كثيرون يسلب الناس الإيمان عند الموت وقال أبليس لعنة الله إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلب بغیرها إذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسى ذنبه وقال ابن القاسم قال مالك بلغني أن عيسى ابن مردم قال له رجل من أصحابه إنك تمسي على الماء فقال له عيسى وأنت إن كنت لم تخصلني خطية مشيت على الماء فقال له الرجل ما خطأك خطية فقط فقال له عيسى فامش على الماء فتشى ذاهباً وراجعاً حتى إذا كان في بعض البحر وإذا هوجد غرق فدعوا عيسى ابن مردم ربه فأخرج الرجل فقال له مالك ذهبتك ورجعت ثم غرقت أليس زعمت أنك لم تخصلني خطية فقط قال ما خطأك خطية فقط إلا أنك وقم في نفسك أنك مثل ذلك . وروى عن عاصم قال أبو عبيدة بن الجراح قوماً مرة فلما انصرف قال ما زال بي الشيطان آثما حتى رأيت أن لي فضلاً على من خلفي لأؤم أبداً . ويروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال ما كانت الدناهم رجل فقط اللازم قبله أربع خصال فقر لا يدرك عندها وهو لا ينقضي مدها وشغل لا ينفك لأواه وأمل لا ينقطع منهاه وقال الأصمى قيل لبعض الصالحين كيف حالك قال حال من يفني بيئاته ويسمى بسلامته ويؤتي من مأمه . وقال بعض الحكماء إن كان شيء فوق الحياة فالصحة وإن كان شيء فوق الموت فالمرض وإن كان شيء يعدل الحياة فالغنى وإن كان شيء يعدل الموت فالفقير

اٰتى كلام الباقي رحمه الله . ويروى عن علی بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم وليلة ألف سجدة وكان يسمى السجاد . وقد أنسد بعضه
 وغيره تقدیماً للناس بالتقى طبيب يداوى الناس وهو عليل
 وقال الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله من أراد أن يحبه الله عز وجل
 وأن تدعوه له الملائكة ويحضر في زمرة النبيين ويعظم قدره عند الأولياء فليطبع
 الله فيما أمره به ونها عنه وليلزم المنهج الأول . وروى أن الله تعالى أوحى إلى النبي
 من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هبلى من قلبك الخشوع ومن عينيك الدموع
 ثم أدعني أستجب لك فأنى قریب أجيب دعوة الداعي إذا دعانا . ومن كتاب
 سير السلف أيضاً وقال محمد بن أسلم الطوسي لخادمه يا أبا عبد الله إن معنى في قصصي
 من يشهد على فكيف أكتسب الذنوب إنما يعمل الذنوب جاهل ينظر فلا يرى
 أحداً فيقول ليس يراني أحد أذهب لاذنب أما أنا فكيف يمكنني ذلك وقد
 علمت أن داخل قصصي من يشهد على ثم قال يا أبا عبد الله مالي وهذه الخلقة كنت في
 صلب أبي وحدى ثم صرت في بطن أمي رحدي ثم دخلت الدنيا وحدى ثم تقبض
 روحى وحدى وأدخل قبرى وحدى ويأتيني منكر ونكير فيسألانى وحدى
 فان صرت إلى خير كنت وحدى وإن صرت إلى شر كنت وحدى ثم أقف
 بين يدي الله تعالى وحدى فان بعشت إلى الجنة بعثت وحدى وإن بعشت إلى
 النار بعشت فالى وللناس ثم فكر ساعة ووقفت عليه الرعدة حتى خشى
 أن يسقط ثم رجعت إليه نفسه ثم قال يا أبا عبد الله أصل الإسلام في هذه الفرائض
 وهذه الفرائض في حرفين ما قال الله ورسوله افعل ففعله فريضة ينبغي أن يفعل
 وما قال الله ورسوله لانفعل فتركه فريضة ينبغي أن يتبعه عنه
 (فصل) وينبغى للمرأة أن يتفقد حاله في الاجتماع بالأخوانه ولا يواطئ
 على الخلوة ويترك التبرك بهم وبساع فوائد لهم مع التحفظ عليهم وعلى نفسه جده

قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن السعى رحمه الله في كتاب آدب الصحابة
 الصحبة على وجوه لكل وجه منها آداب ولوازم . فالصحبة مع الله تعالى باتباع
 أو أمره واجتناب نواديه ودوام ذكره وتلاوة كتابه ومراقبة الاسرار أن يختلج
 فيها مالا يرضاه والرضا بقضائه والصبر على بلائه والرحة والشفقة على خلقه
 وما ينحو نحوه من هذه الاخلاق الشريفة والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم باتباع سنته واجتناب البدع وتعظيم أصحابه وأهل بيته وأزواجها وذريتها ومحابي
 خالفته فيما دق وجل وما يجري مجرها . والصحبة مع أصحابه وأهل بيته بالترحم
 عليهم وتقديم من قدموه وحسن القول فيهم وقبول قولهم في الاحكام والسنن فان
 النبي صلى الله عليه وسلم يقول (أصحابك كالنجوم بأيديهم اقتدي بهم) وقال عليه
 الصلاة والسلام (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترق أهل بيتي) والصحبة
 مع أولياء الله تعالى بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون به عن أنفسهم
 وعن مشايخهم لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى
 (من أهان لي ولها فقد آذنى بالمحاربة) والصحبة مع السلطان بالطاعة
 إلا أن يأمر بمعصية أو بمخالفة سنة فإذا أمر بمثل هذا فلا سمع له ولا طاعة
 والدعاء له بظاهر الغيب ليصلحه الله ويصلح عن يديه والنصيحة له في
 جميع أموره والصلاحة والجهاد معه . فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال (الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال الله ولكتابه ولرسوله
 ولأمّة المسلمين وعامتهم) والصحبة مع الوالدين يبرهما بالنفس والمال وخدمتهما
 في حياتهما وإنجاز وعدهما والدعاء لهما في كل الأوقات مادامما في الحياة وحفظ
 عهدهما بعد الممات وإنجاز عادتهما وأكرم أصدقائهما فقد روى عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أ Vie) وعن
 أبي أسيد مالك بن ربيعة قال (يتنا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه

رجل من بنى سلطة فقال يا رسول الله هل بقى على من برأبوي شيء أبرهاما به بعد وفاته قال نعم الصلة عليها والاستغفار لها واثبات عهدهما وكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما (والصحبة مع الأهل والولد بالمدارة وحسن الخلق وسعة الصدر وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنن والأدب وحملهم على الطاعات قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَوْمًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ الآية وقال عليه الصلاة والسلام (رحم الله والدا أغان ولده على بره بالفضائل عليه) والصفح عن عثائهم والغض عن مساوئهم مالم تكن أثما أو معصية . والصحبة مع الأخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر المحسن وستر القبائح واستكثار قليل بره إليك واستشعار ما منك إليهم وتعهدهم بالنفس والمصال ومجانبة الحقد والحسد والبغى والأذى وما يكرهون من جميع الوجوه وترك ما يعتذر منه . والصحبة مع العلماء بلازمة اكرامهم وقبول قولهم والرجوع إليهم في المهمات والنوازل وتعظيم ما عظم الله من محظهم حيث جعلهم خلفاء نبيه عليه الصلاة والسلام ووارثيه فإنه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (العلماء ورثة الأنبياء) والصحبة مع الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث واظهار السرور والكون عند أمره ونبيه ورؤيه فضله واعتقاد المنلة حيث أكرمه بدخول منزله وتناول طعامه وقال بعضهم

من دعانا فأينا فله الفضل علينا

فانا نحن أتينا ربع الفضل علينا

فصل في آداب صحبة الأعضاء

اعلم أن لكل جارحة من الجوارح آداباً تختص بها . فآداب البصر أن ينظر إلى أخيه نظر مودة ومحبة يعرفها هو منك ومن حضر المجلس ويكون نظره إلى

محاسنه والى حسن شيء يدومنه وأن لا يصرف عنه بصره في وقت اقباله عليه وكلامه معه . وآداب السمع أن يستمع إلى حديثه سماع مشته لما يسمعه متلذذه وكذلك إذا كلمك لا تصرف بصرك عنه ولا تقطع حديثه بسبب من الأسباب فإن اضطرر لوقت إلى شيء من ذلك استغفاره فيه وأظهرت له عذرك . وآداب اللسان أن تكلم أخوانك بما يحبون فتحتار وقت نشاطهم لسماع ما تكلم به وتبذل لهم نصيحتك وتدلهم على مافيه صلاحهم وتسقط من كلامك ما تعلم أن أخاك يكرهه من حديث أو لفظ أو غيرهما ولا ترفع عليه صوتك ولا تخطبه بما لا يفهم عنك وتتكلم بمقدار ف晦ه . وآداب اليدين أن يكونا مبسوطتين لأخوائه بالبر والمعونة لا يقبضهما عنهم وعن الأفضال عليهم . وآداب الرجلين أن يماشى أخوانه فلا يتقدمهم بل يكون تبعاً لهم فإن قربوه تقرب إليهم بقدر ما يعلم من رغباتهم ثم يرجع إلى موضعه ولا يقعد عن حقوق أخيه معلولاً على الثقة بهم لأن الفضيل بن عياض قال ترك حقوق الأخوان مذلة

{فصل} أعلم وفقنا الله وإياك أن هذه الآداب المذكورة إنما هي آداب الظواهر وهي عنوان على آداب السراير . لأنترى إلى ماروى في الأثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه رأى رجلاً يبعث بلحيته في الصلاة فقال عليه الصلاة والسلام لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه . وإذا كان كذلك كذلك فرعاً على الباطن أوجب من مراعاة الظاهر لأن الظاهر للخلق والباطن للخالق وما كان للخالق فهو أوجب فلو جمع بينهما فهو الكمال والسعادة لمن أتصف بهما . وصفة أخلاص الباطن التحقق بالتوكل على المولى سبحانه وتعالى والخوف منه والرجاء فيه والاتصاف بالصبر وسلامة الصدر وحسن ظنه بربه وحسن ظنه بأخوانه المؤمنين والاهتمام بأهورهم فإذا فعل ما تقدم ذكره فوى الرجال أن يكون من الموقفين

(فصل) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله الاخوان أربعة أخ كالدواه وأخ كالغذاء وأخ كالدعاه وأخ كالدلفي . فالاول معدوم والثاني مفقود . والثالث موجود . والرابع مشهود . أما الاول الذى هو كالدواه فهو مثل المشائخ الذين أهلهم الله تعالى ل tertiary المريدين وكالصلحاء والعلماء فهم قدوة للباقدين ومجالستهم تشفي الاسقام ظاهرا وباطنا . وقد كان المريدون قبل هذا الزمان يدخلون الى خلواتهم فان حصل لهم عجز أو كسل خرجوا الى مجلس واحد من هؤلاء الشيوخ فتنتعش قواهم بساع كلاده ورويتهم ويدهم بهمته فيتغذون بذلك ويرجعون الى خلواتهم أنشط ما كانوا اولا لهم دواه للخلق أجمعين وأنت ترى تعذر هذا الزمان غالبا من هذه صفتة . وأما الذى هو كالغذاء فهو مثل الأخ فى الله تعالى المشيق الودود الحنون الذى يقوله ما يقولك ويسره ما يسرك ويجمع نفسه جوعك ويتعرى لعريرك ويکابد مانزيل بك أكثر من مکابدة مانزيل به وأنت ترى فقده في هذا الزمان لكن بين فقد والعدم فرق وهو أن المعدوم لا يوجد بتة والمفقود قد يوجد في موضع ما . سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول مراتب الاخوان ثلاثة لاربع لها . فالاول أن يكون أخوك عندك مثل أريك وهو أعلام . والثانى أن يكون مثل أخيك الشقيق وهو أوسطهم . والثالث أن يكون عندك مثل عبدي وهو أقل الاخوان مرتبة فان عجزت عن ذلك فلا خوة اذذاك أعني الاخوة الخاصة بالفقراء وأما خوة الاسلام فهى حاصلة . فأما الأخ الذى يكون عندك مثل أريك فهو حال المريدين مع شيخه اذا أنه ليس للو لم مع أبيه حديث فى شيء لقوله عليه الصلاة والسلام (أنت وما لك لاريك) فحال المريدين مع شيخه من باب أولى اذا أن المريدين ليس له تصرف ولا اختيار في كل ما يحاوله الا برضاء شيخه وادنه . وأما الذى عندك كأخيك الشقيق فهو حال المريدين مع اخوانه وهو أقل رتبة من الأول

أخاك منزلة يع العبد عند العجز كا تقدم . يشهد لذلك ماروى أن رسول الله صل الله عليه وسلم لما أن آخى بين المهاجرين والأنصار كان الأنصار يقول لأخيه من المهاجرين عندي من المال كذا وكذا فلك نصفه ولني نصفه ولني من الزوجات كذا وكذا فاختر منهن ما تريده أنزل لك عنه وكان المهاجرى يسأل عن السوق وعن الحيطان يعمل فيها فهذا أصل مقرر في الشريعة المطهرة . وقد حكى أن بعضهم جاء لزيارة أخيه فقيل له انه في الموضع الفلافي وكان ذلك الموضع لا يدخله أحد الا للمخالفة فتأوه وقال أخي يقع وأنا بالحياة فرجع الى بيته ودخل خلوته وعزم أن لا يخرج منها الا بأخيه فإنه أخوه الى بيته فأخبر بهم جيئه اليه وسؤاله عن حاله جاء مستغفرا تائبا الى بيته فسأل عنه فقيل له انه دخل الخلوة فقال أخبروه بأنى قد تبى الى الله تعالى ورجعت اليه فما خرج اليه الا بعد أن تحقق قضاء حاجته فيه فينبغي أن تكون المؤاخاة على هذا الأسلوب فان رأيت أخاك قد غرق فتأخذ بيده وتنجيه من المهالك فان لم تكن لك قدرة فلا تدعها اذ ان من ادعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان . وأما القسم الثالث من التقسيم الأول للإمام الشيخ الصقلى رحمه الله وهو قوله والثالث موجود فلا شك أنك اذا خالطت كثيرا من الناس في هذا الزمان أو عاشرتهم بملابسها ما تجد من كثير منهم الآذية البالغة اما في دينك أو دينك أو عرضك وهذا هو الداء الذى لا شك فيه فان أنت خالطته وجدت ما ذكره رحمه الله . وأما القسم الرابع الذى قال عنه أنه مشهود فلا شك في مباشرة ذلك في هذا الزمان . الا ترى أنك اذا تكلمت مع أحد منهم في صلاح دينه في شيء ما قابلك بازعاج وخلق سيء . وأقل جوابه أن يقول لك ما حقرت في الناس الا أنا حتى تأمرنى وتنهاني أو يتسلط عليك بيداه لسانه وينظر لك عورات يظهرها أو حسنات يخفىها أو يردها سينيات وهذا فيه من المراقة بحيث المنتهى كا هي الدفعى اذا تناولت منها شيئاً وقد يفضى ذلك

إلى العدم إذ قيل إنها سُمّ فـيتعين عليك أن تفرّ من هذه صفتـه فالـعقل اللـيد من شـير عن سـاعـديـه وبالـغـ في الفـحـصـ عن الـقـسـمـيـنـ الـأـوـلـيـنـ فـيـاسـعـادـهـ انـظـفـرـ بـأـحـدـهـماـ كـاـ قـيـلـ.

وـاـصـفـاـكـ مـنـ زـمـانـكـ وـاـحـدـ فـهـوـ الـمـرـادـ وـاـنـ ذـاكـ الـواـحـدـ
فـاـنـ عـدـمـهـماـ فـيـتـعـيـنـ عـلـيـهـ الـخـلـوةـ وـالـاتـزـالـ اـنـ أـرـادـ السـلـامـةـ اـذـ أـنـ الـاجـتمـاعـ
بـالـنـاسـ اـنـاـ يـحـتـاجـهـ الـمـرـيدـ لـالـزـيـادـةـ لـالـلـفـقـصـ فـاـذاـ عـلـمـ أـنـهـ مـاـيـحـصـلـ لـهـ فـيـهـ الـاـ
لـفـقـصـ فـيـحـذـرـ مـنـهـ جـهـدـهـ وـيـسـتـعـيـنـ بـرـبـهـ مـعـ سـلـامـةـ صـدـرـهـ لـهـ وـحـسـنـ ظـنـهـ بـهـمـ
عـمـومـاـ وـالـلـهـ الـمـسـتعـارـ

﴿فـصـلـ﴾ مـنـ كـلـامـ بـعـضـهـ بـعـضـهـ بـالـلـفـظـ وـبـعـضـهـ بـالـمـعـنـىـ .ـ وـيـنـبغـيـ
لـلـمـرـيدـ أـنـ يـكـوـنـ نـظـرـهـ لـلـخـاـقـ بـعـيـنـ الرـحـمـةـ وـالـشـفـقـةـ وـالـتـوـدـدـ وـذـلـكـ يـقـعـ مـنـهـ عـلـىـ
وـجـوـهـ فـاـذاـ نـظـرـ إـلـيـهـمـ بـالـرـحـمـةـ فـسـيـلـ الـعـلـمـ بـفـقـرـهـ وـاـذـ أـحـسـنـ الـظـنـ بـهـمـ فـسـيـلـهـ
طـلـبـ السـلـامـةـ لـهـ بـالـمـلـيلـ إـلـىـ حـزـبـ الـفـائـزـيـنـ .ـ وـاـذـ اـحـتـمـلـ الـأـذـىـ مـنـهـمـ فـسـيـلـهـ
الـرـحـمـةـ لـهـ .ـ وـاـذـ جـازـىـ عـلـىـ السـيـئـةـ بـالـحـسـنـةـ فـسـيـلـهـ التـخـلـقـ بـالـأـخـلـاقـ الـحـمـودـةـ
وـاـذـ رـاعـىـ حـقـ كـلـ ذـيـ حـقـ وـاـنـ صـغـرـ فـسـيـلـهـ التـخـلـقـ بـأـخـلـاقـ الشـاكـرـيـنـ وـاـذـ
تـنـاسـيـ الشـرـ جـمـلةـ فـسـيـلـهـ تـطـهـيرـ القـلـبـ مـنـ دـنـسـ هـوـ اـجـسـ النـفـوسـ فـيـ حـقـ اـخـوانـهـ
الـمـسـلـيـنـ .ـ وـاـذـ عـاـمـلـهـمـ بـالـسـخـاءـ فـسـيـلـهـ الـبـعـدـ مـنـ صـفـةـ الـبـخـلـ وـالـتـشـبـهـ بـأـهـلـ الـفـضـلـ
وـالـيـقـيـنـ بـالـخـلـفـ وـلـيـحـذـرـ مـنـ أـنـ يـطـلـبـ الـخـافـ الـفـانـيـ اـذـ أـنـ كـلـ مـاجـاهـ مـنـ
الـدـنـيـاـ فـوـ ذـاهـبـ فـاـنـ .ـ وـاـذـ عـاـمـلـهـمـ بـرـقـيـةـ الـحـسـنـ مـنـهـمـ فـيـ كـلـ شـيـ وـالـتـعـامـيـ
وـالـاشـتـغالـ بـوـظـائـفـ التـكـلـيفـ .ـ وـاـذـ عـاـمـلـهـمـ بـرـقـيـةـ الـحـسـنـ مـنـهـمـ فـيـ كـلـ شـيـ
عـنـ الـقـبـيـحـ فـيـ كـلـ شـيـ فـسـيـلـهـ الـغـيـرـةـ فـيـ مـاـشـاهـدـةـ الـمـحـاـسـنـ وـالـاشـتـغالـ عـنـ الـقـبـائـحـ
بـعـيـوبـ الـنـفـسـ مـعـ حـسـنـ الـظـنـ بـهـمـ فـيـ بـعـضـ الـمـوـاطـنـ .ـ وـاـذـ تـوـاضـعـ لـهـ فـسـيـلـهـ
اـجـلـالـ الـرـبـوـيـةـ وـاـظـهـارـ الـعـبـودـيـةـ .ـ وـاـذـ تـوـاضـعـ لـلـخـلـقـ فـيـكـونـ ذـلـكـ مـنـهـ دـوـنـ

تماوت وانما يفعله لاعتقاد الأثرة^(١) لهم عليه وإذا أظهر ذلك لهم في بعض الموضع فسيله احتقار النفس ورؤية عيوبها وحسن الفان بالمؤمنين . وإذا ترك العجب وهو أن لا يرى لنفسه شيئاً حسناً فسيله العلم بأنه لا فاعل للأشياء إلا الله سبحانه وتعالى فيلزم نفسه الافتقار إليه جل وعلا . وإذا أخذه العمل لله بأن لا يريد بصالح عمله سوى الله تعالى فسيله الخوف الشديد من حبط الأعمال مخافة توقع الرياء فيقدر الخلق في حزب العدم فأنهم لا يملكون له شيئاً . وإذا استشعر اطلاع الحق عليه فسيله ترك الفراغ وهو أنه لا يمكّن عليه وقت إلا وهو مشغول بالله تعالى فيحصل له بسبب ذلك الربح أو جبر رأس المال . وإذا ترك المباح فسيله عمارة الوقت بالواجبات والمندوبات . وإذا أحب المساكين وخدمهم وأماط الآذى عنهم وأدخل السرور عليهم بارفادهم والعون لهم واظهار البشر واحتمال الجفاء والاختلاط بهم والتلطيف في نصح من زل منهم فسيله طلب حظر الأوزار والظفر بمحبة الملك الغفار . وإذا ترك المراح جملة فسيله الاهتمام بسالف الذنوب . وإذا راعى الفرض بطلب أدائه كما وجب فسيله طلب التقرب إلى الله عز وجل . وإذا أحسن لكل مخلوق يجوز الإحسان إليه فسيله طلب الانصاف بالمحامد . وإذا ترك الشهوات فسيله العلم بعاقبتها وما لها وطلب الرق عن الأرضيات . وإذا قلل الطعام بحيث لا يدخل عليه به ضرر فسيله التحقق للعبادة والتبيؤ للفهم عن الله تعالى والاقبال على المعرفة به سبحانه وتعالى . وإذا ليس الدون من الثواب مع مجانية الشهرة واقتصر على الضرورة فسيله خوف الحساب . وإذا ترك التنعم بخلاف الطيبات فسيله التشبه بأولياء الله . وإذا ترك المهز والاحتقار بالخلق فسيله طلب التبرى من صفة الجاهلين . وإذا ترك الفرج بامور الدنيا والآخرة فسيله الجهل بالعاقبة وعدم المبالغة بالدنيا . وإذا

(١) الأثرة بالضم المكرمة

ترك الحزن على مآفاتها فسيله شغل الوقت بالخدمة والإيمان بالقدر . وإذا واصل الأحزان خوفاً من السابقة والخاتمة فسيله طلب التقرب من الله تعالى بانكسار القلب وجمع الهم وإذا جمع همومه عليه فسيله الفرار من تفرقة القلب في شعاب الغفلة . وإذا فوض أمره لله تعالى بطرح نفسه بين يديه دون اقتراح عليه فسيله استعمال الأدب مع جلال الروبية . وإذا توكل على الله لثقته بالمضمون فسيله شغل الوقت بالتكليف . وإذا ترك رؤية الأسباب حتى استوى عنده وجودها وعدمها فسيله افراد الحق بالخلق والتبرى من الشرك الحق والجلى كالمخبز لا يشبع والماء لا يروى والثوب لا يدفىء وكذلك الأمور العادية كلها . وإذا ترك التلقى لغير العلماء فسيله العلم بأنه لا يملك الضر والنفع إلا الله سبحانه وتعالى وذلك بخلاف التلقى للعلماء وهو التواضع والتذلل لهم . وإذا افتقر إلى الله تعالى في حركاته وسكناته فسيله اظهار صفة العبودية . وإذا غاب عن الخلق يباطنه ولم يسع اليهم بظاهره فسيله سد باب الأنس بالخلوق . وإذا ترك الإقبال على أحاديث العامة وترك التشوف لها بصون قلبه عنها وعمارته بذكر الحق فسيله سد باب المخنة واطفاء نار الفتنة وخوف خسران الآخرة . وإذا كانت نفس المريد متعللة لأحاديث الناس لم يفلح أبداً . وإذا علم أن استفتح باب الخير كله وسد باب الشر كله في نفس أداء المفروضات اذهى معيار القلب وبها تتبين الزيادة والنقص ولا يتوصى إلى ذلك الايذل الجهد وجمع النفس ومحض الصدق وشدة الخوف ومواصلة الحزن حتى إذا استطاعت أن تموت حين تفتح الصلة فتُسْبِّل ذلك كله قربك من الله . وإذا أردت أن تعرف منزلة قربك عندك فلازمة الجد بحيث لا يكون لغير الحق فيك موضع وسيله مراقبة الحق . واجلال الروبية . وإذا أردت عزة النفس وصيانتها عن سؤال المخلوقين دقت الحاجة أو جلت فسيله طلب كل حاجة من الله تعالى أدباً مع الروبية . ومن

آك قد ما يحتاج اليه المريد في ذلك أن لا ينزل نفسه في صورة مرشد ولا موص
ولامتكلم بالحكمة ولا بالمسائل الفقهية ولكن ليشغله من نفسه شاغل بسبب
طلبه العلم . ومن كتاب سير السلف قال أ Ibrahim الخواص دواء القلوب خمسة
أشياء قراءة القرآن بالتدبر و خلاء الباطن و قيام الليل والتضرع عند السحر
ومجالسة الصالحين . وقال أيضاً الناجر برأس مال غيره مفلس . ومن كلام
بن بن رزق رحمة الله ياهذا هلا حجرك عة ملك عن ان تبوح بسرك
الى أحد منخلق أو أن تشكو حالك في دين أو دنيا اليهم أو تتكلم بما لا يعنيك
أو تجحب الى أمر لا تتحقق رشده ولا تأمن ضرره ياهذا اجعل ربك موضع
شكوكك وقلبك خزانة سرك والزم مراقبة مولاك في كل حال يرد عليك فان
رأيت خيراً فاحمد الله و ان رأيت شرًا فافقر فيه اليه وانتظر الى الخلق هيكل
مصرفه وأسبابها مسخرة ولا تشكر أحداً منهم على فضل الله الا على قدر ما أباحه
الشريعة وحسبك من ذلك أن تقول جراك الله خيراً وترى الفضل كله من
مولاك فاشكره بكل يتك فهو أهل لذلك حقيقة وشكر سواه بجاز كأن فعل غيره
جاز لأن الافعال كلها صادرة عن المولى الكريم وحده لاشريك له

﴿فصل﴾ فان كان المريد له تعلق بالاولاد فينبغي أن لا يهمه شأنهم ولينظر إلى مasicب فيهم من القدر ويعلم أن الملك لا يضيق عن رزقهم وأن ما كتب لهم لن يفوتهم وما كتب عليهم لن يفوتونه وأن وجوده وعدمه في حقهم سيان أذ أنه لا يملك لهم شيئاً ثم ان كانوا الله أولياء فلن يفعل الله معهم الاخيراً وان كانوا غير ذلك فلا حيلة له في دفع المضار عنهم ولن يقل قد استودعهم لمن لا تخيب لديه الودائع فليطرح لهم فيه جملة واحدة ان عقل وليظن بمولاه خيراً والسلام

﴿فصل﴾ فان ابلى المريد عند الاجتماع بالناس وخلطهم بالاذية والجفاء منهم فيتعين عليه أن ينظر في أمرهم ويرجع الى حاله ويفتش خبایان نفسه

في الذي قيل فيه فقد يكون حقاً فان وجد في نفسه علم اذ ذاك أن من قال فيه ماقال انما هو نذير جاءه من عند رب به ليتوب أو يوتع به النكال فيحتاج الى المبادرة الى التوبة والرجوع ويرى الاحسان والفضل مان قال فيه ماقال . وان لم يوجد ما قيل عنه فيه فيحتاج الى ثلاثة أشياء . أحدها أن يتمثل السنة بالدعاء الوارد في ذلك حيث يقول عليه الصلاة والسلام (من رأى منكم مبتلى فليقل الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضاني على كثير من خلق تفضيلا) ولاشك أن الابلاء في الدين أعظم من الابلاء في البدن سبباً اذا اضاف الى ذلك تعلق حق الغير به فهو أعظم في الابلاء . هذا وجہ . الوجه الثاني أنه يتبعين عليه الشكر من وجهين . أحدهما أن يشكر الله تعالى على سلامته مما قيل فيه . الثاني وهو الوجه الثالث أنه يتبعين عليه الشكر في أن الله تعالى سلمه مما وقع أخوه فيه اذ لو كان الأمر بالعكس لكان بلاء بينا اذ الغالب فيه عدم السلامة أسأل الله العافية بمنه وقد تقدم ذلك . ومن كتاب يمن بن رزق رحمة الله من سمه الذم وأعجبه المدح فذلك ذكر الصورة ختن العزيمة . وقال لو قال لي قائل ان من لم يأخذ بمحظه من الفقر لم يجد طعم الايمان لما خالفته ولو أخبرني بخبر أن تسعة عشرات العافية في الجنول والغنى عن الناس لصدقه . وقال حل النفس على الصبر في مواطن الامتحان حيلة حسنة في التخاص وان أبطأ . وقال من وطن نفسه على أن الدنيا دار نصب وتعبله ينكر مانزل به منها مادام فيها وأخذ من الراحة بمحظه ومن توهمها منزل راحة لم يقدر الراحة قدرها اذ أنته و كان تعبه فيها مضاعفا . وقال تقديم صدق اللجاج الى الله عز وجل في مبادى الحاجات عنوان على نجح غياتها وقال افتكر في الموت تهن عليك المصائب . وقال مارأيت أفقه من النفس يعني في شهواتها ولذواتها ولا أجراً من اللسان ولا أشد تقبلا من القلب ولا أعدم من الاخوان ولا أقل من الاخلاص ولا أكثر من الأمل

وقال الصمت وغض البصر مفتاحان لأبواب القلوب . وقال من أحب أن لا تكون له منزلة عند الناس تربع في بحبوحة^(١) العافية . وقال ليس إلا دنيا وآخرة فان أردت الجمع بينهما رمت محلا وذهبت عنك معاً فاختزل نفسك . وقال الضرورات تدعوا الى شر كثير وفي الصبر على المكر وه خير كثير . وقال يحسن بالمؤمن أن يكون ثوبه مرقا ونعله باليها ومسكته خلقا ففي ذلك أعظم تذكرة وأكبر شاهد على الغنى وأحيث باعث على ترك الطمأنينة الى الدنيا ومن كان يستعمل الجديد من كل شيء قلت عبرته وكان حب العاجلة أغلب على عقله . وقال اطعم في رحمة الله عزوجل على أي حال كنت من التفريط ولا تأمن مكره على أي حال كنت من الاجتهد واياك واليأس من هولاك فانه قطع للسبب بيتك وينه واحذر الامانى فانها اغترار به واعلم أن الكافر لوعلم سعة رحمة الله ما يئس وان المؤمن لوعلم كنه عقاب الله لم يلت خوفا والسلام . وقال اذا كان الماضي لا يرجع والمقدر لا يتبدل فاطراح لهم سعادة معجلة . وقال خمس يوئلک غمها في الدنيا وهي في الآخرة أشد اياما لأن ينالك عفو الله عزوجل فاستقل منها أو استكثر المزاح وكثرة الكلام والتعرف بالناس وافشاء سرك اليهم والشكوى بحالك الى الخلق . وقال لقد رأي ما رأى من كد الخلق للدنيا وقصر همهم علىها في ايامهم ولقد رأى ما رأى من مكالبهم عليها وفرط جنوحهم اليها في عقوفهم والعجب منهم وهم على هذا الحال انك ان نطقت لهم بالحقيقة سخروا منك وان سكت عنهم اتهموك وان مازحتم في دين أودنيا أهل كوك وان تركتم لم يتركوك فلا راحة معهم ولا سلامه دونهم حسي الله ثم حسي الله منهم . وقال رجلان اكره رؤيهما وأحب الفرار منها ليأس من فلاحهما غالبا طالب كيمياه وطالب ملك . وقال رحمه الله من تسامى الى رتب لا يقتضيها حاله ولا حليته وآثرهواه وأمنيته عاش

(١) البحبوحة . بضم اليمين وسط الدار

دهره في تعب ونصب ولم يبلغ الغاية التي يسعى إليها ومن تقاعد عن الرتب التي يمكنه بلوغها عاش مهيناً ملوماً ومن توسط بين الحالين فتناول منها ما كان له صالح استحق اسم النبل^(١) وكان عيشه هنيئاً وقلبه لله تعالى خاشعاً . وقال أنا لا أصدق قول من قال مكالمة الجاهل سجن للعقل . وقال الراحة في الدنيا لأحداث ثلاثة فغير صالح أو غنى عاقل أو أحق بمינות . وقال بهذا إن كان العجب من الناس مرة فالعجب منك ألف مرة فقد بان لك بالتجربة المستينة والدلائل البينة أن مكالمة الناس غنمها ندامة والصمت عنهم سلامه ثم لا يصرفك ذلك عن الهدر معهم والخوض في أحاديثهم وكلهم مقهورون لطبع أنفسهم سامعون من حالمهم بمصرون بعيون رؤسهم الآمن رحم ربكم وقليل ماهم فما يصنف إليك منهم غالباً الاتهام أو مكذب أو غير محصل فاصبحهم بصمت ولا يكون كلامك لهم الاجواب بما لا درك فيه عليك في دين أو دنيا فإن أنت صبرت على أذاهم كفيتهم واياك أن تنتصر لنفسك فتوكل إليها وسلم الأمر إلى مولاك وافقر إليه تجده والسلام . وقال الالتفات إلى الناس تعب في العاجل وندامة في الآجل لأن عامتهم ما يعين جاف متعرس أو بطر متلكف فليس التأثير بالأول بأسوأ من الاغترار بالثاني فالرأي أن يعدا جميعاً في حزب العدم حتى لا تتأثر للاضطرار إليهم ولا للنجفاء مع امثال الأمر والنوى فيهم واعتقاد الرحمة والصلة لكل مسلم والذى يعين على ذلك بتوفيق الله تعالى الإقبال على ما يعينك والصبر في طريق الحق فأنك إذا وافت الشريعة ولا حظت الحقيقة لم تبال من خالف رأيك من الخلقة . وقال من تفكر فيما سلف ونظر في المعادهان عليه جفاء الخلق ولم يغتر بطفهم . وقال رحمة الله الزم الصمت عند محاضرة من تكرهه وتتكلم مع من لك في كلامه فائدة . وقال من علم أن له ربا

(١) النبل بضم النون الفضل وبابه ظرف

يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ خَافُ وَحْزَنٌ وَلَمْ يَفْتَرْ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ لَهُ رِبًا ضَمِنَ لِعِبَادِهِ أَرْزاقَهُمْ لَمْ
يَشْغُلْهُ طَلْبُ الْمَضْمُونِ عَمَّا كَفَرَ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ لَهُ رِبًا مِنْ انْقِطَاعِ إِلَيْهِ كَفَاهُ تَوْكِلٌ
بِالْحَقِيقَةِ عَلَيْهِ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ لَهُ رِبًا لَا فَاعِلٌ لِلْمَوْجُودَاتِ إِلَّا هُوَ اقْتَصَرَ فِي كُلِّ مَرْأَمٍ
إِلَيْهِ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ لَهُ رِبًا رَقِيبًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ اسْتَحْيَ مِنْهُ حَقُّ الْحَيَاةِ . وَقَالَ مَنْ نَظَرَ
إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ فَرَأَى تَقْلِبَهَا بِأَهْلِهَا وَانْزَعَاجَهُمْ عَنْهَا لَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهَا وَمَنْ
نَظَرَ إِلَى الْآخِرَةِ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ فَتَخَيلَ فَعِيمَهَا وَعَذَابَهَا وَأَيْقَنَ أَنَّهُ وَفَدَ عَلَيْهَا عَمَلٌ
لَهُ . وَقَالَ النِّمُّ الْفَضْلُ وَاتْرَكِ الْفَضْلَ وَاغْتَمُ وَقْتَكَ تَفَرُّ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
فِي مُلَازَمَةِ الْفَضْلِ تَنَالُ الشَّرْفِ وَبِتَرْكِ الْفَضْلِ تَنَالُ السَّلَامَةَ وَبِاغْتَانِ الْوَقْتِ
تَنَالُ الرَّبِيعَ وَفِي هَذِهِ الْثَّلَاثَةِ بِمُجْمُوعِ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَقَالَ لَيْسَ إِلَّا عِيشَ
الْدُّنْيَا أَوْ عِيشَ الْآخِرَةِ وَلَنْ يَجْتَمِعَا . فَالْأَوْلُ مَادِهِ الْأَرْضِيَّاتِ وَهُوَ عِيشُ
النَّفْسِ . وَالثَّانِي مَادِهِ الْعُلُوِّيَّاتِ وَهُوَ عِيشُ الرُّوحِ وَقَدْ عَلِمْتَ الْمُبْدَأَ وَالْغَايَةَ
فَاخْتَرْ أَيْهَا شَاءْتِ وَالسَّلَامُ . وَقَالَ يَا هَذَا الْأَخْذُ بِالْاحْتِيَاطِ نَجَاهَةً وَلَا خَيْرَ فِي
صَحْبَةِ غَيْرِ اللَّهِ . وَقَالَ مَا أَحْقَكَ بِالنَّوْحِ عَلَى نَفْسِكَ . مَا أَوْلَاكَ بِالْقَاءِ التَّرَابِ عَلَى
رَأْسِكَ . مَا أَغْفَلْكَ عَمَّا حَلَّ بِكَ أَنْسَيْتَ عَظَالَمَكَ أَمْ أَمْنَتَ عَقَابَ رَبِّكَ . بَادِرْ يَامْسَكِينَ
وَاحْذَرْ سَدَ الْبَابِ وَقْطَعَ الْأَسْبَابِ . وَاسْتَرْزِلْ بِكَفِ الْضَّرَاعَةِ رَحْمَةَ مُولَّاكَ الْعَزِيزِ
الْوَهَابِ . وَقَالَ إِذَا سَافَرْتَ فَالْتَّزِمْ فِي الطَّرِيقِ مَعَ أَهْلِ الرِّفْقَةِ الصَّمِتِ وَلَا تَتَكَلَّمْ
عَمَّا هُمْ إِلَيْكَ يَسِيرُوا مِنَ الْقَوْلِ لِفَظَةً أَوْ نَحْوَهَا . فَإِنْ سَئَلْتَ مِنْ أَيْنَ فَقُلْ مِنْ
أَرْضِ اللَّهِ . فَإِنْ قِيلَ لَكَ مَا شَغَلَكَ فَقُلْ أَبْتَغِي فَضْلَ اللَّهِ . فَإِنْ قِيلَ لَكَ مَا مَسَكَكَ فَقُلْ
عَبْدُ اللَّهِ . فَإِنْ تَصَمَّتْ لِمَنْ خَسِنَ . وَإِذَا دَخَلْتَ بِلَدًا فَلَا تَصْبِحْ فِيهِ أَحَدًا صَحْبَةً
تَوْجِبُ عَلَيْكَ حَقًا . وَاحْسِنْ التَّعَارِفَ الْبَتَّةَ . وَافْقُرْ إِلَى اللَّهِ فِي حَوَاجِنِكَ فَإِنَّهُ
لَا يَضِيعُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ زَمَانَ صَحْبَةٍ وَلَا مَصَادِقَةٍ وَلَا مَاهُو زَمَانَ الْوَحْشَةِ
وَالْغَرْبَةِ وَالْفَرَارِ مِنَ النَّاسِ مِنْ بَلْعَ الْوَسْعِ . وَقَالَ خَلْقَانَ لِأَرْضَاهُمَا لِلْفَقْتِ . بَطْرُ الْغَنِيِّ

ومذلة الفقر . فإذا غنيت فلا تكن بطرا . وإذا افتقرت فتهعلى الدهر . وقال رحمه الله الدنيا دار بلاه والبلا لفظ مشترك تتحمه أنواع من التعب والمشقات كفرقة الأحباب وذهب المال وأذى الناس والاسقام والجوع والعطش والقمل والذباب والعقارب والحيات والسباع وفقد الوطن والبرد والحر والعرى والشهوات كشوة البطن والفرج إلى غير هذا ما لا يكاد ينحصر فـا وقع منه فلا تنكر وقوعه في ملله ولا تستغربه وإنما المستغرب فيها المسرات لأنها ليست بدار لها ولا تقابل شيئاً من البلاء إلا بالصبر وتوطين النفس عليها متى وقع منها شيء والاستعانت به تعالى في زيادة البصيرة والإمداد بالمعرفة . وقال من تفكـر في أمسـه وغـدـه غـمـ ماـفـ يـدـهـ منـ يـوـمـهـ . وـقـالـ بـالـهـ الـمـسـعـانـ وـالـلـجـأـ إـلـيـهـ عـنـانـ النـجـحـ . وـالـقـرـآنـ جـبـ العـصـمـةـ . وـالـسـنـةـ طـرـيقـ السـلـامـةـ . وـالـفـكـرـ مـفـتـاحـ الرـشـدـ . وـالـهـمـ مـثـيرـاتـ العـزـمـ وـالـتـبـصـرـ ثـرـةـ الصـدـقـ . وـالـظـفـرـ نـيـجـةـ الصـبـرـ . وـالـاستـغـانـةـ دـرـجـ الـوصـولـ . وـالـتـضـرـعـ أـمـارـةـ التـخـلـصـ . وـالـسـحـرـ مـظـنـةـ الـاجـابةـ . وـالـلـاحـ مـقـدـمةـ الحـبـةـ . وـالـتـواـضعـ سـلـمـ الشـرـفـ . وـالـسـخـاءـ خـلـقـ الـإـيمـانـ . وـالـزـهـدـ شـعـارـ التـقـوىـ . وـالـتـوـكـلـ حـرـفةـ المـعـرـفـةـ . وـالـتـفـويـضـ عـلـمـ السـعـادـةـ . وـالـخـوفـ أـثـرـ الجـدـ . وـالـرـجـاءـ اـفـادـةـ الجـهـدـ وـرـحـمـةـ الـخـلـقـ دـلـيلـ الطـهـارـةـ . وـاـحـتـمـالـ الـأـذـىـ عـيـنـ الـفـتـوـةـ . وـالـجـزـاءـ عـلـىـ الـإـسـاـمـةـ بـالـإـحـسـانـ خـلـقـ الـنـبـوـةـ . وـتـلـاـوةـ الـقـرـآنـ بـالـحـضـورـ عـيـشـ الـرـوـحـ وـمـخـالـفـةـ الـهـوـىـ قـتـلـ النـفـسـ . وـذـكـرـ اللـهـ رـأـسـ مـالـ الـعـابـدـينـ . مـنـ تـرـكـ الشـهـوـاتـ قـرـعـ الـبـابـ وـمـنـ تـرـكـ الـحـظـوظـ رـفـمـ الـحـجـابـ . قـيـامـ الـلـيـلـ بـسـتـانـ الـعـارـفـينـ . الـأـحـوـالـ مـبـلـغـ الـقـوـمـ . مـنـ رـأـىـ لـنـفـسـهـ فـضـلـاـ عـلـىـ شـيـءـ مـنـ خـلـقـ اللـهـ تـعـالـىـ حـتـىـ الـكـلـابـ فـوـ أـحـدـ الـفـرـاعـنـةـ السـلوـعـ مـنـ الـمـتـرـوـكـ عـلـىـ قـدـرـ الـمـعـرـفـةـ بـالـمـطـلـوبـ . مـنـ هـانـتـ عـلـيـهـ نـفـسـهـ فـهـىـ عـلـىـ غـيـرـهـ أـهـونـ . وـمـنـ صـحـبـ التـسوـيفـ أـدـاهـاـلـىـ الـفـوـتـ . وـمـنـ فـاتـهـ مـوـلـاـهـ غـرـقـ فـيـ بـحـرـ الـيـاسـ الـدـنـيـاـ سـلـامـتـهـ غـرـزـ . وـلـذـاتـهـ قـدـرـ . قـالـ الشـاعـرـ

نغير لباسها نفثات دود
وأشهى ما ينال المرء فيها
وعن قرب يعود الكل تربا
بلاشك يكون ولا ارتياط
مبال في مبال مستطاب
وخير شرابها في النذباب

وقال كنت قد رأيت في كتب بعض الحكماء ان أربعة لا ينبغي للعاقل أن يؤمن بها فطلبتها في حفظي فلم أجده منها سوى واحدة وهي المرأة وارتأيت أبدت الود وأظهرت النصح. ولا يبعد عندي أن يكون الثاني السلطان وان أبدى التقرير والمصافةة. وأن يكون الثالث المال وان كان جما وافرا. وأن يكون الرابع الزمان وان كان مطاوعا مسالما. فرب مخدوع بهذه الأربعة خفاتته أو ثق ما كان بها وأسلته أميل ما كان إليها. وقال الراحة كلها في الرضا باختيار الحق لك والتعب كله في اختيارك لنفسك. ومدافعه الأيام شيمة الكرام. واغتنام الوقت بالمبادرة إلى العمل واطراح الأمل سعادة. وانتظار الفرج بالصبر عباده. وقال ياهذا اذا رأيت انسانا لم تازمك الصبر ورقائه ففر منه فرارك من الأسد أو أشد وان قدر اجتاعك معه مفاجأة فاقصر في الكلام معه واعتذر له بشغل واتركه بسلام أما نذكر أن تعيك في الدنيا قدما وحدينا ائما جاما من معرفة الناس

(فصل) وينبغي للمريد أن تكون أوقاته مضبوطة لكل وقت منها عمل يخصه من الأوراد فلا يقتصر في الورد على ماسبق من الصلاة والصوم بل كل أفعال المريد ورد . قد كان السلف رضوان الله عليهم يقولون جواباً لمن طلب الاجتماع بأحد من أخوانه ويكون نائماً هو في ورد النوم . فالنوم وما شاكله هو من جملة الأوراد التي يتقرب بها إلى ربه عز وجل . وإذا كان كذلك فيكون وقت النوم معلوماً كما أن وقت ورده بالليل يكون معلوماً وكذلك اجتماعه بأخوانه يكون معلوماً . وكذلك الحديث مع أهله وخاصته يكون معلوماً كل ذلك ورد من الأوراد إذ أن أوقاته مستغرفة في طاعة ربها عز وجل فلا يأتي إلى

شيء مما أبىح له فعله أو ندب إليه إلا بنية التقرب إلى الله تعالى وهذا هو حقيقة الورد أعني التقرب إلى الله تعالى وهذا على جادة الاجتهد والفراغ من الصحة والسلامة من العوائق والعوارض أو من حال يرد يكون سبباً لترك شيء من ذلك ألا ترى أن المندوب في حق المريد بل الذي يتبع عليه أنه إذا حصل له بكاء أو تضرع أو خشية يستمر في ذلك ولا يقطعه إذ أن المقصود إنما هو حصول مثل هذه الأشياء فإذا حصلت للمريد فقد حصل على فرسته فليشد يده عليها ويغتنمها ثلاثة تفلت منه فقل أن يجدها ولأجل هذا المعنى قال الاستاذ أبو سليمان الداراني رحمه الله إذا لذت لك القراءة فلا ترکم ولا تسجد . وإذا لذ لك الركوع فلا تقرأ ولا تسجد . وإذا لذك السجود فلا تقرأ ولا ترکم الأمر الذي يفتح عليك فيه فالرمه . أرأيت انساناً يطلب شيئاً فإذا وجده تركه . وقد تقدم هذا المعنى قبل ولا يقتصر في هذا على الصلاة ليس الإبل هو عام في كل أمر أراده فلو حصل له شيء من هذا في الاجتماع بالأخوان فلا ينتقل منه أيضاً بل هذا أكد لاجتماع بركة الأخوان وهي متعددة بخلاف ما لو كان وحده وإن كانت الخلوة فيها الفضيلة العظمى كما تقدم لكن في الاجتماع بالأخوان الخير المتعدى حساً لاستمداد بعضهم من بعض والمقصود أن تكون أوقاته وحركاته وسكناته وأنفاسه في الخلاة والملائكة مصبوطة بالاتّباع في كل ذلك . وينبغي أن يقتصر في أوراده على القليل مثل ما تقدم في أوراد المتعلم سواءً بسواءً فإن حصل له شغل أو شيء من العوائق فلا بد من إقامته باليسارتها لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عمل عملاً أثبته وقد تقدم ذلك في المتعلم . وينبغي له أن يكون أشد الناس حراساً على عمل السر لما تقدم أن عمل السر يفضل المجهر بسبعين درجة وما هو بهذه المثابة فيتاً كد تحصيله على ما ينبغي . وإذا كان كذلك فلا يخلو حاله من أحد أمرين أما أن يكون في بيته وحده أو مع غيره . فإن كان وحده فقد حصل له

عمل السر من غير كلفة . وان كان مع غيره أعنى من الأهل وما شابهم . فلا يخلو اماً أن يكون فيهم من يرجو أن يقتدى به أم لا فان كان كذلك ظاهراً أولى وقد تقدم أنه لا يخرجه ذلك عن عمل السر معهم . ثم الأمر في ذلك بحسب حال الوقت اذ أن من الأهل أو الاخوان من اذا رأى شيئاً من أعمال البر يوازن عليها من يعتقده بادرت نفسه الى فعل ذلك أو شئ منه . وهذا فيه خير كثير لما ورد (لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خيراً لك من حمر النعم) فان علم أنه ليس فيهم من يقع ذلك منه فالسر أولى به . وقد تقدم في المتعلم أنه ان وجد الخلوة عن أهله كان به أولى . فالمزيد بهذا المعنى أولى بل أوجب لأن المريد لا يزال في عمل السر في غالب أوقاته فيعود عليه آثار ذلك وبركته حتى يصل إلى عمل سر فيها يدنه وبين ربه عز وجل لا يطلع عليه الحفظة . وقد ذكر الإمام أبو طالب المكي رحمة الله في كتابه عن بعضهم أنه ظهرت له الحفظة وناشدوه الله تعالى أن يدخل عليهم سروراً بحسنة من حسناته يظهرها لهم ليسروا بها لأن الحفظة يفرجون بحسنة العبد حين يعملها أكثر من فرح العبد بها يوم القيمة حين يرى ثوابها وما ذاك الا أن رسول الملك لا يريدون أن يرجعوا إليه إلا بما يعلمون أنه يجب بخلاف العكس فإنهم يكرهونه لكرهية الملك له . وهذا الذي حكاه رحمة الله ظاهره مشكل لأن الفرائض لابد من أظهارها وهي أكبر الأعمال وأذكاءها . لما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام عن ربه (لن يتقرب إلى المقربون بأحب من أداء ما افترضت عليهم) الحديث بكله . والحفظة يشاهدون ذلك ويكتبونه . فيتعين أن يحمل ما ذكره على الأولاد التي هي من أعمال القلوب وهي الفكر والنظر والاعتبار اذ أن الله عز وجل تحلى بخلقه وظاهر بيائه وبطنه فهو الظاهر بعادل عليه من مصنوعاته الباطن بذاته فلا يقال أين ولا كيف ولا متي لانه خالق الزمان والمكان الى غير ذلك من صفاتة الجليلة

وإذا كان كذلك فلن كان في حال التجلي فهو مستغرق الأوقات حتى لا يرى غير ما هو فيه لكثره ما هو فيه من النعيم اذ التجلي ليس شيء من النعم أعلى منه في الدنيا والآخرة . ولا يعكر على ما تقدم ذكره من قول الحفظة ما ورد أن المكلف اذا نوى الحسنة خرجت على فه رائحة عطرة وإذا نوى السيئة خرجت على فه رائحة متنعة لأن هذا قد نوى بقلبه ما نواه فهو عمل من أعمال القلب دلت عليه الرائحة الصادرة عنه بخلاف ما نحن بسبيله اذ التجلي ليس من عمل العبد ولا من حيلته بل هو فيض من المولى سبحانه وتعالى وتفضل منه وامتنان على من خصه واختاره من خلقه في كل زمان وأوان فينبغي للمريد ان كانت له همة سنية أن يعمل على تحصيل هذا المقام السني لأن المولى سبحانه وتعالى كريم من ان وهذه الأمة والحمد لله فيها البركة الشاملة بغيرهم ومقامهم الخاص بهم لا يزول ولا يحول الى أن يأتي أمر الله تعالى . وإذا كان الأمر كذلك فلا يقطع المريد اياسه من الوصول الى حالمهم السني ولا ينظر في ذلك لنفسه ولا لحيلته وقوته واجتهاه لأنه مهما نظر الى ذلك قطع به بل ينظر الى فضل المولى سبحانه وتعالى ونعمه المتراوفة عليه . وليرجع أن يكون بهم الطبع لا يرى النعم الا في المأكول والمشرب والwsعة في الرزق لأن هذا ليس من حال المريد في شيء بل هو من حال أبناء الدنيا والله عز وجل من كرمه واحسانه وفضله وامتنانه يعطى لكل قاصد مقصداته . وقد تقدم أن المريد غنيمه ما فاته من الدنيا وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول المريد لا يحتاج لشيء من الأشياء فقلت له أليس يحتاج الى الأكل والشرب واللباس فقال نعم لكن طعام المريد الجوع وكسوة العرى فهو يجد ذلك في كل موضع يحل فيه وإذا كان كذلك فلا يحتاج الى أحد . والمقصود والحاصل أنهم قد طرحوا أمور الدنيا خلف ظورهم وأقبلوا بكلتهم على ربهم وأسندوا أمورهم اليه وتوكلوا بالحقيقة عليه

فأنعم عليهم وقربهم واجتباهم وحمائهم وتحلى لهم بصفاته الجليلة الجميلة أسائل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمحمد وآلـه صلـى الله عليه وسلم فـانـه ولـي ذلك وال قادر عليه . وما تقدم ذكرـه من أن المرـيد يقتصر على الأعـمال المتقدـم ذـكرـها إنـما ذلك في حال بداـيته ثم يـأخذ نفسه بالـتدريـج والـترقـى في الـزيـادة قـليـلاً حتى يستـغـرق أوقـاته في أنـواع العـبـادات وهو لم يـحد لـذلك مشـقة ولا تـعبـا في الغـالـب وقد تـقدـم ذلك لكنـ المرـيد في بداـية أمرـه يـمشـي على مـاسـيقـ من أوـرـادـ المـتعلـم وأـمـانـهـياتـه فلاـحدـلـها لـأـنـهمـ قالـواـ أـكـلـهـمـ أـكـلـ المـرضـىـ وـنـوـمـهـ نـوـمـ الغـرـقـ وـكـلامـهـ ضـرـورةـ فـلاـيـنـامـ المـرـيدـ الـاغـلـبةـ وـقـدـ تـقدـمـتـ حـكـاـيـةـ بـعـضـهـمـ فـيـ السـنـةـ الـتـيـ أـخـذـهـ وـهـ جـالـسـ فـيـ مـصـلـاهـ حـينـ صـلـىـ رـكـعـتـ الـاشـرـاقـ فـعـرـكـ عـيـنـهـ وـقـالـ أـعـوذـ بـالـلهـ مـنـ عـيـنـ لـاتـشـيعـ مـنـ النـوـمـ . وـمـنـ كـانـ نـوـمـهـ عـلـيـ هـذـهـ الصـفـةـ فـلـايـكـنـهـ أـنـ يـتـهـيـأـ حـالـةـ النـوـمـ وـلـالـلـاذـكـارـ المـذـكـورـةـ عـنـهـ اـذـحـالـ المـرـيدـ لـاـيـنـضـبـطـ بـقـانـونـ مـعـلـومـ لـكـثـرةـ اـجـهـادـهـ وـتـحـصـيلـهـ وـأـحـوـالـهـ فـيـ أـعـمـالـهـ قـلـ أـنـ تـحـصـرـ . لـكـنـ يـحـافـظـ عـلـيـ السـنـةـ وـيـشـدـيـدـ عـلـيـهـ . وـقـدـ كـانـ سـيـدـيـ أـبـوـ مـحـمـدـ رـحـمـهـ اللـهـ يـعـجـبـهـ مـاحـكـيـ عـنـ بـعـضـهـمـ أـنـهـ كـانـ إـذـ جـاءـ إـلـىـ فـرـاشـهـ دـخـلـ عـلـيـ جـنـبـهـ الـأـيمـنـ ثـمـ يـرـجـعـ عـلـيـ الـأـيـسـرـ ثـمـ يـرـجـعـ عـلـيـ الـأـيمـنـ ثـمـ يـقـومـ فـيـ توـضـاـ وـيـصـلـىـ رـكـعـتـيـنـ ثـمـ يـقـولـ اللـهـمـ إـنـكـ تـعـلـمـ أـنـ خـوفـ نـارـكـ مـعـنـيـ الـكـرـىـ فـيـقـومـ حـتـيـ يـصـبـحـ فـكـانـ يـعـجـبـهـ مـنـ حـافـظـتـهـ عـلـيـ السـنـةـ حـتـيـ فـيـقـرـاشـ وـإـنـ كـانـ يـعـلـمـ أـنـ لـاـيـتـأـقـيـ مـنـ النـوـمـ فـإـذـاـ كـانـ المـرـيدـ عـلـيـ هـذـاـ الـحـالـ أـعـنـ حـافـظـتـهـ عـلـيـ السـنـةـ فـيـ كـلـ أـحـوـالـهـ فـوـ المـقصـودـ الـأـعـظـمـ لـاـيـفـوـقـهـ غـيرـهـ نـسـأـلـ اللـهـ تـعـالـيـ أـنـ لـاـيـحـرـمـنـاـ ذـلـكـ بـنـهـ أـنـ الـكـرـىـ الـوـهـابـ بـمـحـمـدـ وـآلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـعـلـيـهـمـ وـسـلـمـ تـسـلـيـمـاـ كـثـيراـ

فصل في قدوم المريد من السفر ودخوله الرباط

اعلم وفقنا الله واياك أنَّ كد ماعلى المريد اتباع السنة واتباع السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين فيشد على ذلك يده وليحذر أن يميل أو يغتر بما قد أحدهه بعض الناس من أفعال لم تكن لمن مضى . وقد تقدم أن الخير كله في الاتباع وعكسه في الابداع وأن هذه الطائفة أكثر الناس اتباعاً للسنة المطهرة وما فاقوا على غيرهم الا بذلك لأنهم اختصوا بثلاثة أسماء فقراءً ومربيين وصوفية فالفقير من افتقر في كل أحواله إلى ربه عزوجل وسكن بقلبه إليه وإن كانت الخواطر تلدغه فهو لا يلتفت إليها ويفتقر إلى ربه ويعول عليه والمريد من أراد ربه دون كل شيء سواه وكان غاية طلبه ومناه وسلم من لدغات الخواطر وبمحادتها لارادته لربه وايشاره على ماسواه . والصوفي من صفي باطنه وجمع سره على ربه وشاهد علينا جيل صنعته فأسند الأمور كلها إليه فهم الذين قربهم الله واجتباهم وخلع عليهم خلع احسانه ولحضرته السنية ارتضاهم وإذا كان الأمر كذلك فهذا مقام خاص بهم والثواب النظيف أقل شيء يدنسه . وقد تقدمت حكاية سيدى الشيخ الجليل أبي علي بن السماط رحمة الله في دخوله المسجد حين قدم رجله اليسرى ففتشى عليه لأن هذه الطائفة شعارها الاتباع وترك الابداع فان وقع لهم شيء مامن مخالفنة السنة رأوه أمرًا عظيمًا فأقلعوا عنه في وقتهم وجددوا التوبة مع الله تعالى ورأوا أن ذلك بسبب ذنب تقدم فعجلت لهم عقوبته فضرعوا إلى الله وابتلهوا إليه مع وجود التوبة النصوح منهم . وإذا كان الأمر كذلك فيتعين على المريد أن لا يسامح نفسه في شيء مما يخالف الاتباع ولو قاله من قاله . فليحذر من البدع التي قررها بعض الناس . وقد اختلفوا فيها على ثلاثة أنحاء فنهم

من استحبها وأنكر على من تركها وهذه طريقة أكثر أهل الشرق. وذهب بعضهم إلى أن من فعلها ومن لم يفعلها سبب لاعتبر على تاركها ولا حرج على فاعلها. وذهب الطائفنة الثالثة وهو المحققون المتبعون للسنة والسلف الصالحة من الأمة رضي الله عنهم أجمعين إلى التصريح بأن ذلك بدعة من فعله أو استحسنه وقال لا حرج على فاعله لمخالفته للسنة المطهرة. وقد كان سيدى أبو الحسن الزيات رحمة الله يقول من أحبب الأشياء صوفى سنى يعني بذلك والله أعلم ما نحن بسيله من العوائد المحدثة التي ليس لها أصل في الشرع ترجع إليه فن ذلك ماذهب إليه بعضهم من أن المريد إذا ورد البلد وقصد دخول الرباط وهو المسمى في عرف العجم الخانقاه فالرباط مأخوذ من الربط لأن ساكنته مرابط فيه وهذا الاسم أولى به لأن ترى أنهم يحبون رؤية القيد في النوم ويكرهون الغل فهذا منه. ولم في أحد ثوره اصطلاح لا ينبغي أن يرجع عليه لكن لما أن كثروا وقوعه والقول به والانكار الشديد على من ترك شيئاً منه واتبع السنة المطهرة تعين الكلام فيه على من تعين عليه وهو أنه إذا قصد دخول الرباط كما تقدم يشمر كمه ويبتدى في ذلك بالعين وهذا إذا أراد دخول الرباط أو يتناول شيئاً طاهراً وأما إن أراد أن يدخل الخلاء فإنه يبتدى بتشمير كمه الآيسر ويالغون في هذه الأشياء ويسمونها آداباً حتى أنه قد حكى عن بعض من توغل في هذا الشأن أنه خدم شيخه سنتين متتابلة فلما أن كان في بعض الأيام أراد أن يدخل الخلاء فشمر كمه الآيسر فقال له شيخه أين تزيد فاستفاق لخطئه على زعمهم فقال ياسيدى إلى بغداد فسافر إليها. فانظر رحمنا الله واياك إلى تبديل الخاطر المعجل بمخالفة سنة واحدة كيف وقع بها هذا في أمرين عظيمين . أحدهما تعب السفر الطويل وترك جمع الخاطر في الحضر وبركته . والثانى أخبار شيخه بما ليس في باطنها وطائفنة الصوفية برأه من ذلك .

كله . ثم اذا شر أكame يشد وسطه بشئ ويأخذ العكاز بيده اليمنى والابريق
بيده اليسرى ويجعل السجادة على كتفه الايسر مطوية وهذا فيه ما فيه لان
اتخاذ السجادة من البدع التي احدثت فكيف يتخذها الفقير . وقد كان كثير
من السلف رضوان الله عليهم لا يحول بين وجوههم وبين الأرض حائل لاصير
ولا غيره وما ذاك الا لاتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ألا ترى أن
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شكوا اليه ما يجدونه من ألم السجود على
الارض لم يشكهم ومعنى ذلك أنه لم يزل شكواهم . ألا ترى الى ما ورد (مسح
الحصبة مسحة واحدة وتركها خير من حمر النعم) ولا يرد على هذا الحديث المجزرة
لأن ذلك محظوظ على شدة الألم الذي يوجد في ذلك الوقت بخلاف الألم الذي
تحمله البشرة فلا يخص فيه . والجزرة هي شيء مضفور من الخوص قدر ما يضع
المصل على الوجه واليدين اذا سجد . وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يسجد
ولا يحول بين وجهه وبين الأرض شيء لاتباعه السنة وتواضعه . وهذه الطائفة
أولى الناس بالاتباع والتواضع وهو الآن داخل الى الرباط وهو موضع طاهر
لا يدخله في الغالب الامن هو متحفظ على دينه فلا حاجة تدعوه الى السجادة واما
هي عوائد اتحلت ووقع الاستثناء بها والعوائد كلها مطروحة لأن السنة هي
الحاكمة على الناس كلهم فضلا عن المريد . ثم يأمر ونه اذا دخل الرباط أن
لا يسلم على أحد ولا يسلم عليه أحد واعتلو لذلك بأن المريد لا يذكر الله تعالى
الا وهو على وضوء والسلام اسم من أسماء الله تعالى فاذا سلم على أحد أو سلم
عليه أحد فقد يكون على غير وضوء فيحتاج الى ذكر اسم الله تعالى وهو على تلك
الحالة او يترك رد السلام وهو واجب فأمر ونه بترك السلام لأجل هذا وهذا
أيضاً مخالف للسنة اذ أن السنة مضت على أن المكافف يسلم على من عرف ومن لم
يعرف فكيف باخوانه وما تقدم من ذكر تعليتهم لذلك فليس بالبين لأن الشارع

صلوات الله عليه وسلم لم يمنع من ذكر الله في حال من الاحوال الا في حال موضع الخلاء فإنه يكره ولا بأس بذكر الله تعالى هناك عند الارتياع وما يشبهه وليس بمكرهه والستة عند لقاء المؤمن لأخيه السلام لا بعد جلوسه واستئنته، ثم يأمرونه عند ارادته دخوله الرباط أن يقعد عند الباب ثم يخرج اليه من في الرباط من الشبان أو بعضهم فيؤذنه بالشتم ويقلون الأدب عليه ويخرقون حرمته ويكسرون الإبريق الذي معه ويفعلون ذلك به مرة بعد أخرى حتى ياسوا من غضبه ويعملون فعلهم ذلك بأن يقفوا على حسن خلقه وحمله للإذى إذ أن هذه الطائفة لا تنتصر لنفسها وهم أشد الناس كفالة لغليظ وعفوا عن الناس وهذا التعليل ليس بالبين لأن الوارد اذا علم أنه اذا ازعج لذلك وغضب لا يدخلونه الرباط فإنه يصبر اذذاك على أذائهم لأجل ما يرجو من حاجته وإن كان سبيلاً الخلق ما عسى أن يكون فإنه يستعمل ضده في هذا الموطن والحالة هذه . ثم يخرج اليه الخادم فإذا أخذ السجادة عن كتفه وهو ساكت لا يسلم أحد هم على الآخر ويدخل الخادم والوارد يتبعه حتى اذا حصل في وسط الرباط وقف الوارد ينظر أين يفرش الخادم السجادة فيعرف موضعها وهذا فيه ألا ترى أن المعنى في السلام عند اللقاء إنما هو التأنيس بالشاشة وما شابها من الأكرام للضيف والتودد نقىض ما عاملوه به وأما كسر الإبريق فلا خفاء أنه اضاعة مال وهو محترم وكذلك شتمه فوضعوا الشتم وخرق الحرمة واضاعة المال موضع الأكرام والاحترام والضيافة ثم سرى هذا الأمر إلى عامة المسلمين إذ أن هذه الطائفة قلوب الناس بهم متعلقة لحسن ظنهم بهم ولكونهم منسوبيين إلى اتباع السنة والزهد في الدنيا وتركها والاقبال على العبادة والدار الآخرة ويرون أنهم محفوظون لا يخالفون ولا يبتدعون فإذا صدر منهم شيء من هذا اقتدى بهم غيرهم في فعله فتجد كثيراً من الناس في هذا الزمان يقعد الرجل

وأولاده كل واحد منهم يشتم صاحبه ويشتمون الآباء والأجداد ويلعنون أنفسهم والوالدان ينظران اليهم . وقد ورد في الحديث (المؤمن لا يكون لعانا) ومن كتاب السنن لأبي داود رحمه الله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسئل فيها عطاكم فيستجيب لكم) ومنه عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشملاً فإذا لم تجده مساغاً رجعت إلى الذي لعن أن كان أهلاً لذلك ولا رجعت إلى قائلها) ومنه عن سمرة ابن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار) ومنه عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء) ومن البخاري رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أباً الرجل فيسب أباًه ويسب أمها فيسب أمها) وهم اليوم قد جاؤوا الحد في ذلك يشتم بعضهم بعضاً دون أجنبى بينهم يكفهم قد كفوا الاجنبي أمرهم ولا يهتمون بذلك ولا يرجعون عنه . ولو قدرنا أن أحداً نبههم على ما فيه من شدة القبح الجموع على منعه فلن من يسخر منه ومنهم من يقول إن هذا بسط لا حقيقة وكل ذلك سببه السريان من الخاصة إلى العامة فانا لله وانا إليه راجعون على مخالفة السنن وارتكاب البدع . ألا ترى أن من السنة اكرام الضيف بتيسير ما حضر والاقبال عليه وما تقدم من فعلهم عكس هذا الأمر سواء . ثم إن الخادم إذا فرش السجادة يجعل فتحها إلى

الجانب الايسر و يعللون ذلك بأنه اذا جاء أحد يريد أن يجلس معه فيجلسه لناحية اليمين ليكون ذلك أسهل عليه في فرشها له اذذاك و يعللونه بوجه آخر وهو أن القلب في جهة اليسار فينبغي أن يكون فتحها لتلك الجهة تفاؤلا بالفتح وهذا ليس من التفاؤل في شيء لأن التفاؤل الشرعي إنما هو ما كان عن غير قصد وما ذكروه كله يحتاج إلى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم والسجادة مكرورة في الشرع ابتداء إلا من ضرورة كما تقدم فكيف تفاصيلها فمن باب أولى وأخرى . ثم انه مع ذلك يطوى طرفها من جهة القبلة من ناحية المشرق فإذا علم الوارد موضع السجادة ذهب إلى موضع قضاء الحاجة كانت له حاجة أو لم تكن كان على وضعه أو لم يكن فيأخذ الابريق فيدخل به إلى الخلاء ثم يخرج إلى موضع الوضوء والابريق يدده فيضعه في موضعه الذي أخذ منه ويحمل بزبوزه إلى جهة القبلة ويمأوه وكذلك في كل موضع يضعون الابريق فيه إنما يكون مستقبل القبلة وهذا ما يحتاج إلى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم . وهذه الآداب الشرعية مثل استقبال القبلة وغيرها إنما المخاطب بها المكلفوون والابريق لا يتوجه عليه خطاب ولا أمر الشرع فيه بشيء والتزام هذه الأشياء فيه ضيق وحرج . وقد قال عليه الصلاة والسلام (ما تركته لكم فهو عفو) وإذا كان الأمر كذلك فلا حرج في وضع الابريق على أي صفة كانت وكذلك في بسط السجادة وغيرها فما وافق السنة امثالنا على الرأس والعين وما لم يرد فيه شيء فقد وسعه الله علينا فلان ضيق على أنفسنا باصطلاح من ليس بمصر من ثم يتوضأ فإذا فرغ منه مشى بتؤدة إلى موضع السجادة وهو مع ذلك لا يكلم أحدا ولا يكلمه أحد لابسلام ولا غيره فإذا جاء إلى السجادة قدم رجله اليمنى فوضعها على طية السجادة ثم قدم رجله اليسرى فوضعها إلى جانبها على الطرف المطوى كما هو ثم يقدم رجله اليمنى في وسط السجادة ثم الرجل اليسرى ثم يزيل تلك الطية يده

أو بقدمه ويسمون هذه الطيبة قفل السجادة حتى لا يفتح ذلك غيره وهذا كله من محدثات الامور التي ليس لها أصل في الشرع الشريف فتعين اطراحتها وترك المبالغة بها . ثم يصل ركعتين والصلة بهذا الوضوء فيها ما فيها لأن هذا الوضوء ان كان لاجل دخول الرباطليس الا فلاشك أنه لا يستباح به الصلة كما قال علاؤنا رحمة الله عليهم فمن توضاً للآخر كل والشرب أو دخول السوق فلا يؤودي به عبادة يتشرط الوضوء فيها وإن توضاً لدخول الرباط وللحديث فيجري فيه الخلاف الذي بين العلماء اذا أشرك في النية هل يجزيه أم لا وأقل ما فيه مما لا ينبغي أن هذا الفعل كله انما هو لاجل رؤية الناس له وأنهم لا يتركونه يدخل الرباط الا على هذه الصفة فقد خرج الوضوء بهذا عن أن يكون لله وحده بل الشائبة فيه ظاهرة بينه والمريد لا يسامح نفسه في شيء من هذا كله فينبغي له أن يتوضأ بعد ذلك لاستباحة الصلة ويتوب من عمل عمله لاجل رؤية الناس ثم انه اذا سلم من صلاة الركعتين المتقدمة الذي ذكر أفق اليه بعض أهل الرباط فسلموا عليه وبسطوا له الانس ويقوم هو اليهم ويعاونهم وهذا الذي فعلوه من سلامهم عليه وبسطتهم له هو السنة عند اللقاء فآخر جوه عن موضعه المشروع الى موضع غير مشروع فيه . وأما قيامه لهم فليس من السنة في شيء لان القيام المشروع انما هو قيام الحاضر للغائب حين قدومه عليه . وأما المعاونة ففيها اختلاف بين العلماء ومنذهب مالك رحمة الله كراهاها . ثم انهم يتكلمون عند ذلك بالكلام المعاد بينهم الذي لا يخلو في الغالب من التعميق والتزكية وترفع بعضهم ببعض بأشياء الغالب عدم بعضها الا من وفق الله تعالى وقليل ماهم . واحتجوا على استحباب هذه الاصطلاحات واستحسانها وأمر القراء بها بأن مشايختهم قد فرقوا لهم ذلك ليكون تحفظهم عليها علامة ودلالة على تحفظهم على بواعظهم مما يقع فيها فتكون آداب الظاهر دلالة على حصول آداب الباطن وهذه الطائفة يحسنون الفتن

بمشائخهم وقد أمر لهم بذلك فلا عتب عليهم في فعله بل هم في عبادة وخير وهذا الذي قالوه ليس بالبين لانه لو أجاز العلماء مثل هذا لكان ذلك كله ذريعة الى نسخ الشريعة بالأراء وغيرها فكل من ظهر له شيء أو استحسن شيئاً جعله أصلاً معمولاً به ويرجع اليه ولا قائل به من المسلمين وهذا الدين والحمد لله قد حفظه الله تعالى من الزيادة فيه والنقص منه . ولا حجة في كون الفقراء يحسنون ظنهم بمشائخهم لأن تحسين الظن بهم له مجال متسع ماداموا على الاتباع للسنة والسلف الماضين رضي الله عنهم اجمعين ففيئذ يرجع اليهم ويسكن الى قولهم وأما غير ذلك فاتباع السنة أولى وأرجى وأنجح بل أوجب مع سلامه الصدر لمن قال ما قال اذ أنه لم يقصد الاخيراً ولكن المريد يتبع عليه أن يكون ميزان الشرع في يده فان من وفى واعتدل فهو غنيمة ومن نقص فلا ضرورة تدعوا الى الاقداء به فيما خالف فيه السنة اذ أنه لا يتبع أحد في الغلط . وانظر الى قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الورود على الحوض (فيقال انهم قد بدروا بذلك فأقول فسحقاً فسحقاً فسحقاً) أي فبعداً فبعداً فبعداً . واما كان كذلك فقد وقع العبد بسبب التبديل ولغط التبديل يقع على القليل والكثير اذا كان الأمر كذلك فلا ضرورة تدعوا الى الواقع في مثل هذا الاحتمال والمقصود أن تكون السنة واتباع السلف رضي الله عنهم هما الاصل عنده فلا يرجع على غيرها ولو قال من قال . ولأجل هذا المعنى قال بعضهم ان المريد يعرف حين دخوله وماذاك الا أن المريد يحافظ على السنة اذا استاذن ووقف بباب حتى يؤذن له ثم دخل وقدم رجله اليمنى وأخر اليسرى ثم سلم السلام الشرعي علم أنه مريد لامثاله هذه السن الثلاث ألا ترى الى ما حكى عن بعضهم أنه جاءه مريد لزيارته فقدم اليه شيئاً للاكل فتناول المريد لقمة باليسار فقال له المزور من شيخك يابني فقال له يا سيدي الناحية اليمنى توجهني فقال له كل رضي الله عنك وعن رباك وقد

تقدمت هذه الحكاية لأن السنة في ابتداء الاكل أن يكون بناحية المين فلما أن رآه خالف هذه السنة عرض له بقوله من شيخك لينبهه بذلك على ما وقع فيه من مخالفة السنة فكان في المريد من اليقظة والحضور ما فهم به مراده فأجابه فهكذا تكون المحافظة على السنة والاباع وفقنا الله بذلك بنمه . وقد تقدم في لباس العالم وتصرفه ما فيه غنية عن اعادته لكن المريد يكون أشد حرضا على الاباع لانقطاعه الى الله وتبته اليه وقد تقدم ما في تلك الثياب المذكورة من السرف فهكذا ما يشبهها أعني من الوسع في الثوب الذي لا ضرورة تدعوه اليه وان كان ثوب المريد قصيرا في الغالب لكنه احتوى على شيئاً قبيحاً يخالف السنة وجود السرف فيه أعني في الوسع الخارق الذي يفعله بعضهم (نصل) واعلم ان الطريقة الصوفية نظيفة وأقل شيء يدنى النظيف لاجرم أنه قد كثر التدلیس والتخلیط وظاهر . وسبب ذلك أن كل طريقة ادعها الانسان فضحته فيها شواهد الامتحان الا هذه الطريقة فإنه لا يفتض فيها غالباً وذلك لوجهي . أحدهما أن طريقهم مبني على القوة والستر والعفو والتصفح والتجاوز والاغضاء عن العيون وكل من ادعى شيئاً يخالف طريقهم ستروا عليه وجروا عليه أذى الفتوة . والثانى أن كثيراً من الناس فتداعى الفتن أقل ما يقع منه أن يقول لك حسدتني ويقوم في حميته كثير من الناس فتداعى الفتن وتكثر الى غير ذلك من الحظوظ التي تتورهم وهي كثيرة ولأجل ذلك سكت من سكت من أهل الصدق والاباع فظن من لا علم عنده بحالهم السى . أن سكوتهم رضاً منهم بشىء ما رأوه أو سمعوه لا ترى أنهم اذا وجدوا من يقبل الحق منهم ألقوا اليه ما يخلصون به مهجه من هذه الغمرات وساروا به وأقبلوا عليه لاحظ دنيوى بل يفعلون ذلك فرحاً منهم بهداية شارد عن باب ربه عز وجل مضطر الى من يوصله اليه . وقد ورد في الحديث عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى رضي الله عنه لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خيرا لك من حمر النعم فإذا وجد أحدهم السبيل إلى شيء من هذا بادر إليه وإن كان ضده تعامل وتنامي لأجل ماتقدم . وقد تقدم أن اللعين بمكنته وشيخنته يتبع السنن واحدة بعد واحدة يريد بذلك أن يبدل مكان كل سنة ضدتها . ألا ترى أنه لما أن وجد المريداً كثرباسه على ماينبغى من القصر وغيره أدخل عليه دسيسة قل من يشعر بها وهي وسع الثوب الخارج عن العادة وفيه شيئاً مما لاينبغى وهو اضاعة المال وهو حرم لمخالفة السنة وكفى بهما وقوع بذلك من بعضهم ودس زيادة على ذلك وبدل ما هو أكبر من هذا وأكثر ل كثير من العرب في طول ثيابهم حتى صارت إذا مشوا تجر على الأرض وهذا حرم في حق الرجال متأنٍ ك فعله في حق النساء وبدل للنساء ضد ذلك وقد تقدم يانه وزاد في ثياب بعض من نسب إلى العلم قريباً مما سبق في ثياب العرب . فالحاصل أنه حرم كل طائفة من الاتباع وأوقعهم في ضده ومع ذلك قل من يستيقظ لما ألقاه إليه من هذه الدسائس بل تلقوها بالاقبال عليها لما ألقى إليهم من التعليل لكل واحدة لأن من عادته الذمية تعليلاً ما يلقيه إليهم وتحسينه لهم ليكون ذلك أدعى إلى القبول منه والحرص على فعله . فانا لله وانا إليه راجعون على ما حصل من الغفلات عن لا ينفل علينا ولا ينسانا وفي التلويع ماينبغى عن التصرّف والله المستعان بمنه وكرمه

فصل في ذكر بعض المتشبهين بالشايخ وأهل الارادة

وهذا باب متسع متشعب قل أن تنحصر مفاسده أو يتعين ما يقع منه لكثيره لكن نشير إلى شيء منه ليستدل به على مaudاه والله المستعان . فمن ذلك أن كثيراً من الناس يدعى الدين والصلاح وأنه من أهل الوصول ويأتي بحكايات

من تقدم من الاكابر ويطرز بها كلامه وهو مع ذلك يشير الى نفسه بلسان حاله وأن عنده من ذلك طرفاً وبعضهم يزعم أنه حصل له من ذلك الأمر حاصل ومنهم من له القدرة على تصنيف الحكايات والرأى التي يختلفها من تلقاً نفسه سيا والعياذ بالله تعالى ما ابتلي به بعضهم من تجرمه ودعواه رقى بالنبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأنه أقبل عليه وخطبه وأمره ونهاه بل بعضهم يدعى رقىته عليه الصلاة والسلام وهو في اليقظة وهذا باب ضيق وقل من يقع له ذلك الأمر الا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدمت غالباً مع أنا لاتنكر من يقع له هذا من الاكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم . وقد أنكر بعض علماء الظاهر رقى النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وعلل ذلك بأن قال العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبي صلى الله عليه وسلم في دار البقاء والرائي في دار الفنا . وقد كان سيدى أبو محمد رحمة الله يحل هذا الاشكال ويقول مقاله هذا القائل صحيح ولكن يرده ما وردأن الله تعالى يوقف هذه الطائفة بين يديه ويقول عز وجل (أوليائي لم أزو عنكم الدنيا هوانكم على ولكن زويتها عنكم لتستوفوااليوم نصيكم عندى اذهبوا فاختروا الصنوف فمن سلم عليكم من أجل أو زاركم من أجل أو أطعمكم لقمة من أجل نفذوا يده وأدخلوه الجنة فإذا تون إلى المحسرون أذى بالفخر فيقول أهل المحسن ياربنا بالهؤلاء دوننا فيقول الله عز وجل أتمتم في الدنيا مرة واحدة وهؤلاء كان الواحد منهم يموت في اليوم سبعين مرة) أو كما قال . وقال سيدى أبو مدین رحمة الله من مات رأى الحق ومن لم يتمكن من رأى الحق فإذا كان المرء إذا مات موتة واحدة رأى الحق فسابالك بسبعين مرة في كل يوم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) قد نهى الاشكال والحمد لله وظهر الصواب والله المؤمل في الثواب . ومنهم من يشير الى نفسه بالكرامات وخرق العادات وهو عرى عنها بالاتصال بضدتها

ومنهم من يدعى رؤية الشائع ولقبهم وهو مع ذلك لم يجتمع بهم ولا رأي . ومنهم من يدعى صحبة بعض الشيوخ والاهداء بهديهم وهو لم يجتمع بهم ولا هو على طريقهم بل رأى بعض من صحاب الشيوخ وحكي عنهم فكذلك عن نفسه . ومنهم من يدعى رؤية الخضر ثم ان بعضهم يؤكّد ذلك بالبين ليكون أدعى للقبول منه حتى لقد قال بعض من ينسب اليه شيء من هذا ان الخضر يأتيه في كل يوم ويقف على بابه أو دكانه ويتحدث معه وهو يبيع ويشترى وذلك كله تقول واقفال لا أصل له ولا فرع مع أن هذا لا ينكر اذا وقع من أهله في محله . ومنهم من اذا أراد أن يلقى شيئاً ما يخطر له قدم قبله الاستشهاد بكتاب الله تعالى فيقول قال الله تعالى («وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُرَى الدِّينُ كَذِبًا وَالْجُنُوبُ مَسُودَةً») ثم يختلف عند ذلك أنه رأى ورأى وأنه خطب في سره والغالب أنك تجد كثيراً من العوام لغبة الجهل عليهم بأهل الحق والخير والصلاح والاتباع اذا موه عليهم أحد من أهل التقويه انقادوا له وقالوا به واتبعوه وزللوه المزله التي يدعها أسأل الله السلامه من ذلك بمنه وكرمه . وبالمجمل فأحوالهم الرديئة لاتحصر وفيما وقع النبي به كفاية ومقنع . هذا حال المسترين منهم . وأما غيرهم فقد خرقوا السياج (١) وليس العجب منهم بل العجب من يعتقدونه أو يميل إليهم مع ما هم فيه من مخالفة الشرع الشريف مثل ما يفعل بعضهم من أنه يظهر للناس الزهد في الدنيا وترك الملااة بها حتى انه ليجلس مكشوف العورة وقد تقدم ذلك . ومنهم من يدخل النار على زعمه ولا يحترق برأي من الناس وذلك لو كان صحيحاً لكان بدعة ومنكراً اذا أن من شرط المعجزة اظهارها والتحدي بها ومن شرط الكرامة عكس ذلك فإذا أظهرها للناس فقد خرجت عن باب الكرامة . اللهم الا أن تقع ضرورة شرعية داعية الى اظهارها . مثل ما حكى عن بعضهم أنه كان في مركب موسوقة

(١) السياج ككتاب ماحاط به

فجأة فما جأ البحر عليهم وكان القمح بعض الظلة المسلطين على الخلق في وقته فسمع النواية وهو يقولون أن هذا القمح مكيل علينا فان نقص منه شيء أخذناه فالرأي أن نرمي الركاب في البحر ويبيق القمح فلما أن سمعهم قال لهم أرموا القمح في البحر وأنا الضامن له فأشهدوا عليه ورموا القمح حتى لم يبق إلا القليل فسكن البحر فلما أن وصلوا إلى البلد طالبوه بما التزم به فأمرهم أن يأتوا بالكيالين فجاءوا بهم فقال أكتالوا ما بقي من القمح فاكتالوه فوق ما عليهم أعني ما كان على النواية مسطورا ثم رد رأسه إلى أصحابه وقال لهم والله ما عاملتها إلا حقنا لدماء هؤلاء المسلمين. فما كان مثل هذا فهو الذي يظهرونه للضرورة الشرعية مع أن لدخول النار أدوية تستعمل حتى لا تعود على من دخلها من تستعمل تلك الأدوية لكن لو حضر أحد من أهل السنة ودخلاما لاحتراق صاحب البدعة والزubeة وخرج الحق سالما. وقد وقع ذلك في حكايات يطول تتبعها منها الحكاية المسندة في مصباح الظلام للشيخ الإمام الجليل أبي عبد الله ابن النعيم رحمه الله وما جرى للسنفي والبدعى في دخولهما النار خرج السنفي ولم يحترق وبقى البدعى حمما. وقد كان بعض من ينسب إلى المشيخة يدخل أصحابه النار ولا يحترقون فقال لي سيدى أبو عبد الله الفاسى رحمه الله والله لو لا أن أخاف من سيدى الشيخ أن يطردني لأخذت الشيخ نفسه ودخلت أنا وإياه النار حتى تنظر من يحترق فيما. وقد كان يبلاد المغرب من زمن قريب رجل يدعى الولاية وخرق العادة وكان إذا ورد عليه الفقراء والأضياف يعمل لهم فطيرا ويقتله في قصة ويؤرق بها إليه فينصب يده عليها فيخرج من بين أصابعه عسل نحل فيلته به ويطعمه من هناك حتى يكتفي بهم ثم يرسل يده فينقطع فسمع به بعض الأكابر في وقته جاءه إليه فلما أن جلس عنده قال له نريد أن تطعمنا من البسيمة التي تطعم الناس منها فقال نعم فأمر بالفطير على

العادة فأحضر فد يده ليسيل العسل على العادة فلم يخرج شيء فقال له وأين ماتدعوه فقال انقطع الآن فقال لو كان حقاً ما انقطع لأن الباطل اذا حضره الحق زهر ثم عزره ووجنه بالكلام وقال له كنت تطعم المسلمين أبوالشياطين وأخرجه عن ذلك الحال وتوبه عنه . ومنهم من يظهر الكرامة بامساك الثعابين والانس بها وهذا فيه ما فيه من مخالفة الشرع الشريف والتويه على الأمة بما لاحقيقة له اذ أن مثل ذلك يفعله كثير من الناس لعيشتهم فكيف يعد كرامة . ومن ذلك أيضاً ما يفعلونه من أكلهم الثعابين بالحياة بمرأى من الناس وذلك محرم أى لو كان صحيحاً لأن أكلها لا يجوز إلا بعد تذكيتها عند من يرى أكلها وهي يأكلونها من غير تذكرة بل يؤذبون على كل أكلة من أكلاتهم تأديباً للغدار دعا ثم إن كان ذلك من غير حقيقة فهو من صنعة النارنجيات والسيميا وماما كلها وليس من باب الكرامة في شيء . وكنت أعد مثل هذه الأشياء ببلاد المغرب تفعل على أبوابها ويتصاحك الناس عليها في هولهم ولعبيهم ويستغون بسيئها وهم في هذه البلاد في بعض الأماكن يعودونها من الكرامات ويعتقدونهم بسيئها ومنهم طائفة استنـت سـنة سـيـئة وهم الذين يحلقون لـحـامـهـ وـذـلـكـ مـخـالـفـةـ لـلسـنـةـ وارتكاب للبدعة لغير ضرورة شرعية . وأما إذا كان للضرورة مثل التداوى وغيره فخائز . ومنهم من يفعل عكس ذلك فلا يأخذون شيئاً من شعور أبدانهم ويعملون ذلك بأنه من حسن الصحة وذلك قبيح شنيع لأنه يشبه فعل الرهبان وفيه المثلة والاستقدار وقد نهينا عن ذلك كله . ومنهم من يلبس الليف والأشياء التي لا تستر عند الركوع والسباحة مثل الشعر وغيره وهذا أيضاً من المثلة والشهرة والبدعة وكشف العورة وترك الصلاة اذا أنه لا يجوز كشف العورة ولا غيرها وأشنع من هذا كله وأقبح ما اتخذ بعضهم من لبس الحديد فيتخذ سوارين في يديه كما تتخذهما المرأة من الفضة والذهب . وبعضهم يحمل في عنقه طوقاً

من حديد كالغلب بل هو نفسه ويعلقون في آذانهم حلقا من حديد . وبعضهم يجعل على ذكره طوقا من حديد القفل ويذعون أن شيوخهم حين يأخذون عليهم العهد يفعلونه بهم ويأمرنهم أن يلبسوه لمن اقتدى بهم ويقولون ان ذلك قفل على محل المعاشر حتى لا ترتكب ولا تخاف في تحريم هذا وشناعته وقبحه وأنه لا مدخل له في الشرع الشريف . ثم مع ادعائهم أن ذلك قفل على محل المعاشر يأتون بنقض ما زعموا وهو أن فيهم شبانا لهم صور حسان وهم مقيمون معهم مساء وصباحا وينخلو بعضهم مع بعض دون نكير . وقد قال بعض السلف رضي الله عنهم لأن أؤمن على سبعين عذراً أحب إلى من أن أؤمن على شاب . وبعضهم يتخذ حديداً كالعمود يمشي به . وقد ورد أن الحديد حلية أهل النار . وقد ورد (من تشبه بقوم فهو منهم) فيقعون في هذا الخطأ العظيم بسبب الجهل والجهل بالجمل كل ذلك سيء مخالفة السنة المطبرة . وأشد من هذا كله أن أكثرهم يدعى أنه على الحق والصواب وأن طريقته هي المثلى ومنهم قوم تزهو عن هذه الرذائل وعابوا على فاعلها ثم انهم يقعون في أشياء رذلة نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلم عنهما وهي عندهم كأنها من شعار الولاية . فمن ذلك اتخاذ بعضهم الأعلام على رأسه وهو لا يخلو أبداً أن يكون ولينا الله تعالى على ما يزعم أملاً فان كان ولينا فالولي الله تعالى لو قدر أن يدفن نفسه أو يكون أرضا يمشي عليه لفعل حتى لا يكون مع الناس بالسواء فكيف ينشر الأعلام على رأسه وهذا من باب الشهارة والدعوى وأهل الإيمان برآءة من ذلك كله . الأترى إلى قوا ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه تيم الداري رضي الله عنه لما أسأله أن يعظ الناس ويدركهم فقال له أنت تريد أن تقول أنا تيم الداري فأعرفوني بكل من أراد الظهور فليس من أهل الطريق في شيء بل هو عكس حالم ولوم يكن فيه إلا أنه بدعة من فعله فكيف

بانحرار هذه المفاسد التي وقعت بسبب الاعلام اذا أنهم يجتمعون رجالاً وشاباناً
 فإذا أشرعوا على بلد ذكرها الله تعالى جهراً يرفعون بذلك أصواتهم ولا يقصدون
 به الذكر ليس إلا بل الاعلام لأهل تلك البلدة ومن قاربها بورود الشيخ
 والفقراء الذين معه حتى يخرجوا الى تلقفهم فإذا سمعوا ذكرهم خرجوا اليهم
 رجالاً ونساء واختلطوا بهم فصاروا مجتمعين رجالاً ونساء وشاباناً وهذا فيه
 ما فيه من مخالفة الشرع الشريف وقد تقدم غير مرة أن المرأة لا تخرج من
 بيتهما الا لضرورة شرعية ومع ذلك فتكون اذا خرجت خرجت على الصفة
 المتقدم ذكرها من السهر والمشي مع الجدران لا تكلم الا لضرورة شرعية
 وهن اذا خرجن للقاءهم خرجن من كشفات في الغالب وان تستر بعضهن
 بعض تستر يرفعن أصواتهن بالزغاليط (١) ويسمع لهن اذذاك ضجيج وذلك
 كلما برأى من الشيخ وعلمه بهم فما أقبح هذا وأبعده من ينتمي الى طريق أهل
 الدين والصلاح فكيف بمن يزعم أنه يدعو الناس الى الله تعالى فانا الله وانا
 اليه راجعون على انعكاس الأمور . وبعضهم يزيد على ذلك فعلاً قبيحاً فيه
 اضاعة المال وهو وقود الشمع نهاراً حين يتقونه ويقصدون بذلك القرابة
 الى الله تعالى وهيئات هيئات . التقرب الى الله تعالى لا يكون الا بامتثال أوامر
 لا بالوقوع في نواهيه بل هو نفس البعد والقلة أسأل الله العافية من ذلك كل
 بمنه . ثم مع ذلك ينزل على أهل تلك البلدة بالجمع الذي معه ومفاسده قل أن

(١) قوله الزغاليط قال في شفاء الغليل زغليط اذا صوت بلسانه بغير حروف كـ

تفعله نساء العرب . و محمد بن سمنديار

سماع غناه الطير للدوح مرقص ومن طرب بالزهر منه ينقط
 وللناس في عرس الربيع مسرة وللخلق حتى القرفيه يزغليط
 وفي شرح القاموس ان زغريدة النساء في الافراح من زغريدة البير . وأما الزغاريت
 والزراغيت فهو لحن ومعنى زغريدة البعير هديره الذي يردد في جوفه

تحصر فن ذلك أنه يضر بحال كثير منهم بسبب تكلفه لهم أشياء من الأطعمة تليق بهم ويتفاخرون بذلك وبعضهم يعيي على من أدى ب الطعام لاختارونه وليت هذه الضيافة لو كانت عن طيب نفس لكنهم يقسطون ما ينفقونه في تلك الضيافة على الرؤوس من غنى وفقر ومضطر ومحاج وأكثرهم يتداينون بسيها وبعضهم يعجز عن شيء يعطيه وعمن يدايه فيرب قبل وصول الشیخ الى البلد فيتسطون على بيته وهو غائب فأخذون ما وجدوا من دجاج أو داجن وبعض من يعجز عن الهروب يمتحن مع كبراء أهل البلد بما يوجبون عليه مسالا قدرة له وتفاصيل أحوالهم في هذا المعنى تطول . وقد قال عليه الصلاة والسلام أنا أ Kami من التكلف ولو لم يكن من التكلف لهم إلا علف دوابهم لكن فيه من الحرم ما فيه . ثم مع ذلك لم يقتصروا على هذا التكلف العظيم حتى أضافوا إليه ما يأخذونه من المدايا ويسمون ذلك بالفتوح للشيخ ولاصحابه كل على قدر حاله سيا صاحب المنزل الذي نزلوا عنده فهذه الوظائف أعني الضيافة والعلف والفتوح للشيخ وجماعته لابد له منها حتى هم أنهم لم يقتصروا على ذلك الأخذ للشيخ وحده حتى يأخذوا خادم السجادة وقد تقدم أن السجادة في نفسها بادعة فكيف يتغذى لها خادم ثم يأخذون خادم الإبريق ثم خادم السساط ثم خادم العكاز ثم خادم الدابة أو الفرس ثم المزمرون الذين معه . ثم مع هذه الأحوال الرديئة يرقص بعضهم مع بعض نساء ورجالاً وشاباناً . ثم انهم لم يقتصروا على هذه المفاسد حتى آخرين بعضهم بين الرجال والنساء من غير نكير ولا استخفاف في ذلك . ثم انهم لم يقتصروا على هذا الفعل القبيح حتى يقد ببعض النساء يلبسن بعض الرجال ويزعمون أنها أخته من الشيخ وقد آخته فلا تحيط عنه أذنها صارت من ذوى المحارم على زعمهم وكتب العلامة الحمد لله بين أيدينا وليس فيها شيء ماذكر وله افعال منهم وتقول باطل فلن استحله منهم فقد خرج عن الدين ومن لم يستحله منهم فقد ارتكب أمراً

عظيماً يجب عليه أن يتوب و يقلع عما هو بسيله من المخالفة والضلالة . فاذاعلم هذا من أحوال بعضهم فأى فرق والحالة هذه بينهم وبين الظلة المتسطلين على الحق بأخذ المال والأذية بل قد يوجد بعض الولاة يتحاشى عن مثل هذه الرذائل وينزه منصبه عنها فلا يأكل الا من اقطاعه مع أن الوالي مأمور بالاقداء بالفقراء المتبعين فصار الأمر بالعكس اذا أنه يتبعن على من اتصف بشئ ما تقدم ذكره في أمر من انتسب الى الفقراء أى يقتدى بالوالى في هذا الفعل الحسن و زاد بعضهم على هذا شيئاً قبيحاً وهو استهتار في الدين وزندقة فيقولون المال مال الله ونحن عباد الله فلا فرق بيننا وبين صاحب المال لأننا شرکاؤه فيه وهذا منهم حل ونقض للشريعة المطهرة وقد أبى الله ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم والمليون . قال الله تعالى في كتابه العزيز (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) فالشريعة والحمد لله مصونة عن الزبادة فيها والنقص منها فلا نزال على صفة الكمال حتى يأتي أمر الله . ثم العجب من يدعى المشيخة منهم والمداية لطريق القوم كيف يعطى الإجازات للفقراء من تحت يده بالمشيخة ولو سأله عن فرائض الوضوء أو سنته أو فضائله وكذلك في الغسل أو في التيمم أو في الصلاة لجهل ذلك غالباً وقد قال بعض العلماء اذا صلي المكلف وهو لا يعرف المفروض من المسنون فلا تصح صلاته وكذلك لو سأله عن مفسدات الصلاة لما علمها وكذلك لوسأله عن حكم السهو اذا طرأ عليه في صلاته لما عليه . فإذا كان هذا حاله في أمر وضوئه وصلاته اللذين بهما قوام دينه وصلاحه فا بالك به في غيرها وقد تقدم أن من لم يأتمنه الله عز وجل على أدب من آداب الشريعة بعيد أن يؤتمن على سر من أسرار الله تعالى . فإذا كان هذا حال الشيخ في جمله بمبادئ أمر دينه فكيف بمن يصحبه أم كيف بمن يحييشه اذا غالب من ينتمي الى مثل هذا أنه لا ي Ashton العلماء اذا لو باشرهم لأنكر عليهم ما هم فيه فكيف يصحبهم

أو يتبعهم على أن هذه الإجازة والحالة هذه لا أصل لها في الدين ومع كونها لا أصل لها فالإجازة التي يعطونها شديدة بالظلم . ألا ترى أنهم لا يعطونها في الغالب لمن سأله حتى يعطي على ذلك عطاء جزيلًا بحسب حالمه أو يسمون ذلك بشكران الدخول في طريق القوم فيعطي الشيخ ما يليق به ولخدم الشیخ المتقدم ذكرهم ما يليق بدرجاتهم وكذلك الأكابر أصحاب الشیخ المذكور ولا بد من ليلة يطلبونها منه للسباع كل على قدر حاله وينتبطون كاً قدماً . ثم مع هذا الحال لا يقتصرون على كتب الإجازات لمن طعن في السن ولمن له ثبوت في العقل من الكمال بل يعطونها للشبان المردان ولم صور حسان فيسلطون بسبب ذلك على الكشف على حريم المسلمين في بعض الأحيان والاماكن بسبب الاختلاط بهم من أجل الإجازات التي بأيديهم . هذا حا لهم مع من سأل الإجازة منهم . وأما من لم يسألها فهو على قسمين إما أن يكون له وجاهة أو جدة أو أحد هما ويعلمون من حاله أنه يميل إلى شيء من أحواهم وأما أن يكون عارياً عن الوجهة والجدة وهو مع ذلك متشرف للإجازة كالأول . فاما الأول فيعملون عليه الحيل فيربطه عليهم وسكونه إلى قوله والرجوع اليهم فإذا ظفروا منه بذلك كلفوه التكاليف التي تضر بحاله وحال عياله غالباً . وإذا كان كذلك فلا فرق أذن بين من هذا حاله وبين الظلة إلا أن الظلة يفعلون ذلك بالعنف والقهر وهؤلاء يفعلون مثله بالحيل والخدع . وأما إن كان فقيراً لا مال له ولا وجاهة فأنهم يستخدمونه المدة الطويلة ليحصل لهم من تكافل الناس والتسلط عليهم والاحراج عليهم بالمسئلة على الغنى منهم والفقير حتى يحصل لهم ما يريدون كالأول وهذا أمر لا يمس أخلاق المسلمين في شيء إذ أن من أخلاقهم المناصحة بينهم والشفقة ورحمة بعضهم مع بعض نسأل الله السلامة من بلاه بهم وكرمه **(فصل)** ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادىء أمر

ديهم كما تقدم فكيف بالاتهاء الى المشيخة . وقد قال أهل التحقيق من أهل الطريق ان الفقير لا يكون فقيرا حتى يكون قلبه كأنه في كفه يعني من قوة معايته له ونظره اليه فيعرف الزيادة فيه من النقص بديهية . هذا حال الفقير المنفرد بنفسه دون أن يصل الى اقتداء الغير به . وأما الشيخ فلا بد له من زيادة على ذلك وهي أن تكون قلوب أصحابه كأنها في كفه وكذلك أحواهم في تصرفاتهم وعواطفهم فيعلم ما يزيد فيها وما ينقص منها فيرثهم على ما يتحقق من حال كل واحد وينبههم على ذلك بحيث لا يشعر أحد من جلسائه بل الشخص نفسه قد لا يشعر بذلك في بعض الأحيان وله في معرفة هذا أمور وتصريف لا يعرفه غيرهم فان كان الشيخ عاجزا عن هذه الرتبة أعني أنه لا يعرف ما زاد في حال أصحابه ومانقص في غيبته فلا يدعى المشيخة ولا المداية بل اخوان مجتمعون يتذكرون في مسائل الدين ومناقب أهل الأحوال السننية فلعل بركة ذلك وبركة اجتماعهم تعود عليهم دون أن يدعى أحد منهم حالاً أو مقالاً هذا حال القوم مع وجود الاخلاص منهم والصدق والصدق والركون الى مولاهم في دقيق الامور وجليلها والتزام الوقوف ببابه سبحانه وتعالى ومع هذه المقامات العالية والأحوال السننية لا يدعون لأنفسهم حالاً ولا مقالاً بل يقول أكثرهم الى الآن ما أحسن أن أتوب حتى قال قائل لهم

يظنون بي خيراً وما بي من خير ولكنني عبد ظلوم كا تدرى
 سترت عيوبى كلها عن عيونهم وألبستنى ثوباً جميلاً من الستر
 فصاروا يحبونى ولست أنا الذى أحبوا ولكن شهوتي بالغير
 فلا تقضى في القيمة يدتهم ولا تخزني يارب في موقف الحشر
 وقد قال بعض السلف الصالحة رضى الله عنه لولده لما أن رأى منه شيئاً لا يعجبه
 يابنى أما تعرف قدرك فقال وما قدرى فقال له أملك اشتريتها بأربعمائة درهم

وأبوك لأكثر الله مثله في الاسلام . هذا مقاهم مع وجود الأحوال السنية منهم فما بالك بمن هو على العكس ثم مع ذلك يعطي الإجازات وتنصب بين يديه الأعلام والرایات فانا لله وانا اليه راجعون . وبعضهم يدعى الوله ويرتكب بسبب ذلك محركات فيركب على جريدة قد صور لها وجهها وعينين وأنفها ويأخذ يده شيئاً كأنه سوط ويركب تلك الجريدة ويمسكها بسير أو خطوط كأنه حام لها ويضر بها ويحرى . وبعضهم يعلق فيها جرساً فإذا مسح يسمع له صوت قوي فيجتمع عليه النساء والرجال والشبان غالباً وقد يدخلونه بيتهم ولا يختنق منه أحد كأنه امرأة من جملة نسائهم ويعيرون على من استتر منه و يقولون هذا موله . وهذا أشد قبحاً من الأول لأنه قد ينفرد وحده فيجد السبيل إلى ماتسوله له نفسه من الرذائل بخلاف من تقدم ذكرهم . فكيف يدعى الولاية مع ارتکاب نهي صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلم حيث يقول (من صور صورة عذب حتى ينفع فيها الروح وليس بتناخ فيها أبداً) ولا فرق بين من صورها أو استعملها أورضى بها . وما العجب من هذا بل العجب من تلبس بشيء من العلم وهو مع ذلك يعتقد من هذا حاله ويصوب فعله بأن يقول هذا ولله وإنما هو يخرب على نفسه وتخرّب هذه الطائفة إنما يكون بمال يعارضهم فيه أمر ولا نهى وهذا قد يعارضه النهى الصريح كما تقدم ولو لم يكن للجريدة صورة لاحتتمل التخرّب وغيره . هذا إن كانت أوقات الصلوات عليه محفوظة وكذلك في سائر التكاليف الشرعية وهو يظهر الوله فيما عدا ذلك فهذا محتمل مع أنه لا ضرورة دعت إلى الدخول في هذا الاحتمال إذ أن الله عز وجل لم يضيق على المكلف إذا العلماء والأولياء محفوظون في ظواهرهم وبواطنهم موجودون والحمد لله لا تخليو منهم الأرض . إلى أن تقوم الساعة باخبار صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلم **(فصل)** ثم إن مع هذا كله لم يكتفوا بهذه المفاسد حتى ضمموا إليها

مفاسدة أخرى وهي أخذ بعضهم العهد على من يريد الدخول في الطريق من رجل أو امرأة أو شاب ليكونوا من خواصه وأتباعه . وبعضهم يحلقون شعر رأس من يتوب على أيديهم حين يأخذون عليهم العهد وهذا جهل منهم بالعهد وماهيته وكيفيته وحلق شعر الرأس لغير ضرورة شرعية من البدع وقد كان في عهد السلف رضي الله عنهم من شعار أهل البدع وعلامة عليهم . هذا اذا كان الحلق لأجل الدخول في الطريق وأما حلقة لكترة الدواب أو غيرها فهو جائز

غير مكروه

{فصل} ومن هذا الباب أيضاً ما يفعله بعضهم من تعليق السبحة في عنقه . وقد تقدم قول عمر رضي الله عنه لتميم الداري رضي الله عنه أنت تريد أن تقول أنا تميم الداري فاعرفوني وما كان مراده إلا أن يذكر الناس بالأحكام الشرعية المأمور باظهارها واساعتها واظهار السبحة والتزيز بها لامدخل لها في ذلك بل للشهرة والبدعة لغير ضرورة شرعية . وقريب من هذا ما يفعله بعض من ينسب إلى العلم فيتخذ السبحة في يده كاتخاذ المرأة السوار في يدها ويلازمها وهو مع ذلك يتحدث مع الناس في مسائل العلم وغيرها ويرفع يده ويحركها في ذراعه وبعضهم يمسكها في يده ظاهرة للناس يقلها واحدة واحدة كأنه يعد ما يذكر عليها وهو يتكلم مع الناس في القيل والقال وما جرى لفلان وما جرى على فلان ومعلوم أنه ليس له إلا لسان واحد فعده على السبحة على هذا باطل إذ أنه ليس له لسان آخر حتى يكون بهذا اللسان يذكر واللسان الآخر يتكلم به فيما يختار فلم يبق إلا أن يكون اتخاذها على هذه الصفة من الشهرة والرياء والبدعة . ثم العجب من يعد على السبحة حقيقة ويحصر ما يحصله من الحسنات ولا يعد ما يترجحه من السيئات . وقد قال عليه الصلاة والسلام (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) فأرشد عليه الصلاة والسلام إلى محسنة المرء لنفسه فيما يتصرف فيه باعتقاده

وجوارحه ويعرض ذلك كله على السنة المطهرة فـا وافق من ذلك حمد الله عزوجل وأثنى عليه وبقي خائفاً وجلاً خشية من دسائس وقعت له لم يشعر بها وما لم يوافق احتسب المصيبة في ذلك ورجع إلى الله تعالى بالتوبيه والاقلاع فلعل بركة التوبه تمحو الحوبة وينجبر بذلك ما وقع له من الخلل . وهذه الطائفة أصل عملها التحفظ من السيئات والهواجس والخواطر ثم بعد ذلك يأخذ في كسب الحسنات . وقد قالوا إن ترك السيئات أوجب من فعل الحسنات . لما في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام (اتق المحارم تكون أعبد الناس) وقد حكى عن بعضهم أنه بكى أربعين سنة فسئل عن سبب بكائه فقال استضافي أخ لي فقدمت له سماكا فأكل ثم أخذت تراباً من حائط جار لي فغسل به يديه فأنا أبكي على ذلك التراب الذي أخذته منذ أربعين سنة . وحكى عن آخر مثله فسئل عن ذلك فقال طلع لي طلوع فرقته فاسترحت منه فأنا أبكي عليه لعدم رضائي بما فعله الله بي أو كما قال وأحوالهم في هذا المعنى قل أن تنحصر فإذا كان هذا حالهم في مثل ما وصفناه عنهم فـا بالـك بـمن يـحمل الـانتقال وأـى اـنـقال ثـم يـحـصـرـ الحـسـنـاتـ ولاـيـفـكـرـ فيـ ضـدـهاـ فـاـنـالـهـ وـاـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـونـ ثـمـ انـبعـضـهـ يـحـتـجـ بـأـنـهاـ مـحـرـكـةـ وـمـذـكـرـةـ فـوـاسـوـأـتـاهـ انـ لمـ يـكـنـ التـحـرـيـكـ وـالتـذـكـيرـ منـ القـلـبـ فـيـهاـ بـيـنـ العـبـدـ وـبـيـنـ الرـبـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـيـ . وـقـدـ تـقـدـمـ مـاـوـرـدـ فـيـ الـحـدـيـثـ (انـ عـمـلـ السـرـ يـفـضـلـ عـمـلـ الـجـهـرـ بـسـبـعـيـنـ ضـعـفـاـ)ـ هـذـاـ وـهـوـ عـمـلـ فـيـ الـبـالـكـ باـظـهـارـ شـيـءـ لـيـسـ بـعـملـ وـاـنـ كـانـتـ صـورـتـهـ صـورـةـ عـمـلـ وـمـازـالـ النـاسـ يـخـفـونـ أـعـمـالـهـمـ مـعـ جـوـدـ الـاخـلـاصـ الـعـظـيمـ مـنـهـمـ وـهـمـ مـعـ ذـلـكـ خـائـفـونـ وـجـلـونـ مـنـ دـخـولـ الـدـسـائـسـ عـلـيـهـمـ فـاـنـ الـحـالـ مـنـ الـحـالـ فـاـنـالـهـ وـاـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـونـ . وـبـالـجـلـةـ فـقـعـلـ ذـلـكـ فـيـهـ مـاـفـيـهـ وـقـدـ تـقـدـمـ أـنـ التـاجـرـ يـنـبـغـيـ لـهـ أـنـ يـكـونـ عـارـ فـاـيـحـاـوـلـةـ مـاـيـتـجـرـ فـيـهـ فـلـاـ يـتـرـكـ مـالـهـ فـيـهـ سـبـعـيـنـ ضـعـفـاـ وـيـأـخـذـمـالـهـ فـيـهـ شـيـءـ وـاـحـدـهـذـاـ مـعـ الـسـلـامـةـ

من الاوصاف المتقدم ذكرها فكيف به مع وجودها ثم انه مع ذلك يحرم نفسه
فضل الذكر وعود بركته على اعضائه وجوارحه فلو كان يسبح ويعد على
أنامله لكان نور ذلك الذكر وبركته في أنامله . وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم
دخل على بعض أزواجها فرأى نورا في طاق فقال ما هذا النور الذي في الطاق
فقالت يا رسول الله سبحتي التي كنت أسبح عليها جعلتها هناك أو كما قالت فقال
عليه الصلاة والسلام هلا كان ذلك النور في أناملك فهذا ارشاد منه عليه الصلاة
والسلام الى الافضل والابدية والارجح وقاعدة المرید أن لا يرجع الى عمل مفضول
وهو قادر على ما هو افضل منه . وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله اذا قرأ في الختمة
 يجعلها على ركبتيه معاً ويسكها بيده اليسرى وجميع أصابع بيده اليمنى تمر على الحروف
التي يتلوها ويتمد ذلك ويعلم بالقول حتى يحصل لكل عضو حظه من العبادة
لكى يكثر الثواب بذلك . فأين الحال من الحال فانا الله وانا اليه راجعون
(فصل)) ومنهم من بالغ في أخذ العهد الى حد لا شك في تحريره
وابطاله فيقول انه اذا أخذ العهد على من يأخذته عليه ان المأمور عليه لم يقل له تصرف
في ماله ولا زوجته ولا نفسه بل التصرف في ذلك كله للشيخ فان أراد أن يطلق
عليه لزمه وان أخذ ماله لزمه الى غير ذلك ثم انهم مع هذه الشروط التي
يشترطونها لو تصرف الشيخ في شيء من ذلك لكان سيفا للقطيعة والترك وليس
هذا من صفة القوم ولا بتأثير عنهم ومنهم من يأخذ العهد على أن ينتمي لفلان
من المشايخ دون غيره حتى كان الطريق الى الله تعالى على عدد المشايخ فيتبين
اليهم كاينتسن أهل المذاهب الى مذاهبهم فإذا انتسبوا الى ذلك فالطريق الحمدى
أين هو وحصل بسبب ما تقدم بينهم تعصبات وشنآن كثیر حتى صاروا أحراضا
ووقع بعضهم في حق غير شيخه الذى ينتمي اليه أعادنا الله من بلاه منه . والطريق
الحمدى غير هذا كله . ولذلك كان سيدى أبو محمد المرجاني رحمه الله يقول

طريق القوم واحدة . وكان سيدى أبو محمد بن أبي جمرة رحمه الله يقول سنة الا حباب واحدة يعني أن مشربهم واحد وهو الاتباع وترك الابداع ولا يظن ظان أن ما تقدم ذكره فيه انكار لأخذ العهد من أهله لاهله بشرطه المعتبر عندهم اذ أنه عليه درج السلف الصالح نفعنا الله بهم ولا تذكر أيضا الاتهام الى المشايخ بشرطه وهو أن يكون عند المريد شيخه وغير شيخه بالسواء بالنسبة الى الاتباع وترك الابداع ويكون ايثاره لشيخه بسبب أنه كان وصوّله الى الله تعالى على يديه فيرى لذلك ف بهذه الاعتبار يقع التفضيل لشيخه والاختصاص به دون غيره . وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام (من صنع اليكم معروفا فكافر به فان لم تجدوا مانكافرته فادعوا الله حتى تروا أنكم قد كافرتموه) وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يأبى أن يأخذ العهد على أحد فسألته ما الموجب لذلك فهو بدعة قال لا ولكن عبد الله يعني نفسه ليس كغيره فأخاف ان أخذت العهد على أحد فقد لا يوفي بما أخذ عليه من العهد فيقع له التشويش وأكون السبب في ذلك فأتركم رحمة بهم وشفقة عليهم وأعوض عن الدعاء لهم بظاهر الغيب بالاستقامة أو كما قال . والحاصل من أخذ العهد هو أن يأخذ الشيخ العهد على المريد بأنه لا يراه الله حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره وهذا هو زبدته وأصله وبقيت تفاريده على هذا الاصناف أن تنتهي وهي الامانة التي عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فماين أن يحملنا وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا . قال علماؤنا رحمة الله عليهم ظلوم النفس جهولا بأمر ربه وذلك راجع الى الغالب منهم والافكير من وفي والحمد لله و كثير من دخل في جاه من وفي ولاجل هذا المعنى بي كثير من المحققيين يتبعون الى المشايخ ليكونوا في حرمتهم واليه الاشارة بقوله في الحديث اخبارا عن رب العزة عز وجل حيث يقول (هم القوم لا يشق بهم جليسهم) فما لا يشق بهم جليسهم كذلك لا يشق بهم معتقدهم ولا محبيهم . وقد خرج

الترمذى عن أنس قال (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى قيام الساعة قال فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فلما قضى صلاته قال أين السائل عن قيام الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله فقال ما أعددت لها فقال يا رسول الله ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم الا أنى أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وأنت مع من أحبت) فرارأيت فرح المسلمين بعد الاسلام كفرهم بهذا الحديث ولا يظن ظان أن هذا معارض لقوله عليه الصلاة والسلام للسائل حين سأله مرافقةه في الجنة فقال له عليه الصلاة والسلام أو غير ذلك فقال هو ذلك يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعني على نفسك بكثرة السجود . لأن هذا طلب منصبا عظيما فأرشده عليه الصلاة والسلام الى الأسباب الموصولة اليه لقوله عليه الصلاة والسلام (أقرب ما يكون العبد في الصلاة وأقرب ما يكون في الصلاة اذا كان ساجدا) فأرشد عليه الصلاة والسلام لذلك وطالب المعية تشمله الدار وهي واحدة وان كانت المنازل تتفاوت فيها ولكن قد جعلت السعادة لمن نالها . لقوله عليه الصلاة والسلام (الموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها) فإذا حصل له ذلك سلم من أهوال الدنيا والآخرة ومن العناء والتغليس . ومنهم من يفعل فعلا قبيحا حين يأخذ العهد على من يريد أن يدخل في طريقه فيكلفه أن يعترف بين يديه بكل مافعله من الذنوب وفي هذا من مخالفة الشرع ما فيه وقد ورد أن الله عز وجل يقول يوم القيمة بعض من فعل الذنب (أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفر لكاليوم) وقد ورد (كل الناس معافي إلا المجاهرون) فإذا جاء أحد من تقدم ذكره ليتوب على يديه أوقعه الشيخ باعترافه في هذه المهالك فكان عدم التوبة به أولى والحالة هذه . وفي هذا تشبه بالقسيسين لأن من عادتهم الذميمة اذا جاءهم أحد ليتوب على أيديهم يطالبونه بأن يسمى لهم

ذنو به ذنباً ذنباً ثم بعد ذلك يقبلون عليه . وقد قيل ان التشبه بالكرام فلاح وعكسه عكسه . فانا الله وانا اليه راجعون على تخليط أمر الدين بما ليس منه ولا فيه . ومنهم من ارتكب بدعة شنيعة آلت الى ترك الصلاة وتركها فيه اختلاف بين العلماء هل هو ارتداء او ارتكاب كبيرة من فعله . وذلك أن بعضهم يلبدون شعور رؤسهم والغالب أن الجنابة تصيبهم فإذا اغسلوا لم يمكنهم أن يوصلوا الماء الى البشرة وليس ثم عذر شرعاً يحيى المسح على حائل عند من يقول به فصلاتهم على هذا باطلة . ثم ضموا الى هذه المفسدة مفسدة أخرى أعظم منها وهو أنهم معتقدون أنهم على الخير والصواب وعلى طريق السلوك والهدایة . نسأل الله السلامة بمنه من بلائه . ومنهم من يتعانى اتخاذ الحروز الكثيرة و يجعلها في عنقه كالقلادة للمرأة . ومنهم من يجعلها على صفة أخرى يتوضأ بها وهذا شهرة من فعله وشوه ظاهر . وإن كان يدعى أنه فعل ذلك للتبرء والتحفظ من العين ومن مردة الجن فله طريق غير هذا بأن يعلق ذلك عليه من تحت ثوبه بحيث لا يشعر به ولا يظهر وأما على هذه الصفة المذكورة فيمنع لمخالفته للسنة وللسلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين . ومنهم من يأخذ سبحة كبيرة و يعلقها في عنقه أو يتوضأ بها ومع ذلك هو مشتغل بالقيل والقال والتحدث في أمور الغيب اظهاراً منه أنه يكشفها ويخبر بوقوعها . ومنهم من يعرض عنها خيطاً من صوف على صفات وصبغ فيتقلدون به وذلك كله من الشهرة أو الشهوة والبدعة والخروج عن الاتباع للسابقين رضي الله عنهم أجمعين : ومنهم من يفعل فعلًا قبيحاً شنيعاً رذلاً يأباه الله ورسوله والمؤمنون وهو أن يكون مع الناس في الجامع ينتظرون الصلاة فإذا قامت الصلاة وقام الناس إليها قام هو في جلتهم فإذا ركعوا وسجدوا بقى واقفاً ينظر إليهم لا يحرم ولا يرکم ولا يسجد ثم يتمادي على ذلك حتى يفرغ الناس من صلاتهم

وأصبح من هذا وأرذل من يعتقد من هذا حاله ويرى أنه من يتبرك به وأنه من الوالصلين ويتأول بأنه يصل في مواضع آخر وإنما هذا منه تخريب على نفسه حتى لا ينشر ولا يعتقد وتأوي لهم هذا من السخافة والحق ومخالفـة الشريعة المطهـرة وعدم الغيرة في الدين واصطلاحـهم على الرضا بترك هذه الشعـيرة العظـمى التي هي عمـاد الدين ورأـسه وأول أركـانه بعد كلامـي التوحـيد أـنـ من رأـى ولم ينكـر كـمن فـعل ولا ضـرورة تـدعـوا إـلـى التـخـرب لأنـ مـشـى عـلـى لـسان الـعـلم واتـبعـ الـحـقـ والـسـنةـ الـمـحـمـدـيـةـ واقـفـ آـثـارـ السـلـفـ الـمـاضـيـنـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـمـ سـيـماـ انـ أـنـكـرـ عليهمـ ماـهـمـ فـيهـ مـنـ عـوـائـدـهـ الـذـمـيـةـ الـخـالـفـةـ لـلـسـنـةـ فـالـغالـبـ مـنـ حـالـ أـهـلـ هـذـاـ الزـمانـ النـفـورـ مـنـهـ لـأـنـهـ يـزـعـمـونـ أـنـهـ قـدـ ضـيـقـ عـلـيـهـمـ وـهـ اـنـتـرـكـ الـعـوـائـدـ وـالـابـتـاعـ وـاتـبعـ الـسـنـةـ الـمـحـمـدـيـةـ وـتـمـسـكـ بـهـاـ وـاعـدـةـ الـنـفـوسـ فـالـغالـبـ النـفـورـ مـنـ الـحـكـمـ عـلـيـهـاـ . وـقـدـ قـالـ عمرـ بـنـ الخطـابـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـ يـاحـقـ مـاـبـقـيـتـلـ حـبـيـاـ . وـقـدـ كـانـ السـلـفـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـمـ عـلـىـ عـكـسـ هـذـاـ الـحـالـ مـنـ اـتـبعـ الـسـنـةـ أـحـبـهـ وـاعـتـقـدوـهـ وـعـظـمـوـهـ وـوـقـرـوـهـ وـاحـتـرـمـوـهـ وـمـنـ كـانـ عـلـىـ غـيرـ ذـكـرـهـ وـأـهـمـهـ وـمـقـتـوـهـ وـأـبـغـضـوـهـ حـتـىـ كـانـ مـنـ يـرـيدـ الرـفـعـةـ عـنـهـمـ وـالـتـعـظـيمـ مـنـ لـاـخـيرـ فـيـهـ يـظـهـرـ الـاتـبـاعـ حـتـىـ يـعـتـقـدوـهـ عـلـىـ ذـكـرـ . وـأـمـاـ الـيـوـمـ فـيـعـتـقـدوـنـ وـيـحـتـرـمـونـ مـنـ يـفـعـلـ الـعـوـائـدـ الـحـدـثـةـ وـيـمـشـىـ عـلـيـهـاـ وـلـاـ يـنـكـرـ عـلـىـ أـحـدـ مـاهـوـ فـيـهـ فـنـ أـرـادـ التـخـربـ فـيـ هـذـاـ الزـمانـ فـلـيـتـبـعـ الـسـنـةـ الـمـطـهـرـةـ فـاـنـهـ يـنـفـرـونـ عـنـهـ وـلـاـ يـعـتـقـدوـهـ غالـباـ لـانـكارـهـ مـاهـمـ فـيـهـ حـتـىـ قـدـ يـنـفـرـ عـنـهـ أـبـوـاهـ وـأـهـلـهـ وـأـقـارـبـهـ لـخـالـفـتـهـ مـاهـمـ عـلـيـهـ . ثـمـ انـ المـخـربـ لـاـيـخـلـوـ حـالـهـ مـنـ أـحـدـ أـمـرـيـنـ اـمـاـ أـنـ يـعـتـقـدـ حلـ ذـكـرـ أـمـ لـاـقـانـ اـعـتـقـدـ حلـهـ فـهـوـ كـافـرـ وـأـمـاـنـ فـعـلـهـ مـعـ اـعـتـقـادـ تـخـربـهـ فـهـوـ فـاسـقـ عـلـىـ مـاـقـالـهـ الـعـلـمـاءـ . وـأـمـاـ الـمـكـروـهـ فـقـدـ قـالـ عـلـيـاـوـنـاـ رـحـمـةـ اللهـ عـلـيـهـمـ اـنـ الـمـداـوـةـ عـلـىـ الـمـكـروـهـ يـفـسـقـ فـاعـلـهـ . ثـمـ انـهـمـ يـتـغـالـونـ فـيـ اـعـتـقـادـهـمـ فـيـقـولـونـ هـذـاـ بـدـلـ هـذـاـ قـطـبـ إـلـىـ غـيرـ ذـكـرـ . وـهـذـاـ الـلـفـظـ لـاـيـحـسـنـ أـنـ

يطلق على من اتبع السنة وبذل جهده في الاتباع فكيف يطلق على من تلبس بشيء من المحرمات أو المكر وها هو معا . ثم ان المتبوع من الناس في اعتقاده على قسمين . فنهم من يحمل جميع أفعاله وأقواله كلها على سهل الورع فأى شيء فعله أو قاله أو أشار إليه من اتباع الأمر واجتناب النهي مثل أن يقول هذا موضع لا أدخله لأجل أنه مخصوص أو استعمل المسلمين فيه الغصب أو غير ذلك فيقولون هذا من باب الورع هذا ليس بمتبوع وقد دخله فلان وفلان ويحتاجون بمن لا يحتاج به وإن كان في بعضهم أهلية للاحتجاج به فقد تكون له أعذار في ارتكاب ذلك في خاصة نفسه ولا يلزم أنه يبين عذرها فيما وقع منه . وقد قال مالك رحمه الله ما كل الأعذار تبدى . وإذا كان كذلك فلا يجوز أن يقتدى به في هذا وما شاكله إذ أن اتباع لسان العلم هو المتعين على الناس عموماً وخصوصاً وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول إن لا تكلم بالورع في هذا الزمان والناس يحملون ما تكلم به على سهل الورع وليس كذلك فصار لسان العلم عندهم ورعاً وترتبت على هذا مفسدة عظيمة وهي أنهم ينسبون كثيراً من الشريعة إلى الورع فيتركون بسبب ذلك الاتباع وباب الورع ضيق لا يدخله إلا فإذا ذاكليس هذا زمان الورع غالباً وما يتعللون به من ذكر الورع إنما هم من تسويف النفس والهوى والشيطان ليثبط عن بركة الاتباع . والقسم الثاني وهو غير المعتقد يقول هذا يابس مشدد مربوط يشير بكلامه وحاله إلى أن غيره على الباطل وهو على الحق والطريق المستقيم . وكلامهم هذا يرده ماورد في الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطرياً للغرباء من) أعني قيل يا رسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون إذا فسد الناس) وفي رواية الذين يصلحون ما فسد الناس من بعدي من سنتي وروى أبو داود في سننه عن علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كيف بكم إذا فسق
فيتامنكم وطغى نساوكم قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكافر قال نعم وأشد كيف
بكم إذا لم تأموروا بمعرفة ولم تنهوا عن منكر قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكافر
قال نعم وأشد كيف بكم إذا رأيتم المعرفة منكرا والمنكر معرفة) والاحاديث
في هذا المعنى كثيرة والله الموفق

(فصل) ثم إن غالب حالم أن اعتقادهم يدور بين أمرين . فنهم من
يكون اعتقاده مشهوة فيعتقدون مدة ثم ينحل عن اعتقاده . ومنهم من يدوم اعتقاده
لكن يزيد في اعتقاده ويتوغل فيه فيقول لهذا بدل هذاقطب كاتقدم . وكذلك
يقولون في حق غيره فيتناقض قولهم إذ أن القطب إنما هو واحد وهو أعز من
أن يجتمع به إلا الواحد من الأفذاذ ومع ذلك قل من يعرفه لأن صفتة كافال
الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن الصقلاني رحمه الله في كتاب الأنوار له والله
سبحانه وتعالى يدير القطب في الآفاق الأربع من أركان الدنيا كدوران الفلك
في أفق السماوات وقد سرت أحوال الغوث وهو القطب عن العامة والخاصة غيره
من الحق عليه غير أنه يرى عالماً جاهلاً أبله فطناً تاركاً آخذنا قريباً بعيداً سهلاً
عسراً آمناً حذراً . ومنهم من إذا حصل له اعتقاد في شيخ بعينه نقص غيره أو
فضله على غيره ويقع بسبب ذلك شنان بين أصحابهم ومن يتمنون إليهم حتى
أنهم ليرجعون أحزاباً ويجر بعضهم بعضاً لعدم تسلیم كل واحد منهم لصاحب
كما تقدم . وقد حدثني بعض القراء من كان يحضر مجلس سيدى أبي محمد
المرجاني رحمه الله أنه كان يسمعه وهو يعظم سيدى أبي محمد بن أبي جرة رحمه
الله فكان هذا الفقير يقول في نفسه ما هذا الرجل كبير القدر مثل هذا السيد
يعظمه قال فقضيت يوماً إليه حتى أراه فدخلت إلى المسجد وهو يتكلم في الدرس
والقارئ يقرأ عليه فرأيت عبارته دون عبارة سيدى أبي محمد المرجاني رحمه الله

فتعجبت وقتلت في نفسي أمثل هذا يكون أفضل من سيدى أبي محمد المرجاني فاستبعدت ذلك فرد الشيخ رحمه الله رأسه الى ونظر لى ثم رجع يتكلم فيما كان بسيله فقال في أثناء كلامه ينبغي للفقير اذا دخل على الشيخ أن لا يفضل من تلقاء نفسه شيخا على غيره يامسكن هذا الذى تفضل له لو سأله عن فضله عليه كان جوابه أن يقول هو بركتى وهو كذلك أرجو من الله تعالى أن ينفعنى به الى غير ذلك فرب ساكت أفضل من ناطق فيجيء أحدكم يفضل من يخطر له بما يخطر له أجاء لك أحد من عند الله تعالى وأخبرك أن فلانا عنده أفضل من فلان فهذا من قلة الأدب والاحترام فبما الله تعالى وارجع اليه ما كفى أن أحذكم يحرم العمل حتى يحرم الاعتقاد ما هذا الحال . قال فقيه أتوب وأستغفر الله لعله يسكن فاسكت الا بعد حين أو قال . وإذا كان ذلك كذلك فلا ينبغي أن يفضل بين شيخين الا بأحد أهرين . بأن يكون أحدهما أكثر اتباعا للسنة المطهرة من الآخر . أو يكون الذي يفضل أعلى مقاماً منهما فيكشف عليهم لأن من هو في مقام يكشف على من هو دونه ولا يكشف على من هو فوقه لأن النبي صلى الله عليه وسلم كشف على مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يكشف على مقامه الخاص أحد منهم . ولا يرد على هذا كون المريد يعظم شيخه ويؤثره على غيره من هو في وقته لأن تعظيمه له إنما هو من جهة أن الله تعالى قد قسم له على يديه رزقا حسنا كما تقدم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (من رزق في شيء فليلزمـه) وقال في حديث آخر (جئت القلوب على حب من أحسن إليها) ولا شك أن الاحسان بما يتحقق هو أفضل وأعلى من الاحسان بما يتحقق وحقيقة المريد مع شيخه أن الشيخ وجده غريبا في بحر التلاف فأنقذه وخلصه منه وأوقفه بباب رب سبحانه تعالى ولا احسان أعظم من هذا الاحسان . ووجه آخر وهو محنة المريد لطاعة رب عز وجل فلما

أن رأى عبيد شيخه ما يحبه التزمه لمحبوبه الذي وجده عنده . وقد كان بعض الناس يخدم بعض أبناء الدنيا ويحبه ويؤثره بالخدمة له فعذله بعض الناس على التزام خدمته له وهو لا يعطيه شيئاً فكان جوابه أن قال محبوب عنده . وقيل آخر أيضاً وقد رأوه واقفاً بباب عدوه فعذله في ذلك فأخبر بما تقدم وهو أن محبوبه عنده والمريد بذاته وخاطره وكليته راغب في طاعة رب العزة وجل متسبد في الوصول إليه فإذا رأى من هومثله أو أرفع منه قد أحكم الطريق وعرفها أحبه والتزمه وأنس به لما حصل عنده من المحسن الجليلة . فالحاصل من هذا أنه يعظمه لما حلم الله عزوجل عليه من الخالع السنية الشاهدة له بالقرب من المولى سبحانه وتعالى . ومنهم من يظهر له شيء من الكرامات فيغير بها فيتلف حاله بسببيها . ومنهم من يسلم بواسيطة أحد من الأولياء كما جرى لبعض المریدین بمدينتہ فاس أنه بات ليلة في زاوية خارج البلد فطلع على سطح الزاوية في ليلة مقمرة فأعجبه ضوء القمر فخطر له أن يجرب نفسه في الطيران هل يقدر عليه أم لا فجرب نفسه فطار في الهواء فدخل البلد من أعلى سورها وهو طائر فقال أي موضع أقصده فوقع له أن يأتي إلى زيارة بعض الأكابر من المشايخ في وقته فأتي إلى باب داره ونزل ودق الباب فخرج إليه الشيخ فقال له من أنت فقال فلان فقال له ما وجدت شيئاً تأتيني به إلا بهذه الكراهة والله لا كلامك بعدها أبداً فأدبه بذلك وكان سبب اجتماعه على ربه عزوجل وسلمته أو كا جرى . ومثل هذا ما حكى عن بعض المریدین أنه كان يحضر مجلس شيخه ثم انقطع فسأل الشيخ عنه فقالوا له هو في عافية فأرسل خلفه خضر فسألته ما الموجب لانقطاعك فقال ياسيدى كنت أجيء لك أصل والآن قد وصلت فلا حاجة تدعو إلى الحضور فسألته عن كيفية وصوله فأخبره أنه في كل ليلة يصلى ورده في الجنة فقال له الشيخ يابني والله ما دخلتها أبداً فلعلك أن تتفضل على فتأخذنى معك لعل أن أدخلها كما

دخلتها أنت قال نعم فبات الشيخ عند المرید فلما أن كان بعد العشاء جاء طائر فنزل عند الباب فقال المرید للشيخ هذا الطائر الذى يحملنى في كل ليلة على ظهره الى الجنة فركب الشيخ والمرید على ظهر الطائر فطار بهما ساعة ثم نزل بهما في موضع كثير الشجر فقام المرید ليصلى وقعد الشيخ فقال له المرید يا سيدى أما تقوم الليلة فقال الشيخ يابنى الجنة هذه وليس في الجنة صلاة فبقي المرید يصلى والشيخ قاعد فلما أن طلع الفجر جاء الطائر ونزل فقال المرید للشيخ قم بنا نرجع الى موضعنا فقال له الشيخ اجلس مارأيت أحدا يدخل الجنة ويخرج منها بفعل الطائر يضرب باجنته ويصبح حتى أراهم أن الأرض تتحرك بهم فبقي المرید يقول للشيخ قم بنا لثلا يحرى علينا منه شى فقال له الشيخ هذا يضحك عليك يريد أن يخرجك من الجنة فاستفتح الشيخ يقرأ القرآن فنهب الطائر وبقيا كذلك الى أن تبين الضوء واذا هما على مزبلة والعذرة والنجاسات حولها فصفع الشيخ المرید وقال له هذه هي الجنة التي أوصلك الشيطان اليها فما فاحضر مع اخوانك أو كا جرى . وحكاياتهم في هذا المعنى قل أن تحصر والحاصل منه أن الشيطان لا يترك أحدا ولا ييأس منه الا بعد خروج روحه وأما قبل ذلك فيضرب عليه بخيله ورجله ويستعمل حيله كلها . وقد تقدم بعض هذا اذا كان ذلك كذلك فيتعين على المرید أن لا يدعى حالا ولا مقاما خيفة أن يفسد على نفسه ما من به عليه ان كان حقيقة أو يكون من الشيطان ابتداء وكثير من الناس في هذا الزمان من ليس له رسوخ في الطريق بل بعضهم مغموس في الجهل ويدعى أنه من الشيوخ الموصلين الى الله وليس له ذوق في طريق القوم بالكلية بل عكسه . أسأل الله السلامة بهم . ومنهم من يفعل فعلا قبيحا شيئا في مطالبة بعضهم البعض وقيام المستغفر مكشوف الرأس زمانا طويلا وربما كان معتل الدماغ فتأخذه نزلة سينا ان كان في وقت البرد وقد

يُؤول الأمر من ذلك إلى الموت أو إلى أمراض خطيرة قد تطول عليه المدة بالعدل . ثم أن بعضهم زاد على ذلك أن يفعله ببعض من الناس عامة وذلك مخالف لطريق القوم لأنهم إذا كانت مطالبة بعضهم البعض فاما يكون ذلك فيما بينهم مستترین لا يحال عليهم غيرهم لأنهم كما قيل لا يطلع عليهم إلا ذو حرم ومحرم من كان منهم أعني من أصحاب الخرقة دون غيرهم . ويزيد بعضهم حمل الأقدام ويقف طويلاً بها ينتظر اقبالهم عليه . وبعضهم يبالغ في هذا المعنى فما يكشف رأس الجانى على زعمه وضربه بالجامجم (١) والجريدة وغيرها وهذا قبح وشناعة أن ينسب هذا لمن يدعى الطريق وطريق القوم غير هذه الطريقة إذ أنها مبنية على الصفح والتتجاوز والاغضاء مالم يكن في أمر الدين فان كان في أمر الدين فيكتفى فيه المجران لغير وفيه مقنع للجانى والجني عليه وغير هذا ليس من السنة في شيء . وطريقهم أنهم إذا وقع أحدهم في مخالفة يطالبونه بالتنورة والإقلاع عما وقع فيه . ثم زاد بعضهم على ذلك اعتقادهم أنه من طريق القوم الصادقين وقد تقدم كيفية ما يفعله الصادق منهم مع اخوانه إذا اطلع على شيء من المكرور الذى وقعوا فيه وأنه يتوجه إلى الله تعالى في إنفاذ من وقع منه ذلك . وينبغي أن تكون المطالبة للشيخ أكد من المطالبة للمربي لأن بغلة الشيخ عنه جرى عليه ما جرى فلو كان الشيخ يلاحظه لما قدر على ذلك في الغالب . ألا ترى إلى ما جرى لسيدي أبي علي بن السبط شيخ سيدى أبي محمد المرجاني رحهما الله تعالى أن بعض أصحابه جاء إليه وطلب منه إذن أن يتزوج فابن عليه ثم جاءه ثانيا فأبى عليه ثم ثالثا كذلك فقال أذن قال اذهب فذهب المربي فأخذ امرأة وجاء بها إلى بيته وأغلق الباب وإذا بالحائط قد انشق ودخل عليه الشيخ نفرج هارباً يسحق في البرية بحال أخذه لا يعرف أين يذهب ثم رجع إليه عقله بعد ذلك

(١) الجامجم جمع ججم وهو المدارس « مغرب »

فقال من أین أصابی المرض من هناك أتداوی فرجع الى موضع الشیخ فدخل وسلم عليه فقال له الشیخ رحمه الله أقدرت على شیء تفعله أتظن أنك لنفسك بل كثير منهم لا يتحملون أن يروا من ينتمي اليهم في ذرة ما لا ينبغي . الا ترى الى ما حکى عن بعضهم أنه رأى بعض أصحابه في الصف الأول يوم الجمعة فقال له مالی أراك هنا فقال له لأجل فضیلة الصف الأول وللقرب من الخطيب فقال له أما تعلم أن بعد من هؤلاء القوم أقرب الى الله تعالى من القرب منهم وماذاك الا لمشاهدة ما الشرع يأمر بتغييره عليه . أقل ما يمكن في التغيير أن لا يرى شيئاً يخالف السنة حتى يتغير عليه بالقلب اذ أن أصعب ما في التغيير بالقلب لأن الغالب على القلب تدینه بما يشاهد ويرى ويسمع فقل أن يتاثر مع مداومة هذا الحال عليه فالتغيير بالقلب وان كان دون المرتبين اللتين قبله فهو أصعب منها بهذا الاعتبار فتأمله . وماذاك إلا تأنيس القلوب غالباً بالعواائد المستمرة . الا ترى الى ما حکى عن بعضهم أنه قال أول بدعة رأيت بلى الدم وقد تقدم ذلك . وقد ورد (ولوا البدع ظهوركم) وكذلك ورد (من لم يزل المنكر فليزد عنه) فكيف يقبل المكاف على شیء من ذلك أو يصفعه إليه وأما أن فاجأه ذلك وعجز عن التغيير فالخلص منه أقرب وأيسر . لما ورد فيمن لم يقدر على التغيير أن يقول اللهم ان هذا منكراً ثالثاً . ثم لم يضر لسيله ويعرض عنه

فصل في مکاتبة الفقیر لأخيه

وي ينبغي له أن يجتنب ما اعتاده بعض الناس في مکاتبة بعضهم البعض بالألفاظ التي احتوت على التزية والتعظيم والكذب والتمييز والقوافي والبسجع والعبارات القلقة والتکلف اذأن ذلك لا يجوز . الا ترى أن كتب السلف رضي الله عنهم بعضهم الى بعض على منهاج غير هذا . فمن ذلك كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنه الى من يكتبه من ولاته . من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة ابن الجراح الى خالد بن الوليد الى عمرو بن العاص . وكتبهم له . من أبي عبيدة قالى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فوصفوه بالصفة الملازمة له . فان قيل قد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل : من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . فالجواب ما قاله القاضى أبو بكر بن العربي رحمه الله فى سراج المریدين له أن معنى كتب النبي عليه الصلاة والسلام الى هرقل عظيم الروم أى الذى يعظمه الروم وتعظيم الروم له باطل ولكن موجود حقيقة فلذلك وصفه النبي صلى الله عليه وسلم به . وعلى هذا درج السلف والخلف رضي الله عنهم . وتعظيم هذه الطائفه إنما هو بالقلوب لا باللقالقة من الألسن كما هو الحال فى هذا الزمان فهذه بعض نبذ يستدل بها على ماعداها . وأما طريق كثير من الفقراء المسافرين أعني غير المحققين منهم فلهم اصطلاحات وعوائد قل أن تجد للإتباع فيها سهل . فلن ذلك ما كانوا يوجبونه على من يريدون أخذ ثيابه وغيرها من مطالبات كثيرة يسمونها شغل الفقراء وليس هذا الحال خاصا بهم وذلك كله من نوع في الشرع الشريف لقوله عليه الصلاة والسلام (لا يحل مال امرىء مسلم الا عن طيب نفس منه) وهم يأخذون ذلك بغير طيب نفس من صاحبه حتى انهم ليكفون من كان فقيرا الى المسألة باللحاح وتکلیف الناس كما تقدم من فعلهم في الضيافات والاجازات وأحوالهم في هذا المعنى قل أن تنحصر . وفيما ذكر تنبئه على ماعداه والله الموفق

فصل في صرف هم المرید كلها الى الآخرة وأمورها

ويتبعى له أن يكون أهن الأمور عليه وآكدها عنده أهور الآخرة اذا أنه مصيره اليها فيتعين عليه ايثارها ولا يعبأ بغير ذلك الامن طريق الامثال لأن غير أمر الآخرة منقطع زائل وما هو كذلك فامر أقرب وأيسر من الدائم الذي

لainerقطع . الاترى الى حال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف كان على ما وصف الواصف متواصل الاحزان . وقد كان الحسن البصري رضي الله عنه قد غلب عليه هذا المعنى حتى كأنه يقدم للقتل على مانقل عنه . وكان يقول أعجب من يملأ فاه بالضحك وهو لا يعلم في أي ديوان اسمه هل في الجنة أو في النار . وقد سأله رجل أَحَدْ أَبْنَىْ حَنْبَلَ رَحْمَةَ اللَّهِ أَعْظَمُهُ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرَ أَهْمَدَنَا كَانَ اللَّهُ أَكْبَرَ تَكْفِلُ بِالرِّزْقِ فَأَهْمَمْنَا بِالرِّزْقِ لِمَاذَا وَإِنْ كَانَ الرِّزْقُ مَقْسُومًا فَالْمُحْرِصُ لِمَاذَا وَإِنْ كَانَ الْخَلْفُ عَلَى اللَّهِ حَقًا فَالْبَخْلُ لِمَاذَا وَإِنْ كَانَتِ الْجَنَّةُ حَقًا فَالرَّاحَةُ لِمَاذَا وَإِنْ كَانَتِ النَّارُ حَقًا فَالْمُعْصِيَةُ لِمَاذَا وَإِنْ كَانَ سُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنُكْرَ حَقًا فَالْأَنْسُ لِمَاذَا وَإِنْ كَانَتِ الدِّينَا فَانِيَةً فَالطَّمَيْنَةُ لِمَاذَا وَإِنْ كَانَ الْحِسَابُ حَقًا فَالْجَمْعُ لِمَاذَا وَإِنْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَائِهِ وَقُدْرَهِ فَالْحَزَنُ لِمَاذَا . وقد قالت رابعة العدوية لرجل رأته مهوما ان كان همك من أمر الآخرة فزادك الله هما وان كان من أمر الدنيا فرج الله همك . وقد أنسد بعضهم في هذا المعنى فقال

لابجز عن اذا ما الامر ضفت به ذرعا ونم وتوسد خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباها غير الله من حال الى حال

(فصل) هذا ما يسر من الكلام على آداب البريد وينبغي أن نختمه بذكر شيء من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذلك آثاره وأحواله ولكن يكون سلما للبريد في اتباعه عليه الصلاة والسلام في تصرفاته وحركاته وسكناته وشاراته . فن ذلك ما ذكره الباقي رحمه الله في كتابه المسمى بسن الصالحين وسن العابدين . قال مالك ان رجلين كانوا جالسين يتحدثان وكعب الاحبار قريب منهما فقال أحدهما لصاحبه أني رأيت في المنام كأن الناس جعوا ليوم القيمة فرأيت النبيين لهم نوران نوران ولا تبعاهم نور نور قال ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم مامن شعرة في جسده ولا رأسه الا وفيها

نوران ورأيت أتباعه لهم نوران نوران فقال له كعب اتق الله وانظر ماذا تحدث به
 فقال إنما هي رؤيا رأيتها فقال كعب والذى نفسى يده انه في كتاب الله المنزل
 لكي ذكرت . ومنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد وفاة النبي صلى
 الله عليه وسلم يقول وهو يكى بأبي أنت وأمى يارسول الله لقد كان لك جذع
 تخطب الناس عليه فلما كثروا اخذت منبرا لتسعمهم فعن الجذع لفراشك
 حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالخرين عليك حين فارقهم . بأبي أنت
 وأمى يارسول الله لقد باغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال
 تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) بأبي أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من
 فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى (واذ أخذنا
 من النبئين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مرريم) بأبي أنت
 وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا
 أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون (يقولون يا إلينا أطعنا الله وأطعننا الرسولا) بأبي
 أنت وأمى يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاوه الله حجر اتفجر منه الأنهار
 فما ذاك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك . بأبي أنت وأمى
 يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاوه الله ريحًا غدوها شهر ورواحها
 شهر فما ذاك بأعجب من البراق حين سررت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت
 الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك . بأبي أنت وأمى يارسول الله لئن كان
 عيسى ابن مرريم أعطاوه الله تعالى أحياء الموتى فما ذاك بأعجب من الشاة المسمومة
 حين كلبتك وهي مسمومة فقالت لانا كلني فاني مسمومة . بأبي أنت وأمى يارسول
 الله لقد دعا نوح على قومه فقال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)
 ولو دعوت مثلها علينا هل لنا عن آخرنا فقد وطى ظهرك وأدى وجبك
 وكسرت رباعيتك فأيّت أن تقول إلا خيرا فقلت (اللهم اغفر لقومي فإنهم

لَا يَعْلَمُونَ) بَأْيِ أَنْتُ وَأَمِّي يَارَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ اتَّبَعْتُ فِي أَحْدَاثِ سَنَكَ وَقَصْرِ عَمْرَكَ
 مَالِمْ يَتَّبَعْ نُوحاً فِي كَبِيرِ سَنَهُ وَطُولِ عُمْرِهِ فَلَقَدْ آمَنَ بِكَ الْكَثِيرُ وَمَا آمَنَ مَعَهُ الْأَقْلِيلُ .
 بَأْيِ أَنْتُ وَأَمِّي يَارَسُولَ اللَّهِ لَوْلَمْ تَجَالِسْ إِلَّا كَفُؤَا لَكَ مَا جَالَسْنَا .
 وَلَوْلَمْ تَنْكِحْ إِلَّا كَفُؤَا لَكَ مَا نَكَحْتَ إِلَيْنَا .
 وَلَوْلَمْ تَوَاَكِلْ إِلَّا كَفُؤَا لَكَ مَا آكَلْنَا .
 وَلَبَسْتَ الصَّوْفَ وَرَكَبْتَ الْحَمَارَ وَوَضَعْتَ طَعَامَكَ بِالْأَرْضِ وَلَعْقَتْ أَصَابِعَكَ تَوَاضِعًا
 مِنْكَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْكَ .
 وَمِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ لِالطَّبَرِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ كَانَ النَّبِيُّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبِسُ الصَّوْفَ وَيَتَنَعَّلُ الْمُخْصُوفَ وَلَا يَتَأْنِفُ مِنْ مِلْبُسٍ .
 يَلْبِسُ مَا وَجَدَهُ مَرَةً شَمَلَةً وَمَرَةً بَرْدَةً حَبْرَةً وَمَرَةً جَبَةً صَوْفًا .
 وَكَانَ يَلْبِسُ النَّعَالَ السَّبْتِيَّةَ وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا وَكَانَ لَعْلَيْهِ قِبَالَانَ وَأَوْلَى مِنْ عَقْدِ عَقْدٍ أَوْ أَحْدَادَ عَيْمَانَ وَكَانَ أَحَبَّ
 الْلَّبَاسَ إِلَيْهِ الْحَبْرَةَ وَهِيَ بِرُودِ الْيَمِينِ فِيهَا حَرَةٌ وَيَاضٌ .
 وَكَانَ أَحَبَّ الْلَّبَاسِ إِلَيْهِ الْقَمِيصِ وَكَانَ إِذَا اسْتَجَدَ ثُوبًا سَمَاهُ بِاسْمِهِ عَمَامَةً كَانَ أَوْ قِيَصًا وَرَدَاءً وَيَقُولُ
 اللَّهُمَّ لَكَ الْمُدْكَأُ الْبَسْتِيَّةُ أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صَنَعَ لَهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِهِ
 وَشَرِ مَا صَنَعَ لَهُ .
 وَكَانَ يَعْجَبُهُ التِّيَابُ الْخَضْرَاءُ .
 وَكَانَ يَلْبِسُ الْكَسَاءَ الصَّوْفَ وَحْدَهُ فَيَصْلِي فِيهِ وَرَبِّهَا لَبِسُ الْإِزَارِ الْوَاحِدِ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ وَيَعْقُدُ طَرْفَهُ بَيْنَ
 كَتْفَيْهِ وَيَصْلِي فِيهِ .
 وَكَانَ يَلْبِسُ الْقَلَانِسَ تَحْتَ الْعَامَّةِ وَيَلْبِسُهَا دُونَ الْعَامَّةِ وَيَلْبِسُ
 الْعَامَّ دُونَهَا وَيَلْبِسُ الْقَلَانِسَ ذَاتَ الْأَذَانِ فِي الْحَرْبِ وَرَبِّهَا نَعْلَقُنْسُوَتَهُ وَجَعَلَهَا
 سَتَرَةً بَيْنَ يَدِيهِ وَصَلَى إِلَيْهَا وَرَبِّهَا مَشَى بِلَا قَلَنسُوَةٍ وَلَا عَامَّةً وَلَا رَدَاءً رَاجِلًا
 يَعُودُ الْمَرْضَى كَذَلِكَ فِي أَقْصِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ يَعْتَمُ وَيَسْدِلُ طَرْفَ عَمَامَتِهِ بَيْنَ
 كَتْفَيْهِ وَعَنْ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ عَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 بِعَامَّةَ وَسَدَلَ طَرْفَهَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ وَقَالَ (أَنَّ الْعَامَّةَ حَاجِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشَرِّكِينَ)
 وَكَانَ يَلْبِسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِرَدَةَ الْأَحْمَرِ وَيَعْتَمُ .
 وَكَانَ يَلْبِسُ خَاتِمًا مِنْ فَضَّةٍ فَصَهُ مِنْهُ نَقْشَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فِي خَنْصَرِهِ الْأَيْمَنِ وَرَبِّهِ الْأَيْسِرِ وَيَجْعَلُ فَصَهُ

ما يل بطن كفه . وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة وكان يقول (إن الله تعالى جعل لذق في الدنيا النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة) وكان يتطيب بالغالية وبالمسك حتى يرى ويصده (١) في مفارقه ويتبحر بالعود ويطرح فيه الكافور . وكان يعرف في الليلة المظلمة بطيب ريحه . وكان صلى الله عليه وسلم يكتحل بالامد في كل ليلة ثلاثة في كل عين وربما اكتحل ثلاثة في اليمنى واثنتين في اليسرى وربما اكتحل وهو صائم . وكان يقول عليكم بالامد فانه يجعل البصر وينبت الشعر . وكان يكثر دهن رأسه ولحيته . وكان يترجل غبا . وكان ينظر في المرأة وربما نظر في الماء في ركوة في حجرة عائشة وسوى جنته . وكان لا تفارق قارورة الدهن في سفره والمكحلة والمرآة والمشط والمقراض والسواك والخيوط والابرة فيخيط ثيابه ويخصف نعله . وكان يستاك بالاراك وكان اذا قام من النوم يشوش فاه بالسواك ويستاك في الليلة ثلاثة مرات قبل النوم وبعده عند القيام ولو رده عند الخروج لصلاة الصبح وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم في الأخدعين وبين الكتفين واحتجم وهو محروم بمكة على ظاهر القدم . وكان يحتجم لسبعين عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا . دخل يوما على أم سليم وقد ماتت نفر ابناها (٢) من بنى أبي طالحة فقال له يا أبا عمير ما فعل النغير وجاته امرأة فقالت يا رسول الله احملني على جمل فقال أحملك على ولد الناقة وجاته امرأة فقالت يا رسول الله ان زوجي مريض فقال لعل زوجك الذي في عينيه يياض فرجعت المرأة وفتحت عيني زوجها لتنظر اليهما فقال مالك فقالت أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في عينيك يياضا ف قال ويحك وهل أحد الا و في عينيه يياض . وجاته أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان

(١) الويس البريق (٢) نفر كسرى طائر كالمنقار أحمر المنقار

ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة وهي تبكي فقال صلی الله علیہ وسلم أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالیٰ يقول ((انا انسانناهن انشاء آفعلنناهن أبكارا عرباً أتراباً)) وقالت عائشة رضي الله عنها سابقت رسول الله صلی الله علیہ وسلم فسبقته فلما كثُر لمني سابقته فسبقني ثم ضرب كتفه وقال هذه بتلك . وجاء صلی الله علیہ وسلم الى السوق من وراء ظهر رجل اسمه زاهر وكان صلی الله علیہ وسلم وصلی الله علیہ وسلم يجهه فوضع بده على عينيه وما كان يعرف أنه رسول الله صلی الله علیہ وسلم حتى قال من يشتري هذا العبد بجعل يمسح ظهره برسول الله صلی الله علیہ وسلم ويقول اذن والله تجدى كاسدا يا رسول الله فقال صلی الله علیہ وسلم لكنك عند ربك لست كاسدا . ورأى رسول الله صلی الله علیہ وسلم حسينا مع صديقه في الطريق فقدم رسول الله صلی الله علیہ وسلم أمام القوم وطفق الحسين يفر هارباً هنا وهناك ورسول الله صلی الله علیہ وسلم يضاحكه حتى أخذه بجعل احدى يديه تحت ذقنه والأخرى فوق رأسه . وكان صلی الله علیہ وسلم يدخل على عائشة والجواري يلعبن عندها فإذا رأيته تفرقن فيسرهن إليها . وقال لها يوم ما وهى تلعب بلعبتها ماهذه ياعائشة فقالت خليل سليمان بن دواد فضحك وطلب الباب فابتدرته واعتنقته فقال مالك يا حميراً فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ادع الله أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر فرفع يديه حتى روى ياض ابطيه فقال الامم أغفر لعائشة بنت أبي بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لاتغادر ذنبها ولا تكسب بعدها خطية ولا ائمها . ثم قال صلی الله علیہ وسلم أفرحت ياعائشة فقالت أى والذى يبعثك بالحق فقال أاما والذى يبعثنى بالحق ما خصصتك بها من بين أمتي وانها لصلاتى لأمتي بالليل والنهار فيمن مضى منهم ومن بقى ومن هو آتى يوم القيمة وأنا أدعو لهم والملائكة يؤمّنون على دعائي . وكان عليه الصلاة والسلام يكرم ضيفه ويسطّر رداءه له كرامة . وجاءته ظئره التي أرضعته يوماً فبسط لها رداءه وقال

مرحباً بأمي وأجلسها عليه . وكان أكثر الناس تبسم وأحسنهم بشراماً مع أنه كان متواصل الاحزان دائم الفكرة لا يمضى له وقت في غير عمل الله أو فيها لابد له أو لأهله أو لآهله منه وما خير بين شيئاً الا اختار أيسراً هما الا أن يكون فيه قطعية رحم فيكون أبعد الناس منه . وكان يخصف نعله ويرفع ثوبه ويخدم في منه أهله ويقطع اللحم معهن ويركب الفرس والبغال والمار ويردف خلفه عبده أو غيره ويسع وجه فرسه بطرف كمه أو بطرف ردامه . وكان يتوكأ على العصا وقال التوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء . ورعن الغنم وقال مامن بي إلا وقد رعاها وقع صلى الله عليه وسلم عن نفسه بعد ماجاهاته النبوة . وكان لا يدع العقيقة عن المولود من أهله ويامر بخلق رأسه يوم السابع وأن يتصدق عنه بزنة شعره فضنة وكان يحب الفأل ويكره الطيرة ويقول ما من الامن يجده في نفسه ولكن الله يذهب بالتوكل . وكان اذا جاءه ما يحب قال (الحمد لله رب العالمين) وإذا جاءه ما يكره قال (الحمد على كل حال) وإذا رفع الطعام من بين يديه قال (الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين) وروى فيه (الحمد لله حمدًا كثيراً طيباً مباركاً فيه غير موعظ ولا مستغنى عنه ربنا) وإذا عطس خفصن صوته واستتر بيده أو ثوبه بحمد الله . وكان صلى الله عليه وسلم أكثر جلوسه مستقبل القبلة . وإذا جلس في المجلس احتبى بيديه . وكان يكثر الذكر ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة وكان ينام أول الليل ثم يقوم من السحر ثم يوتر ثم يأتي فراشه فإذا سمع الاذان وثبت فاما فان كان جنباً أفضى عليه الماء والاتوضأ وخرج إلى الصلاة . وكان يصلى في سبعة (١) فاما وربما صل قاعداً . قالت عائشة لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان أكثر صلاته جالساً . وكان يسمع لجوهه أزيز كأزيز المرجل من البكاء وهو في الصلاة . وكان يصوم الاثنين

(١) السبعة بذم فـ تكون النافلة

والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشراء وقلما يفطر يوم الجمعة وأكثر صيامه في شعبان: وكان صلى الله عليه وسلم تسام عيناه ولا ينام قلبه انتظاراً للوحى وإذا نام نفح ولا يغط غطيطاً . وكان اذا رأى في منامه ما يروعه قال (هو الله رب لا شريك له) وإذا أخذ مضمحة وضع كفه اليمنى تحت خدته اليمين وقال(رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك) وكان يقول (اللهم باسمك أموت وأحيا) وإذا استيقظ قال (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما ماتنا واليه التشور) وكان صلى الله عليه وسلم اذا تكلم يبين كلام حتى يحفظه من جلس اليه ويعيد الكلمة ثلاثة لتعقل عنه . ويختزن لسانه ولا يتكلم في غير حاجة ويتكلم بجموع الكلام فصلاً فضولاً ولا تقصيراً وكان يتمثل بشيء من الشعر وكان يتمثل بقول بعضهم يأتيك بالأخبار من لم تزود . وكان صلى الله عليه وسلم جل خحكه التبسم وربما ضحك من شيء معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة . وما عاب صلى الله عليه وسلم طعاماً قط ان اشتراه أكله وان لم يشتهيه تركه وكان لا يأكل متكتناً ولا على خوان يأكل المديدة ويكافئ عليها ولا يأكل الصدقة ولا يأنف في مأكل يأكل ما وجد ان وجد تمراً أكله وان وجد خبزاً أكله وان وجد لبناً اكتفى به ولم يأكل خبز امرقا حتى مات صلى الله عليه وسلم . قال أبو هريرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يسبغ بخنز الشعير وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا توقد في بيت من بيته نار وكان قوتهم التمر والماء وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع . هذا وقد آتاه الله مفاتيح خزان الارض فأبى أن يقبلها واختار الآخرة وأكل صلى الله عليه وسلم الخبز بالخل وقال (نعم الاadam الخل) وأكل لحم الدجاج وكان يحب الدباء وأكله ويعجبه الذراع من الشاة وقال ان أطيب اللحم لحم الظهر وقال (كلاوا الزيت وادهنو ابه فانه من شجرة مباركة) وكان يعجبه الثفل يعني ما يبقى من الطعام وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن

وأكل صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر وقال هذا أدم هذا وأكل صلى الله عليه وسلم البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد وكان يحب الحلو والعسل وكان صلى الله عليه وسلم يشرب قاعداً وربما شرب قائماً ويتنفس ثلاثاً فإذا فضلت منه فضلة وأراد أن يسقيها بدأ من عن يمينه وشرب صلى الله عليه وسلم بنا وقال (من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا خيراً منه ومن سقاوه الله لبنيافيلقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه) وقال صلى الله عليه وسلم (ليس شئ يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن) زاد الباقي رحمه الله وكان عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم كاً وصفه الله تعالى . وكان أحل الناس وأعدل وأعف الناس لم تمس يده قط امرأة إلا بملك رقتها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات حرم منه . أنسخ الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه وبخاه الليل لم يأو إلى منزله حتى يعطيه من يحتاج إليه . لا يأخذ مما آتاه الله الآقوت عامة فقط من أيسر ما يجد من الشعير والتمر ويضع سائز ذلك في سبيل الله تعالى لا يسأل شيئاً إلا أعطاه ثم يعود على قوت عامة فيؤثر منه حتى يحتاج قبل انقضاء العام . أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد . يحب دعوة العبد والحر . ويقبل الهديه ولو أنها جرعة لبن . وتستتبعه الأمة والمسكين فيتبعهم حيث دعواه . لا يغضب لنفسه ويفضي لربه . متذرله باطن قدمه . يشهد الجنائز . أشد الناس تواضعاً وأسكنتهم من غير كبر وأبلغهم من غير عرى . لا يهوله شيء من أمر الدنيا . يجالس الفقراء ويأكل المساكين ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم . يصل ذوى رحمة من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يجحف على أحد . يقبل معذرة المعذر . يخرج إلى بستان أصحابه لا يحقر مسكنينا لفقره وزمامته . ولا يهاب ملكاً لله . يدعوه هذا وهذا إلى الله تعالى دعاء مستويًا . قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة الناجحة وهو

أمي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصغارى فعلمه الله جميع محسن
الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في
الآخرة والبغطة والخلاص في الدنيا . قال الباقي رحمه الله وذكر العتبى قال
كنت عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول
الله سمعت الله تعالى يقول (ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً حبا) وقد ظلمت نفسى وجئتكم مستغفرا
من ذنبي مستشفعا بك الى ربى ثم أنشأ الاعرابي يقول

يا خير من دفت في الأرض أعظمها فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
ثم انصرف . قال العتبى فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في
النوم فقال لي ياعتبى الحق الاعرابي فبشره أن الله قد غفر له . ومن كتاب الترمذى
عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ
عنى هذه الكلمات فيعمل بهن ويعلم من يعمل بهن قال أبو هريرة أنا يا رسول
الله فأخذ يدي فعد خمسا فقال (اتق المحارم تكون أبعد الناس وارض بعاقب
الله لك تكون أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكون مؤمنا وأحب للناس ما تحب
لنفسك تكون مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تحيط القلب ومنه
عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال (أمسك عليك لسانك
وليسفك بيتك وابك على خطئتك) ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال (بذا الاسلام غر يا وسيعود غر يا كابدا فطوى بي للغرباء من أمتي قيل يا رسول
الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى)
(فصل) قد تقدم الكلام على السبعة الذين يدور عليهم أمر الدين
وزرجع الآن إلى القسم الثاني وهو تصرف الناس في أسبابهم وصنائعهم

ومعايشهم وما يحتاج إليه بعضهم من النية فيها هو يحاوله وما يتحفظ منه وهذا النوع كثير . فنبداً أولاً بما هو الأولى فالآكدة فالآكدة . فأول مانبدأ به من الكلام على الصنائع والحرف غسل الميت وحرق القبر وغيرهما وما يفعل في ذلك من الأحكام والتبني على بعض ما أحدثوه فيه إذ أنه من أهم أمور الدين وآكدها . لكن نقدم أولاً ذكر حال المختصر وما يحتاج إليه من الآداب والله المستعان . قد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لقنوا موتاكم لا إله إلا إله) وورد أيضاً (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) وينبغي أن لا يقربه حائض ولا جنب ولا صغير يبعث لا يرجع لما يؤمر به أو ينهى عنه . وينبغي أنه مهما أمكن أن لا تكون عليه نجاسة فعل فعل هذا يكون ثوبه ظاهراً وبذاته ظاهراً وكذاك من حضره يكون كذلك . وينبغي أن يكون على المختصر أذناً ماتيسراً من الطيب أكراماً للقاء الملائكة . وينبغي أن يحضره أذناً أحسن أهله وأصحابه هدياً وخلفاً ودينها وسمتها ووقاراً فيلقنه كلثمي التوحيد برفق وذلك بأن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله جهرأ ثم يسكت ساعة ثم يعيدها ثم كذلك إلى أن يقضى . ولا ينبعي أن يقول له قل لا إله إلا الله أو يلح عليه بذلك وماذاك إلا لأنه إذا قال له قل لا إله إلا الله قد يتوجه المختصر أذناً وقد يكون أخذته غشية فيكون سبيلاً لموته وإذا أكثر عليه بلا إله إلا الله اختلط عليه فإذا كان على مواصف قبل سلم من هذا . وينبغي أن يكثر من الدعاء له وللحاضرين لكن بخفض صوت وحسن سمع وقار لأن الملائكة يحضرون ويؤمنون على دعاء الداعي . وهذا الموطن من المواطن التي يرجى فيها قبول الدعاء . وقد أنكر مالك رحمة الله القراءة عنده بسورة يس وسورة الأنعام وعلل ذلك بأنه لم يكن من عمل الناس وأجازه ابن حبيب على ما تقدم وصفه من الوفار والتؤدة وكذلك اختلفا في توجيهه إلى القبلة فقال مالك رحمة

اللهلم يكن من عمل الناس وكره أن يعمل ذلك استنانا . وقال ابن حبيب يستحب ذلك لأنها الجهة التي كان يعظمها في حياته فإذا فعل المكلف ما قاله ابن حبيب فلا يفعل ذلك به حتى يعاين وهو أن يشخص بيصره لأنه ان فعل ذلك به قبل المعاينة قد يوهمه فيكون سبباً لموته أو للغشيان عليه . وينبغى لمن يلقنه أن لا يضجر ولا يقلق ان طال الأمر عليه ووجد من يقوم عنه بذلك حتى يأخذ راحة لنفسه فعل وإن كانوا جماعة فيفعلون ذلك واحداً بعد واحداً ولا يلقنونه بجماعتهم فإن ذلك يحرجه ويقلقه . وينبغى أن لا يضجر أيضاً من عدم قبول المختضر لما يلقنه إليه . وقد يرى من بعضهم عدم القبول لذلك لأن الموضوع موضع فتنة وأمر شديد . إلا ترى إلى ما ورد أن المختضر إذا احترض يأتيه شيطانان أحدهما على صفة أبيه والآخر على صفة أمه فيقول له الذي هو عن يمينه على صفة أبيه يابني أنا قد سبقتك إلى هذا الموضوع وقد عرفت الحق فيه والدين الأقوم الذي به النجاة وهو دين النصرانية فمت عليه فهو الحق . أعاذنا الله من ذلك بمنه ويقول الذي على صفة أمه يابني قد كان بطني لك وعاء وثدي لك سقاً وحجرى لك وطاء وأنا أحب لك ما أحب لنفسي وقد سبقتك إلى هذا الوطن وعرفت الحق من غيره فلت على دين اليهودية أو كما قال إلى غير ذلك . وقد ورد أن الاديان تعرض عليه اذراك والامر أمر خطير عظيم في الخطر فينبغي أن يكثروا له من الدعاء وأن يجتنبوا اللعنة والقيل والقال . وقد سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يحكى أن بعض المغاربة جاؤوا إلى البلاد بنية الحجاز فرض بعضهم واحتضر فجلس إليه رفقاؤه يلقنونه على ما تقدم وصفه فكان إذا قال من على يمينه لا إله إلا الله محمد رسول الله معروفة وجهه ورده إلى ناحية اليسار وإذا قال من على يساره ذلك معروفة وجهه ورده إلى ناحية الأخرى ثم كذلك ثم كذلك إلى أن غالب عليهم النوم فناموا وبقي واحد منهم يلقنه فإذا حول وجهه إلى ناحية اليمين دار إليه وإذا

حوله الى جهة اليسار دار اليه ثم كذلك ثم كذلك الى أن غلب عليه النوم أيضا
 كما صحابه فينما هو في النوم اذ رأى الناس يتجررون قال فقلت فما بال الناس فقالوا
 هم ماشون الى فلان «اسم المختضر» يهونه بالموت على الاسلام فقلت هذا صاحب
 فأسرع مت معهم لاهينه من جملة من يهونه بختنا الى باب كبير فدخل الناس من ذلك
 الباب فدخلت معهم فإذا بصاحب واقف والناس يهونه بالموت على الاسلام
 فزاحت معهم حتى اجتمعوا به فهنيه كما فعل غيري فأمسك يدي وقال آه
 يا فلان ما هذا الحال الذي فعلتم معى تركتموني وحيدا للشياطين يتسللوني فقلت
 له كنا نلقنك وأنت تمر وجهك وتعرض علينا يمينا ويسارا فقال لي ماعنكم كنت
 أعرض وانما كنت أعرض عن الشياطين فانها أتتني على صفة أبي من جهة
 اليدين وعلى صفة أمي من جهة اليسار فهذا يدعوني الى دين النصرانية وهذه
 تدعوني الى دين اليهودية وكان كلامكم يؤنسني وأستوئق به فلما نمت سلاني
 لكن الحمد لله الذي أعايني فانني لما أتيت وحيدا نزل ملك من السماء ويدله حربة
 فهزها علبهما وقال لها إليكما عن ولی الله فوليا هاربين ثم لقني الشهادة فقلتها فلت
 عند ذلك وهو لاء يهونني بما أنعم الله به على أو كما قال فاستفاق من نومه فقام
 الى صاحبه فوجده قد مات رحمه الله وقد حکى عن الامام أحمد بن حنبل رحمه
 الله أنه لما جاءه الموت ولقن لا الله الا الله قال لا فروى بعد موته في المنام فقيل له
 كنا نقول لك لا الله الا الله وأنت تقول لا فقال كان ابليس تعرض لي وقال لي
 سلمت مني يا أحمد فقلت له مادامت الروح في الخلقوم لا أسلم منك وكان ذلك
 جوابا لللام او كما قال وقد روی مالك في موطئه عن عطاء بن يسار أن رسول
 الله صلی الله علیہ وسلم قال اذا مرض العبد بعث الله اليه ملائكة فقال انظر ماذا يقول
 العواده فان هو اذا جاوه مد الله وأثنى عليه فعاد ذلك الى الله وهو أعلم فيقول العبد
 على ان توفيته أدخله الجنة وان أنا شفيته أن أبدلها لما خيرا من لمه ودما خيرا من دمه

وأن أكفر عنه سبباً عنه . وروى الترمذى عن أبيه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصيب العبد نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يغفو الله عنه أكثر قال وقولاً (وما أصابكم من مصيبة فيها كسبت أيديكم) الآية . وينبغى أن لا يترك أحداً يذكر حوله برفع صوته بذلك . ومن كان بما كلام جماعته فليعتزل عنه بموضع لا يسمعه المختضر ولا بأمس بالبكاء بالدھوع حينئذ وحسن التعزى والصبر أول وأجمل من استطاع . وليرجع من السخط والضجر ول يكن موتنا بالعوض من الله تعالى أذ أن من مات لم يكن بيده حل ولا ربط ولا قدرة ولا ارادة إلا بأمر من المولى سبحانه وتعالى فالذى أقامه في ذلك يقيمه في غيره أو لا يحوجه إليه . وينبغى أن يتمثل السنة ويتعلق بها حين وقوع الامر به فيقول ما ورد في الحديث عن صاحب الشريعة صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول (مامن أمرى * تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله عز وجل أن الله وانا اليه راجعون ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتي واعقبني خيراً منها الأبدلها خيراً منها) قالت أم سلمة فلما أن مات أبو سلمة جعلت أقوالها وقلت ومن خير من أبي سلمة ثم قلت أمشل السنة فأقوالها فقلتها فأبدلت الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كما قالت . وينبغى أن تكون النساء بمعزل عنه اذا ذاك لأن فيهن من الرقة وعدم الصبر وعدم العلم أو قلتهما ونقصان العقل ما هو معلوم وذلك يؤدي إلى وقوع مالا ينبغي بحضوره المختضر فيتحفظ من ذلك وما يترب عليه من الواقع في النهى الصريح . لقوله عليه الصلاة والسلام (ليس مما من حلق وخرق ودق وسلق) ومعنى حلق حلق الشعور وخرق خرق الثياب ودق هو تخمير الوجه والضرب على الحدود وسلق هو الكلام الرديء القبيح ومنه (سلقوم بالسنة حداد) وقد روى البخارى ومسلم والترمذى والناسى عن عبد الله بن مسعود رضى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس من من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية) وروى

الترمذى عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (مامن ميت يموت فيقوم باكراً فيقول واجلاه واستداه ونحو ذلك الا وكل الله به ملائكة يتهرأ انه ويفعل لأن الله أهلكنا كنـت) وروى البخارى عن النعيم بن بشير قال أغنى على عبدالله بن رواحة بجعلت أخته عمرة تبكي وتقول واجلاه واكـذا واكـذا تعدد عليه فقال حين أفاق ماقلت شيئاً إلا قيل لي أنت كـذا فلما مات لم تبك عليه . وينبغى لـمن حضر من الرجال أن لا يظهر المجزع اذا ذاك فإنه اذا ظهر ذلك منه للنساء كان سـيـاـلـاـ لـوقـوعـ ماـتـقـدـمـ ذـكـرـهـ مـنـهـ فـلـيـحـذـرـ منـ هـذـاـ جـهـدـهـ مـعـ وـجـودـ الرـفـقـ وـالـشـفـقـةـ وـالـرـحـمـةـ وـالـسـيـاسـةـ مـعـ أـهـلـ المـيـتـ آـنـ أـمـكـنـ ذلكـ فـانـ لـمـ يـكـنـهـ أـقـامـ سـطـوـةـ الشـرـعـ عـلـيـهـ لـأـقـلـ كـاـبـيـةـ لـأـنـ لـاـ يـظـهـرـ المـجـزـعـ اـذـذـاكـ الشرـعـ قدـقـرـ مـاـفـيـهـ مـاـقـرـرـ بـقـوـلـهـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـاـمـ (فـاـذـاـ وـجـبـ «ـأـىـ مـاتـ»ـ فـلـاـ تـبـكـ بـاـكـيـةـ)ـ فـلـاـ يـتـعـدـىـ مـاـحـدـهـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـاـمـ وـالـهـ الـمـسـتعـانـ وـمـنـ حـضـرـ منـ أـهـلـهـ أـهـلـهـ غـيرـهـ فـأـمـرـهـ وـنـهـاـمـ فـلـمـ يـسـمـعـواـ مـنـهـ فـيـتـعـيـنـ عـلـيـهـ أـنـ لـاـ يـحـضـرـ مـادـامـ ذلكـ مـوـجـوـدـ لـاـنـهـ مـنـكـرـ بـيـنـ وـتـغـيـرـهـ وـاجـبـ مـتـعـيـنـ فـاـذـاـ لـمـ يـسـمـعـ ذلكـ فـأـقـلـ مـاـيـلـهـ فـيـ خـاصـةـ نـفـسـهـ عـدـمـ حـضـورـهـ لـاـنـهـ أـقـلـ مـرـاتـبـ الـإـنـكـارـ لـمـاـ وـرـدـعـنـهـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـاـمـ (مـنـ لـمـ يـرـزـلـ المـنـكـرـ فـاـيـرـزـلـ عـنـهـ)ـ لـكـنـهـ اـنـ كـانـ قـدـوةـ فـيـتـعـيـنـ عـلـيـهـ أـنـ يـخـبـرـهـ بـأـنـ الـمـانـعـ مـنـ حـضـورـهـ مـاـقـعـوـاـفـيـهـ مـنـ الـمـخـالـفـةـ وـلـيـحـذـرـ أـنـ يـقـعـ بـحـضـرـهـ مـاـيـفـعـلـهـ بـعـضـ النـاسـ فـيـ هـذـاـ الزـمـانـ مـنـ اـخـتـلاـطـ النـسـاءـ بـالـرـجـالـ وـكـشـفـ وـجـوهـهـ وـتـسوـيدـهـاـ وـتـسوـيدـ بـعـضـ أـجـسـادـهـ وـنـشـرـ الشـعـرـ وـالـدـعـاءـ بـالـوـيـلـ وـالـثـورـ وـهـوـ دـعـوـيـ الجـاهـلـيـةـ وـلـبـاسـ الـأـزـرـقـ وـالـسـوـادـ وـمـاـيـفـعـلـهـ بـعـضـهـنـ مـنـ خـرـقـ قـوـرـ الـقـدـورـ السـوـدـ وـجـعـلـهـاـ فـيـ حـلـوـقـهـ وـسـكـبـ التـرـابـ عـلـىـ الرـفـوسـ وـتـلـطـيخـ الـبـيـوتـ بـالـسـوـادـ وـمـاـيـجـعـلـهـنـ فـيـ الـأـعـنـاقـ مـنـ السـلـاـلـ وـلـوـمـيـكـنـ فـيـهـ مـنـ الـقـبـحـ الـأـ تـفـاؤـلـ بـالـسـلـاـلـ وـالـأـغـلـالـ الـتـيـ توـعـدـ بـهـ أـهـلـ النـارـ .ـ أـسـأـلـ اللهـ السـلـامـ مـنـ ذـلـكـ بـعـنـهـ .ـ وـتـحـفيـتـهـ

للأقدام من أجل ذلك وبعضاً يترك لبس السواد ويعوض عنه البياض وإن كان لبس البياض مباحاً أو مأموراً رابه في بعض الموارد لكن اتخاذها في هذا الموطن على سبيل الاستنان ببدعة . وبعضاً يتركون الصلاة عندهم وتميتهم ولا يرجعون لها إلا بعد مدة تختلف أحواهم فيها فهم من يتركها اليوم واليومين ومنهم من يتركها الشهرين إلى غير ذلك جملة منهم بما يحب عليهم وما يؤمرون به فيحرمهم اللعين ثواب مصايبهم وثواب الصلاة ويوقعهم في الظماء في تركها بعادته الدمية أسأل الله السلامة من ذلك بمنه . وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاثة إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً) والحادي عشر على ما قاله علماً علينا رحمة الله عليهم يتضمن الامتناع من خمس لباس المصبغات كلها لسواد و الحال والكحل والطيب والقام الفتح فإذا كان هذا في حق النساء فما بالك به في حق الرجال . وما أحدثوه أيضاً من المحرمات حضور الطازرات والضرب بها سبباً مع النائحة . وقد قال عليه الصلاة والسلام (كل نائحة في النار إلا نائحة حزنة) وروى أبو داود في سننه عن أبي أبي سعيد عن أم معاذ قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي أخذ علينا أن لأنعصيه فيه أن لأنخمش وجهها ولأندعوا ويلاؤ لأنشق جسراً ولأننشر شعراً وروى البخاري ومسلم وأبو داود والنمساني عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البيعة أن لأنتوح على ميت . وروى النمساني عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعهن أن لا ينبحن فقلن يا رسول إن نساء ساعدننا في الجاهلية أفساعدنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أسعادن في الإسلام . وروى الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن النعي فقال إياكم

والنعي فإنه من عمل المخاهمية قال عبد الله من النعي الأذان على الميت . ثم ان بعضهن يفعن ذلك ليلاً ونهاراً ولو أخذن لأنفسهن راحة وخفضن من أصواتهن حين نعيهن ثم اعتدن مع ذلك عادة جاهلية وهي أن من جاءت لعزى تدخل وهي تدعى بالويل والثبور واللطم على الحدود وتخميش الوجوه وتتقاها النواحي على ما يعبد من فعلهن الذميم ويتكلفن اذ ذاك رفع أصواتهن فإذا وصلن الى أهل الميت قلن الى لفائفهن وفعن معهن كفعلن ويعملن كذلك ساعة ثم كذلك ثم كذلك مع كل من أتى اليهن من النساء للعزية ويقين على ذلك مدة على قدر ما ينقطع معارفهن ويفعن مع ذلك أفعالاً قبيحة شنيعة تنزع الاقلام عن كتبها والألسن عن النطق بها فلا حاجة تدعى الى ذكرها وكلها مصادمة للشريعة المطهرة وهي أكثر من أن تنحصر أو ترجع الى قانون معلوم لأن ذلك يختلف باختلاف عوائد البلاد والاقاليم فليحذر من هذا جهده فإن وقع شيء منه فلا يحضر موضعه كما تقدم فلو قدرنا أنه حضر لكان واحداً منهم أعني في حصول الائم له وإن كان اعتقاده ليس كاعتقادهم أسائل الله السلامة بمنه . فإذا قضى الميت فليشتعل من حضره بحقه وأخذ في اصلاح شأنه . فن ذلك أن يغمض عينيه لثلا تبقى مفتوحتين وذلك شوه . وينبغى له أن يأخذ عصابة أو طرف عماعة أو غيرها و يجعلها تحت ذقنه ويشدها على رأسه لثلا تسترخي ذقنه فيبقى فاه مفتوحاً وذلك شوه وقد ينزل الماء في جوفه حين غسله ثم يخرج بعد تكفينه فيلوثه وقد تدخل الهوام منه لجوفه اذا كان مفتوحاً . ثم يلين مفاصله ويمد يديه مداً وكذلك ركبتيه حين خروج الروح منه وليحذر أن يؤخر ذلك لثلا يتذرع مدتها . ثم يجعل على بطنه حديدة أو سكيناً فإن لم يوجد فطيناً مبلولاً طاهراً لثلا يعلو فؤاده فيخشى أن يتفجر قبل حلوله في قبره . ثم يزيل ماعاليه من الثياب ماعدا القميص . ثم يجعل على شيء مرتفع كدكة ونحوها

لثلا يتسرع اليه الهوام والتغير ويسمى بثوب . ثم يأخذ في تجهيزه على الفور لأن من اكرام الميت الاستعجال بدفعه وهو راته اللهم الا أن يكون موته بخأة أو بصعق أو غرق أو سببة أو ما أشبه ذلك فلا يستعجل عليه ويميل حتى يتحقق موته ولو أدق عليه اليومان والثلاثة مالم يظهر تغيره فيحصل التيقن بموته لثلا يدفن حيا فيحتاط له . وقد وقع ذلك لكثير فيتحفظ من هذا . وإذا فعل بد ما تقدم ذكره من تلذين مفاصله وغيرها فليكن ذلك بتؤدة . وقار لأن حرمة الميت حكمة الحى . ويسمى الله عز وجل عند الأخذ في ذلك فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليحذر من هذه البدعة التي أحدها بعضهم وهي أن الميت اذا مات أوددوا عنه تلك الليلة شمعة حتى يصبح بذلك بدعة وسرف ومن لم يكن منهم له قدرة على الشمع أوددوا سراجا عليه حتى يصبح ويسر قبل غسله ما يحتاج اليه من الكفن والحنوط ويبخر الكفن ثلاثة أو خمسا أو سبعا . ثم بعد ذلك يأخذ في غسله فيشد على وسط الميت مترارا غليظا ثم يغطيه بن القميص وبعد ذلك يغسله وهذا مذهب مالك رحمه الله ومذهب الشافعى رحمه الله أن يغسل في قيس ولا يغرى واستدل على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم غسل في قيسه بعد أن كانوا أرادوا أن يعروه كما يفعلون بموتاهم فسمعوا الهاتف يقول غسلوه في القميص واستدل مالك رحمه الله ومن وافقه على تعرية الميت من القميص لأنهم أرادوا أن يغسلوه عليه الصلاة والسلام متجردا من القميص كما يفعلون بموتاهم حتى سمعوا الهاتف فتركوه فدل ذلك على أنه خاص به عليه الصلاة والسلام دون غيره والآن تعرية الميت أبلغ في تنظيفه . وينبغي أن يجعل على عورته خرقه غليظة فوق المترز حتى لا توصف العورة . وينبغي أن لا يحضره أحد اذ ذلك الا الغاسل وحده اللهم الا أن يكون الغاسل يحتاج الى من يعينه فيجوز ذلك على سبيل الضرورة

والضرورة لها أحكام . وينبغي أن يكون الغاسل ومن يعينه من أهل الديانة والأمانة لأن المحل مضطر إلى ذلك لأن الميت قد يتغير حاله وهو الغالب فإذا ، آه أحد فقد يخيل إليه أن ذلك من شقاوته . وينبغي له أنه ان رأى خيرا فان شاء ذكره وان شاء تركه وان رأى غير ذلك سكت عنه ولا يوح به لأحد . وغسل الميت من أحد الأركان الأربع التي تجب على الحى في حق الميت المسلم وذلك أن من حق المسلم على أخيه المسلم أربعاً غسله وتكفينه والصلوة عليه ودفنه والغسل أولها وكيفيته ككيفية غسل الجنابة سواء إلا أن غسل الجنابة يتولاه الحى بنفسه غالباً وهذا يغسله غيره وقد تقدم في غسل الجنابة فرائضها وسنتها وفضائلها فكذلك هنا سواء . فأول ما يبدأ بغسل النجاسة عنه فيباشر محل النجاست بخرقة غليظة وإن كانت من الصوف فهو أبلغ في التنظيف فيترك بها الموضع ومن يعينه يسبح عليه الماء ثم يغسل الخرقه غسلاً جيداً حتى تطهر ثم يعيد غسل المحل وهو يعرك بها حتى يرى أنه قد طهر وتنظر في بدنها فهـما شـعـرـ بـنـجـاسـةـ في أي موضع كانت منه غسلـاـ عنـهـ والـبـخـورـ اـذـاكـ حـاضـرـ يـخـرـ بـهـ لـثـلـاثـشـ منـهـ رـائـحةـ كـرـيـهـ وـالـمـيـتـ يـكـرـهـ أـنـ يـشـمـ ذـلـكـ مـنـهـ كـاـيـكـرـهـ ذـلـكـ مـنـ الـحـىـ ثـمـ يـقـعـدـهـ وـيـعـصـرـ بـطـنـهـ عـصـرـ آـرـفـيـقاـ وـمـنـ يـعـيـنـهـ يـصـبـ عـلـيـهـ المـاءـ حـينـ يـفـعـلـ كـذـلـكـ وـيـزـادـ فـيـ الـبـخـورـ فـهـذـاـ الـوقـتـ أـكـثـرـ مـاـ قـبـلـهـ حـتـىـ إـذـ رـأـىـ آـهـ قـدـ أـنـقـىـ جـسـدـهـ أـفـاضـ عـلـيـهـ المـاءـ وـأـعـادـ غـسـلـ الـمـحلـ مـنـ الـنـجـاسـةـ بـخـرقـةـ أـخـرىـ أـوـ بـهـاـ بـعـدـ غـسـلـهـ وـتـطـهـيرـهـاـ وـتـنـظـيفـهـاـ . وـقـدـ اـخـتـلـفـ عـلـىـوـنـاـ رـحـمـةـ اللـهـ عـلـيـهـمـ فـيـهـ إـذـ كـانـ عـلـىـ الـمـحلـ نـجـاسـةـ لـأـيمـكـنـ زـوـالـهـ الـإـبـاشـرـتـهـ بـالـيـدـ هـلـ يـاـشـرـهـ يـدـهـ لـالـضـرـورةـ أـوـ يـتـرـهـ كـاـلـوـ كـاـلـ حـيـاـ وـلـأـيمـكـنـهـ أـنـ يـزـيلـهـ بـنـفـسـهـ فـاـنـهـ يـصـلـيـهـ فـكـذـلـكـ الـحـكـمـ فـيـ الـمـيـتـ وـهـذـاـ عـلـىـ مـذـهـبـ مـالـكـ رـحـمـهـ اللـهـ . وـلـيـحـذـرـ مـاـ يـفـعـلـهـ كـثـيرـ مـنـهـ مـنـ

حلق عانة الميت لأنهم يكشفون العورة لحاقها فيشاهدها من يزيلها ومن يعينه في غسله وبعض الحاضرين لأنه قد جرت عادة بعضهم في هذا الزمان أن الميت إذا غسل يحضر غسله أقاربه وأصحابه وذلك خلاف السنة لossil من اطلاعهم على عورته وإن كان قد أجاز بعض العلماء حلق عانته لكن ذلك بشرط أن لا يطلع على ذلك إلا من يفعل ذلك به واطلاع غيره محرم . وقد تقدم الخلاف في النجاسة إذا كانت على المخل ولم يمكن إزالتها إلا باليد فما بالك بازالة شيءٍ مستغنى عنه . الاترى أنه لو كان حياله يجب عليه إزالتها ولا يجوز له كشف عورته لم يزيل ذلك عنه وبعد الموت من باب أولى أن يمنع . قال علاؤنا رحمة الله عليهم ولابحة من أجاز ذلك مستدلاً بقوله عليه الصلاة والسلام (افعلوا بما تاكم ماتفعلاً بعروسكم) أو كما قال عليه الصلاة والسلام لأن هذا الفعل إنما يتولاه العروس بنفسه ولا يجوز له أن يأذن لنغيره في ذلك وكذلك لا يجوز للبأذون له أن يفعله به . وهذا النوع قد دعمت به البلوى في هذا الزمان في الاحياء فضلاً عن الموق فتجد بعض الناس يدخلون إلى الحمام فيأمرون البلان أن يحلق لهم عانتهم فيكشف عليهم من لا يجوز له الاطلاع على ذلك وليته لو كان وحده وإن كان محرماً لكن يطأط على ذلك جماعة من في الحمام فانا الله وانا إليه راجعون فإذا رأى أنه قد ظهر من النجاسة فليأخذ رأس الميت فيحوله إلى ناحية اليمين وينخرجه عن الدكّة قليلاً ويجعل فيه وأنفه إلى جهة الأرض ويعصر أنفه برفق فان كان هناك فضلة خرجت . فإذا فرغ من ذلك ردرأسه كما كان ثم يفيض الماء عليه وعلى الدكّة حتى يرى أنه قد توقف ذلك كله وظهر ثم يزيل ماعلى الميت من المزرة ثم يستره بغierre أو به بعد غسله ويتحفظ على عورته ثلاثة تكشف عند محاولة ذلك . فإذا فرغ فحيثذا يأخذ في الغسلة الأولى وهي الواجبة فيبدأ بأعضاء الوضوء فيغسلها ويمضمض في برفق بعد أن يحول رأسه

كما تقدم حتى يفرغ من مضمضته واستنشاقه لثلا ينزل الماء على جوفه ثم يخرج بعد الفراغ من غسله ويسوّكه بخربة من صوف أو ما يقاربه . فإذا فرغ من ذلك رده إلى الدكّة كما تقدم . فإذا فرغ من غسل أعضاءه وضوئه أفضى الماء على رأسه بعد تخليل شعره فيغسل رأسه يده ثم الأيمن والأعلى فالآخر على جسده ويقبله في أثناء الغسل يميناً ويساراً وظهراً وبطناً حتى يرى أنه قد عمد بالغسل فهذه غسلة واحدة وهي الفرض الذي لا يجوز دفن الميت مع القدرة عليها الإبها . ثم بعد ذلك يأخذ في تنظيفه من الأوساخ بالماء والسدر كما ينظف الحى سواء بسواء . فإذا فرغ من هذه الغسلة الثانية أخذ شيئاً من الكافور بفعله في آناء فيه ماء ويزدّيه فيه ثم يغسل الميت به كما تقدم وصفه بعد تنظيف الميت والمائز والدكّة من أثر السدر . وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها أكثرهم وهو أنه إذا جاء إلى غسله بالماء والكافور أزال ما كان عليه من السترة الكثيفة وألق عليه خربة لطيفة من سخنانة ونحوها ثم يفيض عليها الماء فتبقي العورة كأنها مكشوفة إذا ابتلت الخربة بالماء وذلك حرم بل يستره بمثل الخربة الكثيفة التي كانت عليه أو بها بعد تنظيفها وهو مع ذلك يتحفظ من كشف العورة عند المحاولة ويفض طرفه مما استطاع جهده مع التوفيق بغسله . وليحذر من هذه البدعة الأخرى التي يفعلها أكثرهم وهو أنه إذا غسل الميت يجعله بين رجليه وهو واقف على الدكّة وذلك مكره بل يكون الغاسل واقفاً بالأرض ويقبله عند غسله له . وليحذر من هذه البدعة الأخرى التي يفعلها أكثرهم وهو أن الغاسل إذا بدأ في غسله أخذ يذكر لكل عضو يغسله ذكرًا من الأذكار وقد تقدم أن ذكر الله تعالى حسن سراً وعلناً لكن في الموضع المأمور به فيها وهذا محل تفكير واعتبار وخشية فيشتغل به عن غيره من العبادات ذكرًا كان أو غيره وهو عمل السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين وغيره بدعة . فإذا

فرغ من هذه الغسلة الثالثة فقدمت غسله على الكمال ثم يتفقد فه وأنفه من الماء لاحتمال أن يكون دخل في جوفه شيء منه فيميل رأسه خارجا عن الدكّة فان كان دخل فيما شيء خرج ثم يعيده الى الدكّة ثم ينظف مانحة أظفاره بعود أو غيره ولا يقلها وتقليمها على مذهب مالك بدعة من فعله اذ أنه لم يكن من فعل السلف . ثم يسرح لحيته بمشرط واسع الأسنان . وكذلك يفعل برأسه ويترفق في ذلك فان خرج في المشط شعر جمعه وألقاد في الكفن يدفن معه . ثم يأخذ قوطة أو غيرها فينشف بها جميع بدن الميت فإذا فرغ منه نشف بها الدكّة حتى لا يبتل بها ما يجعل على الميت من قيس وغيره . ثم يأخذ في تجهيزه . فأول شيء يفعله أن يأخذ قطنة ويجعل عليها شيئاً من الكافور أو غيره من الطيب والكافور أحسن لأنه يردع المواد فيجعلها على فه . ثم يأخذ قطنة أخرى فيفعل فيها ما تقدم ويسد بها أنفه ثم أخرى من الناحية الأخرى ويرسلها في أنفه قليلا . ثم يأخذ خرقة فيشدّها على الفم والأنف ثم يعقدها من خلف عنقه عقداً وثيقاً تبقى كما أنها اللثام ثم يجعل على عينيه وأذنيه خرقة ثانية بعد وضع القطن مع الكافور على عينيه وأذنيه ويعقدها عقداً جيداً فتصير كالعصابة . ثم يأخذ خرقة ثالثة فيشد بها وسطه ثم يأخذ خرقة رابعة فيعقدّها على هذه الخرقة المشدود بها وسطه أو يخيطها فيها ثم يلحمها بها بعد أن يأخذ قطنة ويجعل عليها شيئاً من الطيب والكافور وهو أحسن لأنه يشد العضو ويسده ويجعلها على باب الدبر ويرسل ذلك قليلاً برقق ويزيد للرأة في القبلقطنة أخرى وي فعل فيه كاما تقدم في الدبر سواء بسواء ثم يلحمه عليه بالخرقة المذكورة ثم يربطها بربطاً وثيقاً . وللحذر من هذه البدعة بل الحرم الذي يفعله بعضهم في هذا الزمان وهو أنهم يحرقون حرمة الميت ويرسلون في دربهقطنا وكذلك في حلقه وأنفه وقد تقدم ما في ذلك من مخالفة السنة وآخر حرم الميت . ثم يأخذ في تکفینه فيشد على وسطه هنزا

أو يلبسه سراويل وهو أسترله . ثم يلبسه القميص . قال مالك رحمة الله والذى عليه العمل أن الميت يقمص ويعمم . ثم يعممه ويجعل له من العامة ذوابة وتحنيكا كا هي العامة الشرعية في حق الحى لكن الفرق بينما الميت يرخي التحنين بخلاف الميت فإنه يشد ذلك عليه ويستوثق في عقده ثلا يسترخي ذقه وينفتح فيه وقد يخرج منه شيء يلوث الكفن ثم يعممه يماق العامة ويشد لها شدا وثيقا بخلاف عمامة الميت ثم يبسط الذوابة على وجهه فيستر وجهه بها وكذلك يفعل بما يفضل من المنعة في حق المرأة يستر بها وجهها . ثم ينقله إلى موضع الكفن فيجعله عليه ويختنه . ومواضع الخنوط خمس . أحدها أن يجعل على ظاهر جسد الميت . الثاني أن يجعل فيما بين أكفانه ولا يجعل على ظاهر الكفن . الثالث أن يجعل على المساجد السبعة وهي الجبهة والألف والكفان مع الأصابع والركبتان وأطراف أصابع الرجلين . الرابع أن يجعل على منافذ الوجه السبعة المتقدم ذكرها . الخامس أن يجعل على الأرفاع وهي مغابن الجسد خلف أذنيه وتحت حلقه وتحت ابطيه وفي سرته وما بين خذلاته وأسفل ركبتيه وقعر قدميه وذلك بحسب ما يكون معه من الطيب فأن قبل عن استيعاب ذلك فليقتصر على الأرفاع والمساجد السبعة المتقدم ذكرها . والمستحب أن يكفن في وتر . ثم يأخذ طرف أحد كيه فيربطه بطرف الكم الآخر بطا وثيقا . ثم يأخذ خرقه طويلة فيربطها موضع ربط الكمين ثم يمدها إلى إبهامى رجليه فيربطها فيما يربطها جيدا وثيقا ثلاثة تحرك أطرافه وتتفرق فإذا فعل به ذلك أمن من حركتها . وهذه الصفة المذكورة إنما هي إذا ألبس الميت القميص . وأما إذا أدرج فلا حاجة تدعى إلى فعل ذلك لعدم حركة أطرافه . فإذا جاء إلى لحنه أزال الرباط عنه . وليحذر من هذه البدعة التي اعتادها أكثرهم في هذا الزمان وهو أنهم يأخذون القطن الكبير فيجعلونه على وجه الميت حتى يعلو ثم يجعلون القطن على ركبتيه وتحت حنكه

وتحت رقبته حتى تصير رأسه وكتفاه بالسواء ثم يجعلون القطن كذلك عند ساقيه من ه هنا ومن ه هنا حتى يصير بطنه ورأسه ورجلاه بالسواء . وهذا الفعل قد جمع بين محظيين وبدعة . فالمحرم الاول اضاعة المال في كثرة القطن لغير ضرورة شرعية . والمحرم الثاني أخذ ثمن القطن من مال الورثة لأن الميت ليس له من تركته الاقدر ضرورة الشرعية والزيادة على ذلك غصب لحق الوارث سببا اذا كان صغيرا ولو فرض ورضى الورثة لمنع من ذلك لأنه من باب اضاعة المال والاعنة على البدعة . وأما البدعة فلكونهم اعتادوا أن يخرجوا في كفنه بالسواء عند الناظر له كما تقدم وهذا من محدثات الامور والميت يتأنى ما يتأنى منه الحى فلو جعل شيئاً من القطن على وجه الحى لكان فيه شوه وخرق لحرمة ولا يرضى بذلك فلذلك يمنع في حق الميت لما تقدم أن حرمة الميت المسلم حرمته في حال حياته . وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كسر عظم الميت ككسره وهو حي) أو كما قال عليه الصلاة والسلام . وذلك عام في العظم وغيره قل أو كثرف كل مالا يليق به في حال حياته لا يفعل به بعد ما تأذن الشرع فيه وما لم يأذن الشرع فيه فيمنع على كل حال . والسنن في ادراج الميت في كفنه أن يكون فيه بحث يعرف رأسه وكتفاه ورجلاه كما يعلم بذلك منه في حال الحياة وهو في ثيابه وهذا عندهم في هذا الزمان عيب عظيم حتى يقول بعضهم أن من غسل الميت وكفنه على هذه الصفة لا يعرف شيئاً وما ذلك إلا ما أنس به كثير من يصل الموق من ارتكاب مالا ينبغي من البدع وغيرها في ذلك بسبب العوائد الرديئة وقلة العلم وهذا وما شاكله من محدثات الامور . وهذا هو عين ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال (كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنّة) وهما هذان الله وانا اليه راجعون . واذا كان

ذلك كذلك فينبغي أن يختبء المرء من اتصف بفعل شيء ما تقدم ذكره من عوائدهم الرديئة ولم يزل السلف الصالح رضوان الله عليهم يوصون بمن يحضرهم عند الموت ومن يغسلهم ومن يصلى عليهم ومن يلحدهم من أهل الخير والصلاح هذا وهم كما قيل عيون في العيون فإذا كان هذا حالهم في زمانهم على هذا الأسلوب قال بالله بهذا الزمان فلينظر الإنسان لنفسه لعل أن يقع له الخلاص من هذه العوائد الرديئة . ثم إن المخالفة هنا صعبة لأنه لو قدرنا أن الغاسل تاب إلى الله تعالى ورجع عن عوائده الرديئة لتعذر ذلك عليه في الدنيا لعدم من يتخلله منه . وإذا كان كذلك كذلك فينبغي للمرء أن ينظر لنفسه قبل موته لأنه ليس أحد ينظر له في هذا الزمان في الغالب إلا بما تقدم ذكره من تلك العوائد المخالفة للسنة المطهرة فيتعين على الإنسان أن يكون من آكد وصيته وأن يوصي بمن تقدم ذكره من يحضر موته أو من يغسله ومن يصلى عليه ومن يلحده لأنه متعدر في هذا الزمان غالباً إذ أن الغالب من بعض الفقهاء أنهم يعرفون الأحكام ولا يعرفون كيفية المباشرة بذلك وبعضهم يهاب الموت فلا يتولى غسله ولا تجهيزه وكذلك من ينسب إلى الصالح غالباً قبل أن يعرف مباشرة ذلك ففي الأمر كذلك عزيزاً لقلة وجود من يعرف بذلك فقاها وعملاً . وإذا كان كذلك كذلك فيتعين على الإنسان أن يعين من يختاره من أهل الدين ويلقي إليه ما يحتاج إليه من الأحكام المحتاج إليها في ذلك كله في حال حياته أن أمكنه ذلك والا فيوصي به إلى شخص يقوم بذلك عارف بالأحكام يحضر حين غسله ويأمر بالسنة في ذلك وينهى عن ضدها من العوائد الرديئة ويشي على الأسلوب الموصوف من أحوال السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين . وإذا كان كذلك كذلك فينبغي أن لا يغسله ولا يكفنه إلا من يرجي بركته وخирه لأن الموت آخر عهده من الدنيا هذا الموطن فينبغي أن يختبأ بالوسائل الشرعية التي يحصل للميت بسيئها

النفع حالاً وآلاً . وما زال السلف رضوان الله عليهم يوصون بما تقدم ذكره لاعتئاتهم به . وحكي في ذلك حكايات كثيرة تدل على أن الميت غفر له ببركة من تولى ما تقدم ذكره . فمن ذلك ما حكى الشيخ الإمام السهروردي رحمه الله في كتاب العوارف له أن رجلاً من لا يرضى حاله مات فسئل بعض الأكابر «سباء» أن يصل إلى العارف له أن رجلاً من لا يرضى حاله مات فسئل بعض الأكابر «سباء» أن يصل إلى الله بك قال غفرلي قيل له بماذا قال باعراض فلان عن حيـث ترك الصلاة على قال الإمام السهروردي رحمه الله فهو إله أقبـلهم رحمة واعتراضـهم رحمة . لا ترى أنه لما أن ترك الصلاة عليه رحـم لأجل أنه مـيت وامثلـت السنـة في حقـه فـرحم لـامتـثالـ السنـة فيـه . واذا كان ذلك كذلك فـيتـعـين التـحفـظ عـلـي اـمـتـالـ السنـة فيـ هـذـاـ المـوـطـنـ وـانـ كانـ صـاحـبـهـ مـعـرـضاـ فيـ طـولـ عمرـهـ لأنـ الحـتـامـ اذاـ كانـ حـسـنـ الـعـلـمـ يـحـسـنـ الجـيـعـ . نـسـأـلـ اللهـ المـوـتـ عـلـيـ الـاسـلـامـ بـمـنـهـ وـكـرـمـهـ آنـ قـرـيبـ مجـيبـ . وـقـدـ سـمعـتـ سـيـدىـ أـبـىـ مـحـمـدـ رـحـمـهـ اللهـ يـقـولـ آنـ كـانـ عـنـهـ كـيـلـادـ الـانـدـلـسـ اـمـرـأـ مـسـرـفـةـ عـلـىـ نـفـسـهـ فـاتـتـ عـلـىـ شـرـ حـالـ فـرـآـهـ بـعـضـ الصـالـحـينـ فـيـ النـوـمـ وـهـيـ فـيـ حـالـةـ حـسـنـةـ قـفـالـ لـهـاـ أـنـتـ فـلـانـةـ قـالـتـ نـعـمـ فـقـالـ كـيـفـ حـالـكـ فـقـالـتـ غـفـرـلـيـ فـقـالـ لـهـ بـمـاـذاـ وـقـدـ كـنـتـ وـكـنـتـ فـقـالـتـ لـهـ أـنـ أـخـرـجـ بـجـنـازـتـيـ مـرـبـهاـ عـلـىـ رـجـلـ خـيـاطـ وـفـيـ كـمـهـ ثـوـبـ لـسـيـدىـ فـلـانـ فـصـلـيـ عـلـىـ فـغـفـرـلـيـ كـرـامـةـ لـذـكـرـ الثـوـبـ . وـقـدـ حدـثـيـ بـعـضـ أـوـلـادـ سـيـدىـ أـبـىـ مـحـمـدـ الـمـرجـانـيـ رـحـمـهـ اللهـ آنـ وـالـدـتـهـ أـتـتـ إـلـيـ فـأـخـبـرـتـهـ آنـ أـمـهـاـ قـدـ تـوـفـيـتـ وـطـلـبـتـ مـنـهـ قـيـصـاـ تـكـفـنـهـ فـيـ فـاعـطـاهـاـ فـلـماـ آنـ كـانـ مـنـ الدـ ثـوـبـ الـمـرجـانـيـ عـلـيـهـاـ فـلـمـ يـتـعـرـضاـ لـهـاـ وـكـنـتـ أـعـهـدـ بـمـدـيـنـةـ فـاسـ أـنـ الـغـسـالـيـنـ لـمـوـتـيـ عـلـىـ قـسـمـيـنـ قـسـمـ مـنـ أـهـلـ الـخـيـرـ وـالـصـلـاحـ فـاـذـاـ مـاتـ أـحـدـ مـنـ يـرـتـضـيـ دـيـنـهـ غـسلـهـ هـذـاـ قـسـمـ مـنـ غـيرـ أـجـرـةـ وـلـاـ عـوـضـ بـلـ لـابـتـغـاءـ الـثـوـبـ وـالـقـسـمـ الثـانـيـ يـغـسلـونـ

بالأجرة وهم عامة الناس . وينبغي لمن يغسل الميت أن يغسل بعد أن يفرغ من غسله لانه اذا وطن نفسه على الغسل بالغ في غسل الميت وتنظيفه وأكثر الناس في هذا الزمان لا يغسلون فيدعون ذلك تحفظا على أنفسهم فإذا تحفظوا فقد ي Powell ذلك إلى الاخلال بشيء من تنظيف الميت أو ترك شيء من المأمور به فيه والله الموفق . وليحذر من هذه البدعة التي تجر إلى الحرج وهو ما اعتقد أكثراً في هذا الزمان وهو أن ما كان على الميت يأخذ الغاسل الذي يغسله فهذه بذلة جرت إلى الحرج وذلك أن أهل الميت إذا علوا بأن الغاسل يأخذ ماعلى ميتهم لم يتركوا عليه شيئاً إلا مالا بد منه وقد يترك بعضهم موصوف العورة . وقد مات بعض المباركين من المعارض فدخلت عليه وهو يغسل وعلى عورته خرق من عمامة شيخانية ملبوبة وقد ابتلت بما فيقيت العورة موصوفة فأنكرت عليهم وأمرتهم بسترها فقال الغاسل هذا الذي وجدناه ليس عندم غيره فأخذت فوطة جديدة كانت على اذ ذاك ودفعتها لهم ليستروه بها فلما رأى أخو الميت ذلك أسرع بفداء بفوتين غليظتين جياد فستره واحدا هما وعملوا الأخرى من فوقها كما تقدم ذكره قبل فانظر إلى هذه البدعة كيف تجر إلى الحرجات فعلى هذا ينبغي بل يتبع تعين أجرة الغاسل وأن يشترط عليه أن لا يأخذ شيئاً مما يجده على الميت كائناً ما كان فتنسد هذه الثلثة التي وقع بسببها كشف العورة لغير ضرورة شرعية وقد تقدم المنع من كشف العورة لخلق العانة والنجاست إذا كانت على المحل ولا يمكن زوالها إلا بباشرتها باليد فمن باب أولى وأخرى أن يمنع هذا . وللحذر من هذه البدعة التي اعتادها أكثراً وهي أنه إذا مات لهم ميت نادوا عليه وقد روى الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال لما احتضر إذا أنا مت فلا تؤذنوا بي أحدا فاني أخاف أن يكون نعيانا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي فإذا مت فصلوا على فسلوني إلى ربى سلا . لكن قد تسامح

علماً ونا رضى الله عنهم في الاعلام بذلك بأن يقف الرجل على باب المسجد عند انصراف الناس من الصلاة فيقول أخوكم فلان قد مات بصوت يجهر به على سنة الجهر لاعلي ما يعهد من زعقات المؤذنين وعوائدهم فان ذلك من النهي المنهى عنه وما تقدم من النداء على الغائب فهو محمول على ما ذكر هنا من أنه يقف على باب المسجد ويجهر بصوته كما ذكر . وأما على ما اعتقد المؤذنون من زعقاتهم فيمنع والله الموفق . ثم يربط الكفن من عند رأسه ومن عند رجليه ربطة وثيقا . ثم يأخذ في نقله واخراجه من البيت الى النعش وذلك كله برفق وحسن سمت وقار . وليحذر عند ذلك ما يفعله أكثر الناس وهو أنهم عند اخراج الميت يقيمون الصيحة العظيمة نساء ورجالا وقد يختلطون وهو الغالب ويسمون ذلك وداعا للبيت وقياما بمحقه وذلك كذب منهم وافتراض مخالفتهم في ذلك السنة المطهرة والغالب أن يكون مع ذلك لطم الخدود وما شاكله مما تقدم منه في الشرع الشريف فليحذر من هذا جهده ولا يمنع أحد من البكاء الجائز في الشرع مالم يكن معه رفع صوت أولطم أوشي من العوائد الرديئة المعهودة عندم الممنوعة شرعا والتضرير عن البكاء أجمل لمن استطاع . وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها أكثرهم وهو أن الغاسل اذا دخل ليغسل الميت يقيمون اذاك الصيحة العظيمة ويفعلون نحو ما تقدم من أفعالهم المذكورة قبل بل يزيد النساء على ذلك فعلا قبيحا وهو أن الغاسلة اذا دخلت لغسل الميت قام النساء اليها بالشتم والضرب وهي على علم من ذلك بالعادة فتأخذ حذره وتتخجاً منها ويقلن لها يا ووجه الشوم فتقول هي هن جوابا انت رأيت الشوم عندك الى غير ذلك من الالفاظ الرديئة ثم بعد حين يمكنها من تفسيل الميت بعد أن تعظهن وتذكريهن بأن هذا قضا الله تعالى وقدره وهذا كله مخالف للشريعة المطهرة فليحذر منه وبالله التوفيق . وكذلك يحذر مما

يفعله بعضهم وهو أنهم إذا أخذوا في غسل الميت وقد تقدم أن الموضع موضع اعتبار ورجوع وسكون يفعلون بذلك ضد المراد ويكترون اللعنة مع الغاسل والمالين لأن في ذلك الوقت يقع الاتفاق على أجراة الغسل والمشاحة فيها وتقع ضجة عظيمة بذلك وهو ضد ما أمروا به من التذكرة والاعتبار كا تقدم فيحتاج وكيل الميت أن يحتاط له بما يقطع مادة هذه الأشياء الممنوعة في الشرع الشريف بأن يتفق مع الغاسل والمالين قبل الاتيان بهم على شيء معلوم لازماع بينهم فيه بعد ذلك حتى يسلم من الواقع فيما تقدم ذكره . وقد كان السلف رضوان الله عليهم ليس لهم غاسل ولا حمال بأجرة بل كانوا يفسلون بعضهم ببعض أو يحمل بعضهم ببعض ويترحمون على العرش ابتغاء الثواب فيحملونه بالنوبة والعمل عليه إلى اليوم يبلاد الحجاز غالباً فن قدر على هذا فيها ونعمت ومن عجز عنه فيزيل ما يتوقع مما تقدم ذكره بالاتفاق على شيء معلوم . وكذلك يحذر مما يفعله أكثرهم في هذا الزمان وهو أن الغاسل أو الغاسلة إذا فرغا من غسل الميت وتكلفه يأتون به إلى حضرة الرجال إن كان رجالاً أو إلى النساء إن كانت امرأة حتى يأخذوا شيئاً من حطام الدنيا من الحاضرين وذلك بدعة ومخالفة للسنة المطهرة لأن من السنة اكرام الميت بتعجيل دفنه . وقد روى الأئمة السادة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اسرعوا بجنازكم فإن تلك صالحة شفاعة تقدمونها إليه وإن تلك سوى ذلك فلن تضرونه عن رقبكم) وهو لام يتركونه بعد تجهيزه لغير ضرورة شرعية بل للبدعة والرغبة في حطام الدنيا وذلك منهم فعل قبيح شنيع فليحذر من هذا بما تقدم ذكره من الاتفاق على شيء معلوم ليربده ما أحدثوه من البدعة والله المسئول في الصفح والتجاوز . ولتحذر من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهو أن الماء الذي يغسل به الميت يجتمع تحت دكة الغسل فيملون ترا باحولها

ليرد الماء أن يسيل من نواحيها الأربع فإذا فرغوا من الغسل رفعوا الدكّة وزرحو من الماء ما مكثهم ثم يخلطون ما بقي منه بذلك التراب ثم يحملونه ويرمونه خارج البيت فتنجس أيديهم وأجسادهم وثيابهم ثم بعد ذلك يأخذون الميت ويحملونه حتى يخرجوه من البيت ويضعونه على النعش من غير أن يغسلوا مأصابهم من الماء النجس فينجسون الكفن ونحن قد أمرنا بطهارته وهذا عكس الحال فليحذر من هذا جهده. فإذا أخذوا في آخر أيام النعش فليحذر من هذه البدعة الأخرى التي يفعلها أكثرهم وهي حضور شخص يسمونه بالمدير فيزكي الميت على الله تعالى بمثل قوله السعيد الشهيد القاضي الصدر الرئيس الصالح العابد الخاشع الورع لكتف الفقر والمساكين وللمرأة السعيدة الشهيدة إلى غير ذلك من ألفاظهم المعهودة. عندهم المنفي عنها في الشرع الشريف التي جمعت بين التركة والكذب الصراح والمحل محل صدق واخلاص ورجوع إلى المولى سبحانه وتعالى فقايلوه بضد المراد منهم والميت في هذا الوقت مضطر إلى الدعاء له واظهار فقره ومسكته واضطراوه واحتياجه إلى رحمة رب سبحانه وتعالى وهم يأخذون فينقض ذلك كله فإن الله وانا إليه راجعون. ثم ان المدير لم يكتف بالتزكية للبيت والكذب في حقه حتى فعل ذلك في حق غيره من الأحياء بنحو قوله ليتقدم سيدنا القاضي الصدر الرئيس وما أشبه ذلك من التزكية المنفي عنها في الشرع ثم بعد ذلك يقول فلان الدين ينعته بغير اسمه الشرعي وقد تقدم ما في النعوت من المنع وتعظيمه لكل واحد منهم على قدر ما يرجوه منه في الحال أولى المآل وقد تقدم أن المحل محل تواضع ورجوع وتوبيه وما يفعلونه من حضور المدير وما يرضون به من أفعاله وأقول الله كل ذلك نقيض وعكس حال السلف رضي الله عنهم في هذا المحل. ولتحذر من هذه البدعة التي يفعلها أكثرهم وذلك أن من مات له ميت بموضع وكان يقر به مسجد فإذا أتي الناس جلسوا

في ذلك المسجد ينتظرون خروج الجنائز والمسجد أنها بني للصلوة وما أشربها لا للجلوس فيه لاتضليل الموقى فينزع المسجد عن الجلوس فيه لغير مأني له وبعضهم يدخل ولا يصلى التحية . وقد قال الله في كتابه العزيز (في بيوت أذن الله أن ترفع ويدرك فيها اسمه) قال علماً نارحمة الله عليهم في معناه أنها تغلق ولا تفتح إلا أوقات الصلاة ويدخل في ذلك كل من أراد الصلاة فيه أو اتظرارها في أي وقت كان . وليجذر ما يفعله أكثرهم من حضور القراءة في ذلك ويبيط لهم حصير على الطريق أو بساط أو هما معاً فيجلسون عليها ويقرؤن القرآن وفي ذلك من مخالفة الشرع الشريف أشياء . فنها أن القرآن ينزعه عن أن يقرأ في الطرق وفي الأسواق في مواضع النجاسات إذ الغالب على الطرق ما هو معلوم من كثرة بول الدواب وغيرها ومن لا يتحفظ من بني آدم والقرآن ينزعه عن ذلك . ومنها أن الطرق محل للرور فيها للجلوس . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على الطرقات فلن جلس فيها الغير ضرورة شرعية فهو غاصب لذلك الموضع في وقه ذلك ومن غصب شيئاً من أرض طوفه يوم القيمة إلى سبع أرضين وهو غاصبون للموضع التي جلسوا فيها للقراءة في وقتهم ذلك حتى ينصرفوا . ومنها ما يفعله القراء في قراءتهم من شبه المهنوك والترجيعات كترجيع الغناء حتى أنك إذا لم تكون حاضراً معهم في موضع وتسمعهم لاتفاق بينهم وبين الأغاني غالباً وهذا مشاهد منهم مرئي من فعلهم وهو من أكبر القبائح لو سلم من المحرم المجمع عليه وهو الزيادة في كتاب الله تعالى والنقصان منه عمداً . وقد تقدم ما في ذلك في أول الكتاب فأغنى عن إعادةه ومنها أنهم يأتون بالقراءة فكان ينبغي أن لو كان ذلك من السنة أن تكون قراءتهم بحضور الميت لأن القرآن إذا قرئ تنزل الرحمة لعل أن تم الميت وتعممهم لكنهم يفعلون ضد ذلك فيتركونهم يقرؤن في الطرق في الله وبالعجب أين

ذهبت العقول لو لم يكن للشرع الشريف في ذلك أمر ولا نهى لكان فعله قبيحا شيئاً فكيف والشرع ينهى عنه . والحاصل من ذلك أنهم تركوا أمر الشرع ودلالة العقل وفعلوا مازين لهم اللعين . وقد نقل الباجي رحمة الله في كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين أن إبليس اللعين يقول العجب لبني آدم يبحون الله ويعصونه ويغضونه ويطيعونني . وليرجع من البدعة الأخرى التي يفعلها أكثرهم وهو أنهم يأتون بجماعة من الناس يسمونهم بالقراء الذين يذكرون أمام الجنازة جماعة على صوت واحد ويتصنعون في ذكرهم ويتكلفون به على طرق مختلفة وكل طائفة لها طريق في الذكر وعادة تختص بها فيقولون هذه طريقة المسلية مثلاً وهذه طريقة كذا وهذه طريقة كذا كما جرت عادتهم في اختلافهم في الأحزاب التي يقرؤنها فيه، لون هذا حزب الزاوية الفلانية وهذا حزب الزاوية الفلانية وهذا حزب الرباط الفلاني وهذا حزب الرباط الفلاني كل واحد لا يشبه الآخر غالباً . ثم العجب منهم كيف يأتون بالقراء للذكر على الجنازة للتبرك بهم وهم عنه بمعزل لأنهم يبدلون لفظ الذكر بكونهم يبحلون موضع الممزة ياً وبعضهم ينقطع نفسه عند آخر قوله لا إله ثم يجد أصحابه قد سبقوه بالإيجاب فيعيد النفي معهم في المرة الثانية وذلك ليس بذكر ويؤدب فاعله ويزجر لقبح ما أتى به من التغيير للذكر الشرعي . وإذا كان ذلك كذلك فأين البركة التي حصلت بحضورهم على أنهم لو أتوا بالذكر على وجه لمنع فعله للحدث في الدين وقد تقدم . وليرجع من هذه البدعة الأخرى التي يفعلها أكثرهم وهي قرية العهد والحدوث وأول من أحدثها وال كان بمصر وهي تكبير المؤذنين مع الجنازة وقد تقدم فيجتمع بسيئهم مع القراء والقراء الذين يذكرون والمرادين ومن يتبعهم في فعلم جم شير فيقي في الجنازة غوغاء وتخليط وتحبيط فأين هذا من امثال الآية الكريمة وهي قوله تعالى (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له

وأنصتوا العلّم ترجمون^١) وقد تقدم ما في زعقات الجميع بما لا ينفع . ويزيد بعضهم زعقات النساء من خلفهم وكشف الوجه واللطم على الخدود وما أشبه ذلك على ما هو مشاهد معلوم منهم . وهذا واما شاكله عندما كانت عليه جنائز السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين لأن جنائزهم كانت على التزام الأدب والسكون والخشوع والتضرع حتى ان صاحب المصيبة كان لا يعرف من بينهم لكثرة حزن الجميع وما أخذهم من القلق والازعاج بسبب الفكرة فما يفهم اليه صائرؤن عليه قادمون حتى لقد كان بعضهم يريد أن يلقى صاحبه لضرورات تقع له عنده فيلقاه في الجنازة فلا يزيد على السلام الشرعي شيئاً لشغله كل منها بما تقدم ذكره حتى أن بعضهم لا يقدر أن يأخذ الغذاء تلك الليلة لشدة ما أصابه من المجزع قال الحسن البصري رضي الله عنه ميت غد يشيع ميت اليوم . وانظر رحنا الله تعالى واياك الى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لم قال في الجنازة استغفروا لأخيك فقال له لا يغفر الله لك . فإذا كان هذا حالم فتحفظهم في رفع الصوت بمثل هذا اللفظ فما بالك بما يفعلونه مما تقدم ذكره فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون . فعلى هذا ينفع بل يتعمق على من له عقل أن لا ينظر الى أفعال أكثر أهل الوقت ولا لعواندهم لأنه ان فعل ذلك تذر عليه الاقداء بأفعال السلف وأحوالهم فالسعيد السعيد من شد يده على اتباعهم فهم القوم لا يشق بهم من جالسيهم ولا من أحبيهم . ان المحب من يحب مطيع . وقد تقدم ما في الدخول بالميت الى المسجد والحالة هذه . لكن بقى شيء لم يتقدم ذكره فيتعين التنبيه عليه وذلك أن بعض من يعتنون به من الموقى يتذكره بعد أن يصلى عليه في المسجد ويقفون عنده يدعون ويطولون الدعاء وبعضهم يفعل ما هو أكثر من ذلك وهو تكبير المؤذنين اذ ذلك على ما تقدم من زعقاتهم ويطولون في ذلك والسنة التعجيل بالميت الى دفنه ومواراته وفعلهم بضد ذلك فليحذر من

هذا والله المستعان . وقد تقدم أن الصلاة على الميت في المسجد مكرورة على مذهب مالك رحمه الله جائزة على مذهب الشافعى رحمه الله فالزيادة على ذلك هي البدعة . وقد تقدم الكلام على شرط وجوب الصلاة وفرائضها وسننها وفضائلها لكن بقيت شرط الصلاة على الجنازة وأركانها وسننها . فشروطها سبعة وهي طهارة الحديث وطهارة الخبر وستر العوره واستقبال القبلة وترك الكلام وترك الأفعال الكثيرة والنية . وأركانها أربعة أربع تكبيرات الدعاء والتسليم والقيام مع القدرة . وسننها ستة الأولى رفع اليدين في التكبير الأولى والثانية الحمد والثانية على الله تعالى والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم والثالثة الدعاء للمؤمنين والمؤمنات والرابعة التيامن بالسلام واحفاؤه الخامسة أن تكون في جماعة والسادسة أن يوضع الميت بين يدي المصلى ورأسه الى جهة المغرب وموضع قيام المصلى في وسط الرجل والمرأة عند منكبها على مذهب مالك رحمه الله تعالى لانه يخالف عليه ان قام في وسطها أن يتذكر بذلك ما يفسد الصلاة أو ما تزنه الصلاة عنه وهذا الذي كان الميت من يغسل ويصلى عليه . ويخرج من ذلك ثلاثة من الموق لايغسلون ولا يصلى عليهم . أو لهم الشهيد بين الصفين في نصرة التوحيد . والثانى السقط اذا لم يستهل صارخا ولا حكم لحركته . والثالث الكافر اذا مات على كفره وقد وردت في الدعا في الصلاة على الميت أحاديث وآثار جملة وقد جمع الشيخ أبو محمد ابن أبي زيد رحمه الله غالباً ذلك في الدعا الذي ذكره في رسالته وهو قوله (الحمد لله الذي أمات وأحياناً والحمد لله الذي يحيى الموتى له العظمة والكثير ياء الملك والقدرة والسناء وهو على كل شيء قدير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كاصليت ورحمت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم انه عبدك وابن عبدك وابن أمتك أنت خلقته وأنت رزقه وأنت أمته وأنت تحببه وأنت أعلم بسره وعلاناته جئناك شفيعاً له فشفينا فيك اللهم أنا نستجير بحبل جوارك له انك ذو وفاء وذمة

اللهم إله من فتنه القبر ومن عذاب جهنم اغفر له وارحمه واغف عنه وعافه
 وأكرم نزله وسع مدخله واغسله بما وثلج وبرد ونقه من الذنوب والخطايا
 كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدل دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله
 وزوجا خيرا من زوجه اللهم ان كان حسنا فزد في احسانه وان كان مسيئا فاجاوز
 عن سيئاته اللهم انه قد نزل بك وأنت خيره بمزول به فقير الى رحمةك وأنت غنى عن عذابه
 اللهم ثبت عند المسألة منطقه ولا تبتله في قبره بما لا طاقة له به اللهم لا تحرمنا أجره
 ولا تفتتنا بعده) تقول هذا باشر كل تكبيرة وتقول بعد الرابعة (اللهم اغفر لحيانا ومتينا
 وحاضرنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأثثنا انك تعلم متقلبنا ومتواانا ولو الدينا
 ولمن سبقنا بالاعياد مغفرة عزما ول المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء
 منهم والاموات اللهم من أحیيته منا فاحیي على الایمان ومن توفیته منا قتوه على
 الاسلام واسعدنا بلقائك وطيبنا للموت وطيبه لنا واجعل فيه زاحتنا ومسرتنا ثم
 تسلم فان كانت امرأة قلت (اللهم انها امتك) ثم تهادى بذكرها على التأنيث غير أنك
 لا تقول وأبدلها زوجا خيرا من زوجها لانها قد تكون زوجا في الجنة لزوجها في
 الدنيا ونساء الجنة مقصورات على أزواجهن لا يغيرون بهم بدل والرجل تكون له زوجات
 كثيرة في الجنة ولا يكون للمرأة أزواج فان كان طفلا فتثنى على الله تبارك وتعالى
 وتصلى على نبيه ثم تقول (اللهم انه عبدك وابن عبدك وابن امتك انت خلقته
 وأنت رزقه وأنت امته وأنت تحيه اللهم اجعله لوالديه سلفا وذرخرا وفرطا
 وأجرها وثقل بها موازينهما وأعظم به أجورهما ولا تحرمنا يا ربنا أجره ولا تفتنا
 واياهما بعده اللهم ألحقه بصالح سلف المؤمنين في كفالة ابراهيم عليه السلام وأبدل
 دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وعافه من فتنه القبر ومن عذاب جهنم)
 تقول ذلك باشر كل تكبيرة وتقول بعد الرابعة (اللهم اغفر لأسلافنا وأفراطنا
 ولمن سبقنا بالاعياد اللهم من أحیيته منا فاحیي على الایمان ومن توفیته

منا قتوه على الاسلام واغفر للسلفين والمسليات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء
 منهم والاهوات) ثم تسلم ولا يأس أن تجتمع الجنائز في صلاة واحدة ويل الإمام
 الرجال ان كان فيهم نساء وان كانوا رجالا جعل أفضليتهم ما يلي الإمام وجعل
 من دونه الصبيان والنساء من وراء ذلك الى القبلة . فان كان مأمورا ولا يعرف
 ما هو الميت واحدا أو أكثر أو ذكرا أو أنثى أو صغيرا أو كبيرا فانه ينوى
 أن يصلى على من صلى عليه امامه ثم يدعو بالدعاء المتقدم ذكره على ما تقدم
 فإذا أخرج الميت من موضع الصلاة عليه فقد تقدمت كيفية خروجه على السنة
 وما يتعاطونه من غيرها وهم يستمرون على ذلك الى أن يصلوا بها الى موضع خارج
 عن الاسواق يسمونه بدرب الوداع فإذا وصلوا اليه قطعوا كل ما تقدم ذكره
 من عوائدهم من القراء والقراء الذي ذكره المؤذنين ثم يفعلون عند ذلك أيضا
 أفعالا مخالفلة للسنة المطردة . فنها أنهم يضعون النعش هناك ويقف ولد الميت
 بموضع والمدير ينادي امامه في الناس أن يأتوا الى العزية ويتكلم بالفاظ معلومة
 محتوية على الكذب والتزكية كما تقدم فیأتونه للعزية واحدا بعد واحد
 والمدير يزكي ويثنى على كل واحد منهم كما تقدم . والعزية جائزة قبل الدفن ان لم
 يحصل للميت بسببه اتأخير عن مواراته فان حصل ذلك فتمتنع . والادب في العزية
 على ما نقله علينا رحمة الله عليهم أن تكون عند رجوع أهل الميت بعد الدفن
 الى بيته وسيأتي بيان صفتها في موضعه ان شاء الله تعالى . ثم ان من عزى منهم
 أكثرهم يرجعون من ذلك الموضع والمشيعون للجنازة انما يشييعها من يشييعها
 منهم لأمررين أو لأحد هما الصلة عليها ودفنه أو الصلة عليها ليس الا . فنخرج
 للصلة عليها فانصرافه من حيث صلى عليها ومن خرج لها معا فانصرافه بعد
 مواراتها . وكذلك من يخرج للدفن فقط لعدم يمنعه عن الصلاة وهم يرجعون
 من الموضع الذي يسمونه بدرب الوداع وهو ليس بوحدة من الموضعين المتقدمي

الذكر ويرتكبون فيه مخذورا على مذهب مالك رحمه الله لأن من مذهبها أن من دخل في عمل قربة يلزمها اتمامه وهم قد شرعا في التشيع من الموضع الذي صلى فيه على الجنائز إلى الموضع المسمى بدرج الوداع كا تقدم وهذا عمل قربة قد شرعا فيه فيتبعين عليهم اتمامه وهو أن يتبعوه إلى أن يوارى بالتراب . إلا ترى إلى قول مالك رحمه الله لما أتى سئل عن النساء يصلين صلاة العيد قيل له أينصرفن قبل الخطبة فقال لامن دخل في عمل وجب عليه اتمامه فلاينصرفن حتى يفرغ الإمام من خطبته وإن كان لا يسمعها أو كذا قال لأن صلاة العيد ليست بواجبة عليهم فلما أتى شرعن فيها لزمهن اتمامها على سنتها وذلك بسبعين الخطبة بعد الصلاة فكذلك فيما نحن بسيله إذ أن اتباع الجنائز ليس بواجب فمن تبعها بعد الصلاة عليها فقد شرع في قربة فيلزمها اتمامها والاتمام لا يكون إلا بوارثها والله الموفق . وبعضهم إذا كان لهم ميت يعتنون به يتركونه عند درج الوداع ساعة يقرؤن ويذكرون ويكتبون كما تقدم من فعلهم بعد الصلاة على بعض الموقت ويسمونه وداعا وهو مخالف للسنة لأن السنة أكرم الميت بالتعجيل بدفعه ثم إن القراء والذاكرين والمكبرين في الغالب يرجعون من هذا الموضع ثم العجب من فعلهم ذلك لأنهم يرعمون أنفسهم يفعلون ما يفعلون للتبرك فكان ينبغي على ما زعموا أن يصحبوا الميت بذلك كله إلى أن يوارى في قبره فلما أن اقتصروا على ما فعلوا في الأسواق والطرق دون غيرها كان ذلك دليلا على أن ما فعلوه إنما هو لأجل الناس . ثم إن السنة في تشيع الجنائز أن من يشييعها يمشي معها حتى تدفن وهم يفعلون غير هذا لأنهم يتبعونها حتى يصلوا عليها ويشوا معها إلى درج الوداع فإذا أتوا إليه فنهم من يمشي ومنهم من يركب وكل يسلك ما يختاره من الطريق فيسبقون الجنائز إلى القبر وتبقي الجنائز تجرى بها الحالون ولا يشييعها إلا القليل من الناس ومن شدة جرى الحالين بها ترى الميت يهتز

على النعش ورأسه يخفق وبدنه يضطرب ويتم خص فؤاده وربما كان ذلك سببا الى خروج شيء من الفضلات من جوفه الى فه أو دبره فيذهب المعنى الذي لأجله أمرنا بتغسيل الميت وهو الاقرام لقاء الملائكة وهذا كله شنيع من الفعل وأصل ذلك كله أنها نشأ من مخالفة السنة والنظر اليها والتبرك بمراسيمها لأنها لا تفعل في شيء الا حلت البركة فيه وذهب كل ما يتخطى منه من المفاسد فليحذر من هذا جهده والله الموفق . فان قال قائل ان كثيرا من الناس لا يقدرون على المشي معها لاستبعجال الحماليين بها . فالجواب أن الاستبعجال هنا مكره لمخالفة السنة المطهرة ولما يخشى أن يخرج شيء من الفضلات من الميت كما تقدم فيمنعون من العجلة التي تؤدي الى الضرر بالميت وبمن يمشي معه . وهذا عكس ما يمشون به حين الخروج به من بيته الى موضع الصلاة عليه ومنه الى درب الوداع فانهم يمشون به المهوينا . وقد جاء النهى عنه بما ورد (ولاتذبو ابها كدييب اليهود) وقد قال علينا رحمة الله عليهم ان السنة في المشي بالجنائز أن يكون كالشاب المسرع في حاجته وهذا المأمور به هو وسط بين ما يفعلونه أولا من الدبيب بها وآخرها من الاستبعجال الذي يضر بها (وكان بين ذلك قواما) فكانت السنة عند أكثراهم لا يعرفونها اذ أنهم لو عرفوها مازلوكوها لأن السنة لا يتركتها أحد مع عدم الضرورة وليس هنا ضرورة داعية الى تركها فانا الله وانا اليه راجعون . ويكون المشيون أمامها والركبان خلفها الى قبرها لأن المشي أفضل من الراكب فيتقدم رجاء قبول شفاعته لأن حاله حال تواضع وافتقار والمحل قابل لذلك . ثم اذا مشي المشاة أمامها والركبان خلفها فالسنة أن لا يتكلم أحد مع أحد لأن الكلام في هذا محل لغير ضرورة شرعية بدعة اذ أنهم ذاهبون للشفاعة يرجون قبولها فيشتغلون بماهم اليه صار ون فيكون كل واحد منهم مشتغلًا في نفسه بالاعتبار وبالدعاء للميت أو لنفسه

ول المسلمين أو جميع ذلك كله . وقد كان السلف رضي الله عنهم في حضور جنائزهم يتناكر بعضهم من بعض كا تقدم ذكره اذا دخل عليهم شهر رمضان حتى اذا رجعوا للبلد تعارفوا على عادتهم في ودهم الشرعي . ثم العجب من بعضهم في كونهم يسبقون الجنائز و يحسون يتظرونها و يتهدتون اذ ذاك في التجارات والصناعات وفي محاولة امور الدنيا . ومن كان على هذه الصفة كيف يرجى قبول شفاعته . بل بعضهم يفعل ذلك والييت يقرب في الغالب . بل بعضهم يتضااحكون حين يتكلمون و آخرون يتسمون و آخرون يستمعون وكل ذلك مخالف للسنة المطهرة فانا لله وانا اليه راجعون . وينبغى أن يشرع أولاً في حفر القبر قبل الأخذ في غسله . وقد كان الغالب على حال السلف رضي الله عنهم أن يحفر بعضهم بعض كا تقدم في الغسل وعلى ذلك أكثر أهل الحجاز الى اليوم ولا بأس باجارة من يحفره وينبغى أن يكون الحفر في المقبرة لانه يوم من عليه فيها بخلاف أن لو دفن في غيرها فإنه لا يؤمن من النبش عليه أو وصول التجسسات اليه أو يدفن في أرض مستعارة أعني لا أصل لها كالكيمان وما شابها وذلك كله ليس بحرز للبيت لانه قد ينبعش وينبني عليه وانما حرزه مقبرة المسلمين . وينبغى لولي الميت أن يختار له الدفن عند العلماء والأولئك والصالحين للتبرك بهم لما ورد (هم القوم لا يشق بهم جلسمهم) ولما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما زال جبريل يوصي بالجوار حتى ظننت أنه سبورنه) فلعل بركة الجوار وهو الغالب أن تعود على من جاورهم وزل بساحتهم وقد مضت عادة السلف رضي الله عنهم أن يختاروا الدفن عند قبور الآباء والأقارب عند عدم القدرة على الدفن عند الأولياء والصلحة . فان اجتمعوا في أحديها . وينبغى أن يكون الذي يحفر القبر من أهل الدين والخير والأمة لانه اذا لم يكن على هذه الصفة فقد يجد في الموضع أثر ميت فيزيله أو يكسره وذلك لا يجوز

لأن الموضع جبس على من دفن فيه حتى لا ييقق منه أثر أربطة ثم بعد ذلك يتصرف فيه وأما مع وجود شيء منه فلا يجوز ومن فعل ذلك فهو غاصب لموضع الميت الأول والتحلل منه متذر فیتحفظ من هذا جده وبعض الناس في هذا الزمان يحفرون ويرمون عظام الموقى بعد تكسيرها بموضع آخر وهو محروم فإن لم يوجد موضعاً يحفر فيه بسبب آثار الموقى التي هناك فليخرج عن المقبرة إلى البرية قليلاً بحيث يكون متصل بها فهو أبراً للذمة ويراعي مع ذلك أن يكون قريباً من الطريق دون شيء يستره عن المارين مثل جدار أو غيره فلعل أن يناله بركة من يمر على تلك الطريق من المسلمين ولعل من يترحم عليه منهم لأن الميت مضطر إلى ذلك كائناً ما كان. وحكمه دفن الميت في الصحراء قد تقدم ذكرها. وذلك بخلاف ما يفعلون في هذا الزمان وهو أن من كان له رياضة ومال عمل له تربة في البلد ودفن فيها فتصيبه النجسات وتمر عليه السرابات فينبع الميت فيها وكذلك يفعلون في المقبرة يبنون فيها البيوت ويعملون فيها السرابات وبعضاً منهم يبنون الآبار والحمامات وقد تقدم قبح ذلك وما فيه من المخالفة للشرع الشريف. وإذا كان ذلك كذلك فيتعين أن يبعد بالحفر عن هذه المواقع حتى لا يصل إلى الميت شيء من النجسات والرطوبات. وإذا حفر القبر فينبغي أن يكون من يحفره من يعرف القبلة معرفة جيدة ولا يعمل على ما يجده من المحاريب في القبور لأن الغالب عليها الانحراف عن القبلة لأن أكثر من يضعها لا يعرف شيئاً من علم ذلك فيقع بسيبه الخطأ والخلال فإن لم يكن عارفاً بذلك فيتعين عليه أن يأتي بهم يعرف الحكم في ذلك حتى يكون القبر إلى القبلة بالسواء. وينبغي له بل يتعين عليه أن يحفر للميت على طوله أو أزيد قليلاً حتى إذا دخل في قبره يكون دخوله فيه بالسواء وعلى ذلك مضى السلف والخلف. وهذا بخلاف ما يفعله بعض أهل الوقت من أنهم يخالفون السنة في صفة حفر القبر فيحفرونه من

أعلاه ضيقاً ومن أسفله بطول الميت وأقل منه وذلك لا يجوز لأن الغالب في الموى أنهم لا يمكن أن يتناولهم الرجل الواحد أعني مع التحفظ على دخول الميت في القبر على السنة باحترامه فيحتاج إلى أكثر من الواحد . ومذهب مالك رحمة الله أنه ليس بذلك حد من شفع أو وتر ولكن قدر ما يحتاج إليه الميت ويقوم به ويكون ذلك برفق وتودة حتى كأن الميت لا يتحرك لوجود التلطيف به في ادخاله في قبره . وإذا كان ذلك كذلك فيحتاج إلى الميت أن يأخذ قياسه ويغفر له على قدر ذلك أو أزيد قليلاً ويكون ذلك بالسواء من أعلى القبر إلى اللحد حتى يدخل الميت في قبره بالسواء كما تقدم ويكون من يدخله في قبره من أهل العلم والخير والصلاح لأنها آخر عهده بالدنيا وأول منزل يحل فيه من منازل الآخرة فينبغي أن يكون آخر عهده بن اتصف بما تقدم ذكره . وينبغي أن لا يمكن الخفارين بالاجرة في هذا الزمان أن يدخلوه في قبره لعدم اتصافهم بالعلم والصلاح غالباً فإذا أرادوا أن يدخلوه في قبره فيكون المتداولون له من أهل الخير والصلاح كما تقدم فيسلون الميت من جهة رأسه ويتناولونه قليلاً قليلاً برفق وأكثر الناس في هذا الزمان يفعلون ضد ذلك وهو أن الخفار يتناوله حتى إذا نزل أكثره جعله الخفار على ركبتيه ثم يرميه بشدة فيقع في القبر وهو يضطرب وفي ذلك اخراق لحرمة الميت وقد يكون ذلك سبباً لخروج الفضلات منه كما تقدم فليحذر من هذا وما شاكله . ثم انهم يدخلونه القبر منكساً على رأسه وذلك يمنع لثلاث معان . أحدها مخالفة السنة المطهرة لأن السنة قد مضت أن يدخل في قبره بالسواء كما تقدم . المعنى الثاني أنه إذا دخل على رأسه فقد تنزل الموارد إلى فه وأنفه فخرج فيه منكساً على رأسه أسأل الله السلامة عنه . وليحذر من أن يكون اللحد ضيقاً عليه لأن الغالب على كثير منهم أنهم يدخلون الميت القبر فلا يسعه

فيحتاجون إلى معالجة ذلك ولا تقع المعالجة بعد دخال الميت في قبره إلا بخرق حرمته. فيحتاج أن يكون اللحد أطول من الميت حتى يدخل فيه دون معالجة كما تقدم . ثم يأخذ في لحده فيزيل ما كان عليه من الرباط من ناحية رأسه ومن ناحية رجليه ثم يزيل الرباط الذي كان قد جعله على عينيه وأذنيه وعلى فه وأنفه ولا يزيل شيئاً من القطن لثلا يرى عليه أثر . وكذلك الخرق التي حلها قبل لثلا ي علىها ذلك . ثم يحل الرباط الذي في إبهامى رجليه . وكذلك يحل الرباط الذى فى كيمه ويسرح يديه . ثم يضجعه على جنبه الأيمن ويكون فى الكفن كأنه فى فراشه بعضه تحته وباقيه مغطى به . ثم يلصقه إلى جهة القبلة ولا يجعل تحت رأسه شيئاً ويكون بالسواء على الأرض بحسبه لأن الموضع موضع ذل وافتقار وليس بموضع رفع رأس ولا غيره . وقد قال عمر بن الخطاب لولده عبد الله رضى الله عنهما لما أن غشى عليه فى سكرات الموت وأخذ عبد الله رأسه فرفعها على نفنه فلما أن استفاق من غشيته قال ضع رأسي على الأرض لأملك وقد روى عنه أيضاً أنه قال افضوا بلحيتي إلى الأرض . فإذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه مع ما خصه الله تعالى به من المآثر العظيمة مع ذئبه صلى الله عليه وسلم فما بالك بغيره فهو أجدر بمبشرة الأرض دون حائل وارتفاع عليها بشيء ما وهذا يعكس ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان فإنهم يجعلون تحت الميت شيئاً يقيه من التراب بل بعضهم يزيد على ذلك بأن يجعل تحته طرحة وتحت رأسه وسادة . وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها أكثرهم وهو أنهم إذا جاؤوا إلى لحده أزالوا تلك الخرق المذكورة وأخرجوا القطن الذى أرسلوه معه في فه وأنفه كما تقدم وصفه عنهم فيخرجونه من حلقه وتخرج المواد مع ذلك ويبيق فيه مفتوحاً وفي ذلك من الشوه ما فيه مع اخراج حرمة الميت وجود النجاسة في القبر وذهب المعنى الذى أمرنا بغسله . وكذلك يحترز مما يفعله

بعضهم من أنهم يجعلون التراب في عينيه ويقولون عند ذلك لا يملاً عين ابن آدم بالتراب ولا فرق في الشرع في اثم فاعل ذلك كا لو كان حيًا بل هذا أشد لأنه يتعدى التحلل من الميت أسأل الله السلامة بمنه . بل يحل الرباطات كا تقدم ليس الا ويكون في ذلك كله يغمض عينيه مهما قدر . فإذا أضجه على جنبه الأيمن فلتكن الي اليد اليمنى من الميت امامه واليسرى على جنبه الأيسر ثم يأخذ حجرًا كبيرًا فيركزه في الأرض ويُسند الميت به من خلف ظهره ولا يقتصر على اسناد الميت من خلف ظهره بالتراب وحده دون هذا الحجر لأنه اذا أُسندته بالتراب ليس الا خرجت الفضلات فيتحلل التراب بنداوتها فيستنقع الميت على ظهره فيميل وجهه عن جهة القبلة والمقصود دوامه مستقبلها حتى يفني أو يفعل الله تعالى به ما يشاء ويختار . ثم اذا فرغ من اسناده بالحجر جعل خلف الحجر ترابا يُسند به من رأس الميت الى قدمه ويكون مع ذلك خائعا متذلا . فان كان القبر حجرا صلبا ليس فيه تراب فلا يأس أن يؤتى بالرمل فيفرش تحت الميت للضرورة الداعية الى ذلك لأنه ان بي دونه انعام في قبره ويشرط في الرمل أن يكون طاهرا . وهذا بخلاف أن لو كان القبر سبخا أو ترابا فان الaitan بالرمل بدعة لأنه لم ينقل عن السلف رضى الله عنهم بخلاف ما اعتاده بعض الناس في هذا الزمان وهو أنهم يأتون به فيفرشوته تحته لغير الضرورة المتقدم ذكرها وهو خلاف السنة كا تقدم . فإذا فرغ من كل ما تقدم ذكره في لحد الميت فليترك قليلا قبل أن يأخذ في سد اللحد على الميت ليذكر حينئذ هل نسي شيئاً ما تقدم وصفه فان كان معه غيره من يعلم الحكم في ذلك كان أولى فمن نسي منها لعل الآخر يذكره ثم يأخذ في سد اللحد ويمثل السنة في أن يقول مع ذلك مارواه أبو داود عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع الميت في قبره يقول (بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم) واستحب

ذلك الشافعى رحمه الله وقال يقول بعد التسمية (اللهم أسله اليك الأشحاء من ولده وأهله وقرباته وأخوانه وفارق من كان يحب قربه وخرج من سعة الدنيا والحياة إلى ظلمة القبر وضيقه وزلل بك وأنت خير منزول به ان عاقبته فذنبه وإن عفوت عنه فأنت أهل العفو أنت غنى عن عذابه وهو فقير إلى رحمتك اللهم اشكر حسناته واغفر سيناته وأعذه من عذاب القبر واجمع له برحمتك الأمان من عذابك وكفه كل هول دون الجنة اللهم فاخلفه في تركته في الغاربين وارفعه في علينا وجد عليه بفضلك يا أرحم الراحمين) وذكر الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله أنه يقول اذا سوى عليه اللبن (اللهم انه قد نزل بك وخلف الدنيا ورآ ظهره وافقه إلى ما عندك وأنت غنى عن عذابه اللهم ثبت عند المسألة منطقه ولا تبتله في قبره بما لا طاقة له به) وينبغى أن يتتجنب ما أحدهه بعضهم من أنهم يأتون بماء الورد فيجعلونه على الميت في قبره وذلك لم يرد عن السلف رضي الله عنهم وإذا لم يرد فهو بدعة . ثم العجب منهم كيف يأتون بماء الورد ويخرجون القطن من فيه وأنفه وتخرج الموارد إذا ذلك وتشم منه الرائحة الكريهة ويتجسس المحل بأحدائهم النجاسة في القبر برشهم ماء الورد وقد تقدم هذا وليس من السنة أن يخرج القبر ولا أن يفرش فيه ريحان لأنه خروج عن فعل السلف ويكفيه من الطيب ما قد عمل له وهو في البيت فتحن متبعون لا مبتدعون فيث وقف سلفنا وقفنا . ثم يسد عليه اللحد وقد كره بعضهم أن يسد بالألواح ولم في اللبن اتساع ان كان طاهرا وطهارة اليوم معروفة في الغالب وإذا كان ذلك كذلك فالحجر يقوم مقامه . ثم يليس ما بين الحجرين بالتراب الطاهر المعجون بالماء الطاهر وإن كان لا يغنى عن الميت شيئاً لكن وردت السنة به فتنبئ ويسد الحال حيث كان . فإذا فرغ منه فقد تم لحده فيقصد إذا ذلك ويهال عليه التراب قال ابن حبيب يستحب لمن كان على شفير القبر أن يحيث فيه ثلاثة حثبات

من تراب . وفي كتاب ابن سحنون عن مالك أنه قال ما سمعت من أمر به ولا أعرفه . وينبغي أن لا يقرأ أحداً ذاك القرآن لوجهين . أحدهما أن المحل محل فكرة واعتبار ونظر في المال وذلك يشغل عن استماع القرآن والله تعالى يقول في كتابه العزيز (ولَا قرئُوا الْقُرْآنَ فَإِذَا سَمِعُوا هُوَ أَنْصَتاً) والانصات متعمد لشغف القلب بالتفكير فيما هو إليه صائر وعليه قادم . الوجه الثاني أنه لم يكن من فعل من مضى وهم السابقون والقدوة المتبوعون ونحن التابعون فيسعنا ما وسعهم فالخير والبركة والرحمة في اتباعهم وفقنا الله لذلك بهمنه . فإذا فرغوا من أهالة التراب عليه فليرفعوا القبر قليلاً عن الأرض ويكره أن يؤتى بترب آخر حتى يكثر ويرتفع القبر به والستة أن يكون لاطناً^(١) مع الأرض لكن بعد أن يرتفع عن الأرض قليلاً كاً تقدم . واختلف هل يسطح القبر أو يسمّ على قولهن فأيما فعل منها كان حسناً . ولا يحصص القبر وكره مالك أن يرص على القبر بالحجر والطين وأن يبني عليه بطبوب أو حجارة . قال الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره لما أن تكلم على قوله تعالى في سورة الكاف (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَتَتَخَذُنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) روى مسلم عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبني عليه . وأخرج أبو داود والترمذى عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبني عليها وأن تو طأ . قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وروى النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تحصيص القبور وهو تحصيصها . وروى أبو داود أن يزاد عليها . ومن القرطبي روى مسلم عن أبي السياح الأنصارى قال قال لى على بن أبي طالب أبعثك على ما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أدع تمثلاً إلا طمسه ولا قبراً مشرفاً إلا سويته . وفي

(١) لاطناً أى لا حصاً

رواية ولا صورة الا طمستها وأخرجها أبو داود والترمذى . قال علاؤناظاهره منع تسليم القبور ورفعها وأن تكون لاطنة . وقد قال به بضم أهل العلم وذهب الجمهور الى أن هذا الارتفاع المأمور بازالته هو مازاد على التسليم ويقى للقب ما يعرف به ويحتم ذلك صفة قبر نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على مارواه الدارقطنى من حديث ابن عباس . وأما تعلية البناء الكبير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيها وتعظيمها فذلك يهدى ويزال فان فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة وتشبيهاً بمن كان يعظم القبور ويعبدوها باعتبار هذه المعانى وظاهر النهى ينبغي أن يقال هو حرام والتسليم في القبر ارتفاعه قدر شبره أخذ من سنام البعير ويرش عليه الماء ثلاثة ينثر بالربع . قال الشافعى لا يأس أن يطين وقال أبو حنيفة لا يخصص القبر ولا يطين ولا يرفع عليه بناء والدفن في التابوت جائز لا سيما في الأرض الرخوة . ولا يجعل القبر مربعا . ويستحب أن يعلم عند رأسه بحجر والاصل في ذلك مارواه أبو داود بسانده أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أن دفن عثمان بن مظعون أمر رجلا أن يأتيه بحجر فلم يستطع حمله فقام إليه صلى الله عليه وسلم فسر عن ذراعيه ثم حمله فوضعه عند رأسه وقال أعلم به قبر أخي وأدفنه إليه من مات من أهلي . فإذا فرغوا من ذلك فلينصرفوا عنه وينبغى أن لا يقرأ شيء من القصائد ولا ما شابها للوجوهين المتقدمى الذكر في قراءة القرآن اذا ذاك ثم يأخذون في الانصراف وموضع التعزية على تمام الأدب اذا رجع ولى الميت الى بيته ويجوز قبله أتى قبره قبل الدفن وبعد كاتقدم وينبغى أن يتفقده بعد انصراف الناس عنه من كان من أهل الفضل والمدين وينتف عند قبره تلقاه وجهه وياقنه لأن الماكلين عايم ما الاسلام اذا ذاك يسأل الله وهو يسمع قرع نعال المنصرفين عنه . وقد روى أبو داود في سنته عن عثمان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت واتف

عليه وقال (استغفروالأخيم واسألو الله التثبيت فانه الآن يسأل) وروى رزين في كتابه عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول بعد ما يفرغ من دفن الميت (اللهم هذا عبدك نزل بك وأنت خير هبزول به فاغفر له و وسع مدخله) وقد كان سيدى أبو حامد بن البقال وكان من كبار العلما والاصحاء اذا حضر جنازة عزى ولها بعد الدفن وانصرف مع من ينصرف فيتوارى هنئه حتى ينصرف الناس ثم يأتي الى القبر فيذكر الميت بما يجاوب به الملائكة عليهما السلام . ويكون التلقين بصوت فوق السر دون الجهر فيقول (يافلان لاتنس ما كنت عليه في دار الدنيا من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا جاءك الملائكة عليهمما السلام وسائلك فقل لها انتربي ومحبني والقرآن امامي والكعبة قبلني) وما زاد على ذلك أو نقص خفيف وما يفعله كثير من الناس في هذا الزمان من التلقين برفع الأصوات والزعقات لحضور الناس قبل انصرافهم فليس من السنة في شيء بل هو بدعة . وكذلك ما يفعلوه بعد انصراف الناس عنه على هذه الصفة فهو بدعة أيضا . وقد سألت سيدى أبا محمد رحمه الله فقلت له أينبغى للسكاف أن يحفظ هذا التلقين في حياته حتى يكون متيسرا على لسانه اذا ذاك فانزعج وقال أنت تجاوب انما يجاوب عملك ان كان صالحا فصالحا وان كان سيئا فسيئا فحصل العمل فهو يكفيك فانه العدة التي تنجو بها بفضل الله تعالى لا لالقلقة باللسان أو كما قال . وقد أمر الشرع بالتعزية فقال عليه الصلوة والسلام (إذا أصاب أحدكم مصيبة فلينذكره صيته في فانها من أعظم المصائب) وهذا أمر منه عليه الصلوة والسلام لأمتة وتسلية لهم أما الامر فقوله عليه الصلوة والسلام فلينذكر صيته في وأما التسلية فقوله عليه الصلوة والسلام فانها من أعظم المصائب فإذا تذكر المؤمن ما أصيب به من فقد النبي صلى الله عليه وسلم هانت عليه جميع المصائب واضمحلت ولم

يبي لها خطر ولا بأس . وقد ورد في التعزية ألفاظ متعددة . قال بعضهم وأحسن التعزية ماجاء في الحديث (آجركم الله في مصيبتكم وأعقبكم خيراً منها أن الله وإن عليه راجعون) وينبغي أن يعزى الرجل في صديقه لأنها من المصائب وكذلك يعزى الرجل في زوجته الصالحة لأنها من المصائب . وقد ذكر الفقهاء في كتبهم ألفاظ التعزية على اختلافها ومن يعزى ومن يعزى فيه ليس هذا موضعها . وقد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكي على صبي لها فقال لها أتني الله واصبر فقالت وما تبالي بصيبي فلما ذهب قيل لها إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها مثل الموت فأتأت بابه فلم تجده على بابه بوابين فقالت يا رسول الله لم أعرف لك ففقال (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) وروى الترمذى عن أبي سنان قال دفت ابني سنانا وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر فلما فرغت قال ألا أبشرك قلت بلى قال حدثني أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا مات ولد العبد قال الله تعالى ملائكته أقضم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقضم ثم فواده فيقولون نعم فيقولون ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول ابنا لعبدى ييتا في الجنة وسموه ييت الحمد) وقد روى البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يقول الله تعالى ما للعبد المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة) وينبغي لأهل الفضل والدين أن يراعوا التعزية في الدين أكثراً كما نقل عن بعضهم أنه قال فاتنني الصلة في جماعة فعزاني فيها فلان ولم يعزني غيره ولو مات لي ولد لعزاني فيه مائة ألف أو كذا قال وماذاك إلا أن مصيبة الدين عند أهل الدين أعظم من مصيبة الدنيا عكس ما الحال عليه في هذا الزمان . ولتحذر من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهي أنهم يحملون أمم الجنازة مع الحاملين في الاقفاص الخرفان والخنزير ويسمون ذلك

بعشاء القبر فإذا أتوا إلى القبر ذبحوا ما أتوا به بعد الدفن وفرقوه مع الخبز ويقع بسبب ذلك مزاحمة وضرب ويأخذ ذلك من لا يستحقه ويحرمه المستحق في الغالب . وذلك مخالف للسنة من وجوه . الأول أن ذلك من فعل الجاهلية ملارواه أبو داود عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا عقر في الإسلام) والعقر هو الذبح عند القبر كما تقدم . الثاني ما فيه من الرياء والسمعة والمباهة والفخر لأن السنة في أفعال القرب الأسرار بها دون الجهر فهو أسلم والمشى بذلك أمام الجنائز جمع بين اظهار الصدقة والرياء والسمعة والمباهة والفخر ولو تصدق بذلك في البيت سرا كان عملا صالحا ل المسلم من البدعة أعني أن يتخذ ذلك سنة أو عادة لانه لم يكن من فعل من مضى والخير كله في اتباعهم رضي الله عنهم كما تقدم غير مرة . وليرجع من هذه البدعة التي أحدثها بعض من لا يعتني بحكمة الشرع في أوامره ونواهيه وأشاراته وهي ادخال الميت في الفسقية التي أحدثوها وهي بدعة في نفسها فكيف بما يفعل فيها . فمن ذلك أنهم يفرشون فيها تحت الميت طرحة أو قطيفة أو غيرهما ويضعون تحت رأسه وسادة ويعطونه حتى كأنه مضطاجع في بيته ويجعلون عنده من المشروم ما أمكنهم من الياسمين والريحان وغيرهما ويبيتون ذلك عنده فيها وموضع الفسقية فيه ظلمة لانه تحت الأرض وليس له موضع يدخل منه الضوء الامن موضع بابها وهو ضيق فيحتاجون في الغالب إلى دخول الضوء معهم وذلك فيه تفاؤل بدخول النار في هذا المخل حتى ان بعضهم يوقد الشمع ويتركه موقدا عنده ثلاثة في الظلام ويسد عليه باب الفسقية فهذا فيه اضاعة المال مع ما تقدم من التفاؤل ومخالفة السنة وقد يقع ذلك على الميت قبل أن يطفأ فيحرقه أو يحرق ما عليه أو يحرق غيره ان كان معه مع أنه لافائدة في الوقود لانه لا يدوم لو لم يكن فيه ما تقدم ذكره من المذورات لأن الفسقية اذا سد بابها امتنع دخول الهواء إليها والنار لا تقدر إلا

مع وجود الماء فان لم يكن مخدت في الغالب لكن قد لا تخدم حتى يجري على الميت أو الموتى ما تقدم من الحريق ولأن الموضع موضع خشاش وهو ام وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم المكافف أن يطفئ المصباح قبل نومه وعلل ذلك بأن الفويسقة تضرم على أهل البيت يأتم ناراً والنوم هو الوفاة الصغرى وذلك مزعوج معه فلا يفعل ذلك في الكبرى من باب أولى وأخرى يجعل الميت في الفسقية يمنع لوجهه . الأولى مخالفة السنة المطهرة في ترك الدفن وكفى بها لأن من هو في الفسقية غير مدفون لأنه لا فرق بين جعله في الفسقية أو في بيت ويغلق عليه فهذا والحالة هذه لا يطلق عليه أنه مدفون فقد تركوا الدفن وهو شعيرة من شعائر المسلمين وقد امتن الله عز وجل في كتابه العزيز علينا بالدفن فقال (ألم يجعل الأرض كفاناً أحياء وأمواتاً) فالستر في الحياة ما يتصرف فيه الإنسان من ضرورات البشرية في خلوته مما يكره أن يطلع عليه غيره ويستر عورته به والستر في الممات ستر جيف الأبدان ولو لانعمة القبور لكان شناعة بين الاشكال ويقال ما في جميع الحيوان أشد كراهة من رائحة جيفة الآدمي فستره الله بالدفن أكراما له وتعظيمها . ومن وضع في الفسقية فقد ترك ما امتن الله تعالى به عليه من نعمة الدفن . وقد روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أبي طلحة يعوده فقال عليه الصلاة والسلام (إن لاري أبا طلحة حدث عليه الموت فإذا توفى بخلوا به فإنه لا ينبعى لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهري أهله) ومن جعل في الفسقية فأهله يكشفون عليه في كل وقت مات لهم ميت فقد يعرفون ما تغير من حاله من كشفوا عليه من موتهم ويشمون الروائح الكريهة منه وهو يكره في حال حياته أن يشم منه بعض ذلك . وإذا كان ذلك كذلك فلا فرق بين أن يكون في الفسقية أو بين ظهري أهله فيمنع لما فيه من خرق حرمة لأنهم يدخلون عليه بمنيت آخر فان كان قريب العمد من قبله

كشروا حاله وما هو فيه من النتن والدواد وغيرهما حتى لقد حكى أن امرأة نزلت فسقية لوضع ميت لها فيها فوجدت ابنة لها كانت قد دفنت من مدة فرأت رأسها وجهها يغليان دودا فذهب عقلها وهذا هو الوجه الثاني . الوجه الثالث أن باب الفسقية ضيق كا هو مشاهد مرئي وتحبس فيه الروائح الكريهة فإذا فتح لجعل ميت آخر وكان قريب العهد من قبله خرجت تلك الروائح الكريهة ان كان الميت طريا فآذت كل من حضر الجنازة . وأما من ينزل إليها فإنه يجد من الكلفة والمشقة النهاية وقد يكون ذلك سبباً لمرضه أو موته أو هما معا . الوجه الرابع أنهم يدخلونه متوكسا على رأسه وقد تقدم ما في ذلك من القبح حين ادخال الميت القبر فهو في الفسقية أجدر بالمنع لأن باهراً أضيق من الشق الذي يعملونه في القبر . الوجه الخامس أنه قد اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فيما أخذ ميتا وسقطت منه في القبر نفقة أو لؤلؤة أو شئ له قيمة كبيرة فلم يذكره إلا بعد أن أهيل عليه التراب أو بعضه هل يكشف ما أهيل عليه من التراب ويأخذ ماسقط منه لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة المال وتركه من اضاعة المال أولاً لا يجوز ذلك لأن فيه كشفاً على الميت بعد مواراته بالتراب وذلك خرق لحرمته ولما يخشي أن يكون قد تغير حاله إلى أمر مغيب عنا فيكشف عليه وينهيك ستره بذلك وذلك من نوع في الشرع الشريف . فإذا كان هذا الخلاف فيمن سقط منه شيء له قيمة كبيرة فما بالك بمن يكشف عنه لغير ضرورة شرعية وهذا أجدر بالمنع . الوجه السادس ما فيه من القبح بهتك الستر عنمن فيها وذلك أن أهل تلك الفسقية قد يتغيرون عن آخرهم وهو الغالب وينكشفون فيقولون عراة برأى من يمر عليهم من الناس وذلك كشفة لهم وتهتك لحرمتهم وهذا موجود ظاهر . حتى لقد روى بعض أهل الفساق وحمار ميت قد طرح عليهم . فانظر بعين الانصاف ما أشنع هنا وأقبحه على مقتضى العقل فكيف والشرعية قد نهت

عنه وذمته فلام ممثلون لأمر الشرع في ذلك ولاهم يرجعون لمقتضى العقل لأن العقل يأبى ذلك أصل الله السلامه بهمه . الوجه السابع ما حرمهم الشيطان من بركة الدفن وما فيه من الستر . الاترى أن المدفون اذا خرجت منه الفضلات شربتها الأرض فيقي نظيفاً في قبره ومن وضع في الفسقية ينبع في التجسسات التي تخرج منه وتحلل من جسده . الوجه الثامن أن ادخاله في الفسقية فيه ما فيه من الفخر والكبر لأن الغالب أنه ما يفعله الا متذمرون والموضع موضع ذلة وافتقار واضطرار واظهار مسكنة واحتياج لاظهار العز والكبر . الوجه التاسع ما يفعله بعضهم من تبليط الفسقية وذلك في حال الحياة لا ينبغي فا بالكمه بعد الممات اذأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ولم يبن لبنة على لبنة فأقل ما يمكن في حق المكلف أن يتمثل ذلك بعدهم . الوجه العاشر ما زاده بعضهم من تبليط داخل الفسقية حتى تبقى كالبيوت التي يتغنى بها أبناء الدنيا بعضهم على بعض في حال الحياة . وكذلك يمنع كما تقدم في التبليط سواء بسواء بل هذا أشد . الوجه الحادى عشر أن ما يفعلونه سبب لانبعاث الحشرات والتجسسات عليه وذلك أنه ينبع في قبره فتشكل الروائح لعدم التراب والحشرات تتبع الروائح حيث كانت وكذلك الكلاب والسباع والذئاب وذلك بخلاف القبر لما تقدم من أنه يشرب الفضلات من الميت . الوجه الثاني عشر ما في ذلك من تيسير السرقة على من أرادها والسرقة معصية كبرى اذا كانت في حق الاحياء فا بالكمه بها في حق الموتى فوضع الميت في الفسقية فيه تيسير على من اتى بنبش القبور اذ أنه لا يحتاج في ذلك الى كبير كلفة في الدخول اليه الا أنه يفتح الباب ليس الا و يتيسر عليه حينئذ ما يريد وفاعل المعصية ومن يسرها عليه شريkan في الامر . الوجه الثالث عشر أن من يتحفظ منهم من التيسير على النباش يحتاجون الى البناء الحصين والأبواب المانعة والحراس ومن يسكن فيها أو الى جانبها ويبول ويتوغوط والسراب سريانه

تحت الأرض فيؤول ذلك إلى تجيس من هناك من الموقى بنجاسة أجنبية عنهم وذلك كله مع هذه الأحوال الرديئة يحتاج إلى كلفة من تحصيل دنياً لأجل الباب والقيم والخادم ومن يحرس وجعل صهريج لهم فتزيد النداوة بذلك فينبع الميت في قبره وقد حكمت السنة بالدفن في الصحراء للسلامة من هذه المفاسد وغيرها وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية فأغنى عن اعادته . الوجه الرابع عشر ماقفلها من ارتكاب النهى لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهاانا عن التشبيه بالاعاجم وما كان ابتداء فعلها إلا من جهتهم فسرى ذلك إلى بعض الناس مع كونهم لا يشعرون بارتكاب هذا النهى الصريح نسأل الله السلامه بهمه . الوجه الخامس عشر أن من دفن في القبور على ما أحكمته الشريعة لحرمة لكون قبره ظاهرًا فلائقًا لاحده فهو لأن يبني عليه ولا أن يجعل عليه سراباً بخلاف الفسقية فإنها في باطن الأرض غير مرتفعة كالقبر في الغالب وليس للبيت على ظاهر الأرض أثر يعرف به فيكون ذلك سبباً إلى البناء عليها حيث دثروها أو غيره من إرسال سراب أو جعل مرحاض وما أشبه ذلك . الوجه السادس عشر أنها قد تنفس وهي الغالب فيضرر بها من تنفسه وقد يهلك ثم تبقى بعد ذلك معبرة لمن يمر بها وشنة على من فيها حتى أن بعض من لا يعرف الشرع ليطيل النظر فيها حتى يعرف الذكر من الآتي وذلك لا يجوز سبباً أن وقع السيل فيكون ذلك أعظم في الكشفة وهتك الستروذهاب حرمة المؤمن . الوجه السابع عشر من أوصى أن يدفن في فسقية فإنه لاتنفذ وصيته . وقد قال ابن عبد الحكم فيها هو أيسر من هذا وهو أن من أوصى أن يبني على قبره بيت فقال لا ولا كرامة . فالمانع هنا من باب أولى وأخرى الوجه الثامن عشر أنها تبقى مأوى للصوص ومن لا خير فيه فيختبئون فيها ويجعلون فيها ما يختارون من السرقة وغيرها حتى يتصرفوا في ذلك وكانت سبباً للستر عليهم وقد وقع ذلك . الوجه التاسع عشر أن الفسقية تمثل موضع

جاءة من الموتى فان كانت الأرض وقفاً فيكون فاصباً لما عاداً موضع جسده لأنه مستحق للغير من مات من المسلمين وليس له أن يحفر فيها القدر ضرورة وهو ما يواريه منها إذا مات. وأشد منعاً من الفسقية ما اعتاده بعض من لا يقدر على كلفة النفقه في الفسقية إذا مات لهم ميت أنزلوه على الميت المتقدم لهم حتى أن بعضهم ليوصي بذلك وهو لا يجوز لما تقدم من أن الكشف على الميت بعد مواراته حرام لأن الموضع حبس عليه فلا يجوز لغيره أن يدفن معه فيه اللهم الآن يكن الموضع فيه من الحرارة أو السخونة بحيث يعلم أن الميت الأول قدavn لم يبق له أثر فلابأس به اذن مثل المعلم بمكة لشدة حرارته والبقاء بالمدينة لشدة سخونته فييل الميت فيما سريعاً حتى أنه لا يوجد إلا التراب. وهذا المعنى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرث البقيع بعد سنين ويدفن فيه أعني قبور من تحقق خلو القبر منهم لما تقدم ذكره من التعليل وليحذر من هذه البدعة التي اعتادها بعضهم وهي جعل الرخام على القبور وهي بدعة وسرف واضاعة مال ونفر وخيانة وكذلك كل ماحواليه . وليحذر من أن يجعل على القبر ألا حاماً من خشب عوضاً عن الرخام . وكذلك يحذر من أن يجعل عليه درابزين اذ أن هذا كله من البدع المكرروحة في الشرع الشريف . وقد تقدم صفة القبر على السنة فكل مخالفها فهو بدعة مكرروحة واضاعة مال ونفر وخيانة كما تقدم . وليحذر مما يفعله بعضهم من نقش اسم الميت وتاريخ موته على القبر سواء كان ذلك عند رأس الميت في الحجر المعلم به قبره وإن كان الحجر من السنة على الصفة المقدمة أو كان النقش على البناء الذي اعتادوه على القبر مع كون البناء على القبر من نوعاً كما تقدم أو كان في بلاطة متقوشة أو في لوح من خشب . وأشد من ذلك أن يكون على عمود كان رخامأ أو غيره والرخام أشد كراهة . وكذلك لو كان العمود من خشب فيمنع أيضاً . ثم انظر رحمنا الله وإياك إلى البدعة كيف تجر إلى المحرم

ألا ترى أن بعضهم لما أرتكب بدعة النقش وفي ذلك آيات من القرآن
واحتوت مع ذلك على اسم من أسماء الله تعالى أو على اسم النبي صل الله عليه وسلم
وسلم إلى غير ذلك مما له حرمة في الشرع الشريف ثم تندثر تلك التربة ويندثر
أهلها ومعارفها فيقع ذلك في الأرض أن سلم من السرقة وقد يبيعه السارق
لمن يجعله في مواضع لاتليق به مثل عتبة باب أولى في موضع مرحاض ويجعل
ناحية الكتابة إلى الأرض أن كان مسلا ولا يشعر بما عليه من الأثم فيه
وأما إن باعه لنصراني أو يهودي فذلك أعظم لأنهم يقصدون امتحان ماتعظمه
الشريعة المطهرة الحمدية وإن سلم من السرقة فييق موطئه بالاقدام متنهما
حتى كأنه لا حرمة له وذلك من نوع في الشرع الشريف فليحذر من ذلك
جهده . وكذلك يمنع أن يوقف عند رأس الميت عمود وإن لم ينقش عليه شيء
سواء كان من رخام أو حجر أو خشب أو غير ذلك لأنه من باب الخيال والسرف
وإضاعة المال وذلك كله من نوع في حال الحياة فما بالك به بعد الوفاة . وفيه
من القبح أن فاعل ذلك يريد الظهور وبقاء اسمه وأثره بعد الموت إن كان
وصى بذلك أو كان يحبه فان لم يكن وفعله عليه غيره فبدعة ذلك مختصة بفاعلها
لأن ذلك كله من نوع في الشريعة المطهرة . ولا بأس بذكر ما أثر الصالحين والعبداء
والآولياء مالم يكن منقوشا على القبر أو على جدار أولى ورقه ملصوقة هناك
فإذا كان هذا من نوع فما بالك بالشمع الغليظ الكبير الذي ليس به حاجة للوقود لو
كان سائغا فلم يبق إلا أن يكون ذلك إضاعة مال . وكذلك يمنع ما يفعله بعضهم
من تعليق قنديل على قبر من كان مشهورا بالخير والناس يعتقدونه ليأتي الناس
إلى مكان الضوء فيزورونه لأن الغرض الواجب مثل الحج وغيره إذا كان المكلف
لا يمكن أن يأتي به إلا أن يرتكب محنة ما كخروج الصلاة عن وقتها وما يشبهه فإن
الفرض ساقط عنه . فإذا كان هذا في الفرض فما بالك به فيما ليس بواجب وزيارته

القبور ليست بواجبة فكيف تفعل مع وجود مفاسد . وقد تقدم بعض ما يقع في زيارة القبور بالليل من المفاسد فأغنى عن اعادته . وما يدل على منع هذه الاشياء أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الاقاليم ومات كثير منهم فيها في الجهاد . وغيره ولم ينقل أنه نقش على قبر واحد منهم ولا علق عليه قنديل ولا عمل عليه غير ذلك من العلامات الدالة عليه . ويدل ذلك على صحة هذا المعنى أنه لا يعرف من قبورهم الا الفذ النادر وهم القدوة ونحن الآباء فلو كان ذلك أمراً معمولاً به لبادرت الامة الى فعله ولا شهير الحكم فيه حتى لا يخفى على متاخرى هذه الامة . وأيضاً في النقش على القبور مفسدة أخرى وهي أن بعض الناس يريدون الشهرة لقبور أوليائهم فينقشون عليها اسم من مضى من المتقدمين من العلماء والصالحين لكي يهرع الناس الى زيارتهم وهذا النوع كثيراً ما يقع من بعض الجهلة بدينيهم والفسقة فليحذر من هذا جهده . وليخذر ما يفعله بعضهم من أنواع يعملون على القبور سقفاً من ذهب ويجعلون هناك تصاوير وهذا فيه من القبح ما هو ظاهر بين ألا ترى أن العلماء رحمة الله عليهم اختلفوا في الاستظلال بالسقف الذي فيه الذهب هل يجوز للأحياء أن يدخلوا تحته أم لا فإذا كان هذا منوعاً في حق الأحياء فبالله في حق الموتى إذ أنهم يحتاجون الى اظهار الفقر والاحتياج والاضطرار أكثر من الأحياء وفي فعل السقف المذهب من ظهور الفخر والخيلاء وهو مذموم في حق الأحياء فما بالله في حق الموتى لما تقدم ذكره . وأما الصور فهي تقىض المراد لأن الملائكة لا تحضر موضعها فيه صورة والمؤمنون يتطلبون حضور الملائكة عند ميتهم رجاء بركتهم ليغفر له فإذا امتنعت الملائكة من الحضور حصل ضد البركة والخير أسأل الله السلامه عنه . وبالجملة فالبدعة إذا عملت في شيء كثُرت المفاسد فيه وقل أن تنحصر بضد ما هي السنة فإنها إذا امثلت

فِي شَيْءٍ أَنَارَ وَاسْتَنَارَ وَتَجْمَلَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ

(فصل) ويستحب تهيئة طعام لأهل الميت مالم يكن الاجتماع للزيارة
وشبيها لما روى الترمذى وأبوداود عن عبدالله بن جعفر قال لما جاءه نعى جعفر
قال النبي صلى الله عليه وسلم (اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد جاءهم ما يشغلهم)
ولأن ذلك من التقرب إلى الأهل والجيران والبر لهم فكان ذلك مستحباً ولذلك
قال أصحاب الشافعى رحمة الله عليهم ينبعى لقرابة الميت أن يعملوا لأهل الميت
في يومهم وليلتهم طعاما يشبعهم قالوا وأما اصلاح أهل الميت طعاما وجمع
الناس عليه فلم ينقل فيه شيء وهو بدعة غير مستحب . وينبغى أن تكون
التلبينة من أهم ذلك لما ورد أنها تذهب الحزن . وصفتها أن تكون خفيفة
كأنها الماء إلا أنها يضاهي لأجل الدقيق الذى يعمل فيها ويجعل فيها شيء
من الملح قدر قوامها . ولا يأس أن يجعل شيئاً من الزيت أو الشيرج أو
غيرهما من الأدهان ثم يوقد عليها حتى تنضج فان كانت أخفن من ذلك فى
الحرارة لا التلبينة . وينبغى أن يقدموا شربها على الطعام لما تقدم . فلو جاهم
الطعام من مواضع متعددة فينبغي أن يتصدقوا بما يفضل عنهم أو يهدوه لمن
يمختارون . وقد سئل مالك رحمه الله عن جمع الناس على العقيقة فأنكر ذلك وقال
تشبه بالولائم ولكن يا كلون منها ويطعمون ويهدون إلى الجيران . فإذا كان
هذا قوله في العقيقة فما بالك به في الطعام الذى اعتاد بعضهم عمله في بيت
الميت وجمع الناس عليه . قال القاضى أبو الوليد الباجى رحمه الله في كتاب سنن
الصالحين وسنن العابدين له وكان سعيد بن المسيب اذا دعى إلى العرس أجب
واذا دعى إلى الحنان اتهى الذى دعاه أورماه بالحصى وقال لا يحييك إلا أهل
رياء وسمعة . وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال الوليمة أول يوم حق والثانى
المعروف والثالث سمعة ومن سمع سمع الله به . وقال أزهر بن عبد الله من

صنع طعاماً لزيارة وسمعة لم يستجب الله من دعاه ولم يختلف الله عليه نفقة ماأنفق
 وإذا كان هذا في ولية العرس والختان فما بالك بما اعتقده بعضهم في هذا
 الزمان من أن أهل الميت يعملون الطعام ثلاثة ليال ويجمعون الناس عليه
 عكس ما حكى عن السلف رضي الله عنهم فليحذر من فعل ذلك فإنه بدعة مكرورة
 ولا بأس بفعله لاصدقة عن الميت للحتاجين والمضررين لا للجمع عليه مالم يتحذ
 ذلك شعاراً يستن به لأن أفعال القرب أفضلها ما كان سراً والله الموفق
 وينبغي أن يتحرز من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهي أنهم يوقدون السراج
 أو القنديل في الموضع الذي مات فيه الميت ثلاثة ليال من غروب الشمس
 إلى طلوعها وعند بعضهم سبع ليال وبعضهم يزيد على ذلك أنه يفعلون
 مثله في الموضع الذي غسل فيه الميت. ولتحذر ما أحدهم بعضهم وهو أنهم
 يضعون حجراً في الموضع الذي مات فيه الميت ويجعلون عليه سراجاً يوقد إلى
 الصبح وذلك بدعة من فعله. ولتحذر ما أحدهم بعضهم من أن ثياب الميت
 لا تغسل إلا في اليوم الثالث ويقولون إن ذلك يرد عنه عذاب القبر وذلك
 تحكم وافتراء على الشريعة المطهرة. ولتحذر ما أحدهم بعضهم من أن ول الميت
 يعمل العشاء ثلاثة ليال وقد تقدم بعض ذلك. ولتحذر ما أحدهم بعضهم
 وهو أنه لا يرفع مائدة الطعام الليلي الثلاث إلا الذي وضعها. وكذلك يحذر
 ما أحدهم بعضهم من أن الموضع الذي غسل فيه الميت يوضع فيه رغيف
 وكوز ما ثلاثة ليال بعد موته. وكذلك يحذر ما أحدهم بعضهم وهو أن الميت
 إذا مات لا يأكل أهله حتى يفرغوا من دفنه. وكذلك يحذر ما أحدهم بعضهم
 وهو أنهم إذا رجعوا إلى البيت من الدفن لا يدخلون البيت حتى يغسلوا أطرافهم
 من أثر الميت. وكذلك يحذر ما أحدهم بعضهم من التزام البكاء بكرة وعشية حين
 الغداة والعشاء. وكذلك يحذر ما أحدهم بعضهم وهو أن من حضر الميت عند خروج

روحه لا يعمل شغلا حتى تمضى عليه سبعة أيام . وكذلك يحذر ما أحدث بعضهم وهو أن أحدهم إذا عطس على الطعام يقولون له كلم فلانا أو فلانة من يحب من الأحياء باسمه ويعملون ذلك للا يلحق بالميت . وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهم وهو أن ما كان من الماء في البيت في زير أو غيره لا ينتفعون به ويطرحوه ويرون أنه نجس ويعملون ذلك بأن روح الميت إذا طلعت غطست فيه . وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهم وهو أن ول الميت مadam حزينا على ميته لا يأكل مع جماعته حتى ينقضى حزنه . وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهم وهو أن الميت إذا مات حزنوا عليه سنة كاملة لا يختضب النساء فيها بالخمام ولا يلبس الثياب الحسان ولا يتحلين ولا يدخلن الحمام وان حصل الاضطرار إلى دخوله . وقد تقدم ما في دخول الحمام فيمنع من ذلكهن ومعارفهن فإذا انقضت السنة عملن ما يعهد منهن من النعش والكتابة والغش المنوع في الشرع الشريف كالتقدم في يادرن إلى فعل ذلك هن ومن التزم الحزن معهن ويسمون ذلك بفك الحزن ويقع هن اجتماع حتى كأنه فرح متجدد عند جميعهن وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهم من قولهم إن الميت إذا لم يخرج إلى زيارته ليلة الجمعة يبقى خاطره مكسو، أبيض الموتى ويزعمون أنه يرافقه إذا خرجوا من سور البلد وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهم من قولهم بأن الموتى يفاخرون في قبورهم بالأكفان وحسنها ويعملون ذلك بأن من كان من الموتى في كفنه دناءة يعايرونه بذلك ويحكون على ذلك منamas كثيرة يطول تبعها مما لا أصل له ولا فائدة لذكره وكذلك يحذر ما أحدثه بعض النساء وذلك أن من كانت منهن يعز عليها الميت تخرج في جنازته مكسوة بغير رداء . وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهم من التزام صبغة القبر وهو تبكيتهم إلى قبر ميتهم الذي دفنه بالأمس هم وأقاربهم ومعارفهم وأى من غاب منهم عنها وجدوا عليه حتى كأنه ترك فرضا متعينا

وكذلك يحذر من جعل بعضهم ثوباً منشوراً على القبر . وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهم من فرش البسط وغيرها في التربة ملأً تأتي إلى الصبحة وغيرها وقد تقدم الكلام على ذلك ومنعه . وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهم من نصب الخيمة على القبر . وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهم من وقود الشمع وغيرها في الليل على القبر وكان ينبغي أن لا يقرب الميت بشيء من أثر النار أصلًا لما ورد في الحديث من النهي عن اتباع الميت بالنار فما بالك بها توقد عند القبر . وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهم من أنهم إذا دفوا الميت سكنوا عنده مدة في بيت في التربة أو قربها وهم مع ذلك يوقدون الأحاطب الكثيرة لضروراتهم فيتفالون عليه بوقودها عنده ويقولون ويغوطون هناك وبعضهم يقعد تمام الشهر ويعاهدونه بعد ذلك ويفعلون عنده الأشياء المعهودة منهم فتسري النجاسة إليه كما سبق ذكره وهذا موضع النهي لما ورد من النهي عن الجلوس على المقابر . وقد حمل علماؤنا رحمة الله عليهم النهي على جلوس الإنسان حاجة على القبر فإذا كان هذا منياب عنه وهو على وجه الأرض ظاهر وتشفه الشمس وتشفه الرياح ويشربه التراب ويزيله من رأه غالباً فما يفعلونه حين اقامتهم عنده من البول والغازات الكثير في الكنيف الذي هناك تسري الرطوبة النجسة إلى الميت في قبره منه لأنه تحت الأرض فتسري النجاسة إليه كما تقدم . وإذا كان ذلك كذلك فهو أشد من قضاء الحاجة عند القبر وعليه فالمنع من ذلك من باب أولى . وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهم من فعل الثالث للبيت وعملهم الأطعمة فيه حتى صار عندهم كأنه أمر معمول به ويشعرون كأنه ولية عرس ويجمعون لاجله الجموع الكثير من الأهل والأصحاب والمعارف فان بي أحد منهم ولم يأت وجدوا عليه الوجد العظيم . ثم انهم يقتصروا على ذلك حتى يقرروا هناك القرآن العظيم على عوائده المعهودة منهم باللاحان والتقطير الخارج عن حد القراءة

المشروعية بسبب الزيادة والنقصان المتفق على تحريمها و يأتيون مع ذلك بالقراء
يذكرون ويصرفون الذكر عن مواضعه على الترتيب المعروف عندهم وبعضهم
يزيد على ذلك فيأتي بالمؤذنين يكبرون كتكبير العيد على ماضى من عادتهم . وقد
صار هذا الحال في هذا الزمان أمراً معمولاً به حتى لو تركه أحد منهم لكثير
فيه القيل والقال فكيف لو أنكر ذلك . ثم انضم إليه أنهم يتکلفون فيه التکلیف
الكثير لأجل ما يحتاجونه من العوائد في ذلك . ومنهم من يأتي بالواعظ إلى
الرجال . ومنهم من يأتي بالواعظة إلى النساء . ويزيدون في أقوالهم وينقصون
ويصرفون بعض ذلك ويفهمون غير المراد ويتفوهون باطلاق أشياء لا ينبغي
ذكرها على رؤس الأشهاد وقد تقدم ما في ذلك من الذم في أول الكتاب
وقد تقدم ما في الاجتماع للسماع وما في السماع مما لا ينبغي وتلك القبائح والفساد
موجودة في الاجتماع لثلاث والسابع وتمام الشهر وتمام السنة وفي أي موضع
فعل ذلك فيه من بيت أو قبر أو غيرهما كل ذلك يمنع . وكذلك يحذر بما أحدثه
بعضهم من فعل التهليلات لموتاهم وجمعهم الجمجمة لذلک كما تقدم في غيره
وقد تقدم الذكر جهراً وجاءه وما فيه . ويحتاجون على فعل ذلك بما حكم
عن بعض الشيوخ من المؤذنين أنه رأى في منامه بعض الموتى في عذاب فذكر
لا إله إلا الله سبعين ألف مرة ثم أهدى هاهاته فرأى في منامه بذلك في هيئة حسنة
فسأله عن ذلك فأخبره أنه غفر له باهداه له ثواب السبعين ألفاً . وهذا ليس
فيه دليل من وجهين . أحدهما أنه منام والمنام لا يترتب عليه حكم . والإثاني أنه
إنما فعلها وحده في خاصة نفسه وأهدى له ثوابها ولم يجمع لذلك الناس كما
يفعلون في هذا الرمان من الشهرة حتى صار ذلك عندهم أمراً معمولاً به وأما
لو فعل ذلك أحد في خاصة نفسه وأهدى ثوابه لمشاء فلا يمنع لأنه قد فعل خيراً
وكذلك يحذر بما أحدثه بعضهم من ترك الفرش التي تجعل في بيت الميت

جلوس من يأتي إلى التعزية فيتركونها كذلك حتى تمضي سبعة أيام ثم بعد ذلك يزيلونها . وكذلك يحضر ما أحدهم بعضهم من زرع شجرة أو صبار أو ريحان أو غير ذلك عند القبر ويعملونه بوجهين . أحدهما أن الملائكة تحضر في موضع الحضرة تذكر الله تعالى . والثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أن مر على قبرين وهما يعبدان فأخذ جريدة رطبة فشققا نصفين فجعل نصفها على أحد القبرين والنصف الثاني على الآخر وقال لعله ينحف عنهما مالم يبيسا . وهذا ليس فيه حجة . أما الوجه الأول فيرده ما تقدم من المعنى الذي لأجله شرع الدفن في الصحراء وهو أن يبقى الميت في قبره نظيفاً لعطش الأرض التي يدفن فيها الميت فأى فضلة خرجت شربها التراب والغرس عند القبر يستدعي ضد ذلك لأنها يحتاج إلى السق بالماء وذلك يزيل هذه الحكمة لأجل أن القبر يبقى مبلولاً من داخله فلا يشرب الفضلات فينتاع الميت في قبره بسبب ذلك فيصير أذن لا فرق بين دفنه في الأرض التربة أو ينقر له في الحجر الصلب وقد مضى بيان ذلك . وأما الوجه الثاني فالجواب عن قوله عليه الصلاة والسلام لعله ينحف عنهما مالم يبيسا راجع إلى بركة مأوقة من لمسه عليه الصلاة والسلام لتلك الجريدة . وقد نص على ذلك الإمام الطرطوشى رحمة الله في كتاب سراج الملوك له لما ذكر هذا الحديث فقال عقبه بذلك لبركة يده عليه الصلاة والسلام . ومانقل عن واحد من الصحابة رضى الله عنهم فلم يصحبه عمل باقيهم رضى الله عنهم أذلو فهموا بذلك ليادروا بأجمعهم إليه ولكن يقتضى أن يكون الدفن في البستين مستجاً . وقد قال الشيخ الإمام أبو سليمان الخطابي رحمة الله في كتابه شرح معلم سنن أبي داود السجستانى رحمة الله وأما غرسه صلى الله عليه وسلم شق العصيب على القبر وقوله لعله ينحف عنهما مالم يبيسا فإنه من ناحية التبرك بأثر النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالتحفيف عنهما وكأنه صلى الله عليه وسلم جعل

مدة بقاء النداوة فيما حداً لما وقعت به المقالة من تخفيف العذاب عنهم وليس ذلك من أجمل أن في الجريد الطبع معنى ليس في اليابس وال العامة في كثير من البلدان تغرس الخوص في قبوره و تاهم وأراهم ذهبوا إلى هذا وليس لما يتعاطونه من ذلك وجه والله أعلم «انتهى كلامه بلفظه» وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أنهم لا يستعملون الملوخية ماداموا في الحزن على ميتمهم و يعلمون بذلك بما اصطلحوا عليه من أنها بمحة الأحباب فإذا أكلوها نذكروا بها ميتمهم فيتجدد عليهم الحزن . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من أنهم لا يأكلون السمك مدة حزنهم على ميتمهم وذلك كله من الأحداث والبدع في الدين وترك الوقوف مع حدود الشريعة المطهرة . وكان ينبغي أن لا يذكر هذا ولا يخرج عليه لظهور باطله وسماجته وقبحه . لكن لما كان الشرط في الكتاب أو لالتبيه على بعض العوائد المخالفه للسنة وقعت الحاجة إلى التبيه على بعضها يستدل به على ماعدتها والله الموفق لارب سواه ولا مرجو إلا إيه وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه وسلم

فصل في ذكر النفاس وما يفعل فيه

وكان ينبغي أن يكون هذا الفصل متقدماً على الفصل الذي قبله وهو غسل الميت وما يتعلّق به مما ذكر لأنّ الخلق أولاثم الموت بعده . لكن لما أن كانت أحكام الولادة تختص بالنساء تأخر ذكرها . لقوله عليه الصلاة والسلام (أخر وهن حيث آخرهن الله) فظهور الولد من بطن أمه هو أول خروجه إلى دار التكليف . فينبغي بل يتبعن على ولد المولود أن يكون ممثلاً لامر الله تعالى فيه ويتابع السنة المطهرة في حقه لتعود بركتها على المولود في ابتداء أمره وبعده وقد تقدم أن المحتضر عند موته ينبغي أن يكون على أحسن حالاته فيها بينه وبين ربه عز وجل لأنّه الخاتم فينبغي أن يكون الابتدام مثله حين بروزه .

الى الدنيا. يدل على ذلك ماورد أن الحفظة اذا صعدوا بعمل العبد فان كانت الصحيفة أولها مبضا وآخرها مبضا بالحسنات يقول الله عز وجل لملائكته أشهدكم أنى قد غفرت له مايبينهما أو كا ورد. واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المشهور وفيه كيف ترکتم عبادى وهو أعلم بهم فيقولون تركناهم وهو يصلون وأتيناهوهم يصلون. واذا كان ذلك كذلك فينبغي الاعتناء بأمر المولود حين خروجه الى دار التكليف بان تمثل السنة في حقه والمخاطب بذلك وليه فعل ان تحصل له بركة الامثال في أول دخوله الى الدنيا وفي خروجه منها فيحصل بسبب ذلك قوة الرجاء في العفو عما يبينهما فاذا كان الاولى ماشيا في حق نفسه وفي حق المولود على طريق السنة والمنهج الأقوم ولايرجع في ذلك الى عوائد أكثر أهل وقته قوى الرجاء في التخلص . وقد تقدم في كيفية موت المختضر وفي دفنه ماأحدثوا فيه من البدع هذا والماشر لذلك الرجال غالبا ومباثرة الرجال للعلماء أكثر من النساء فانهن محتاجات وتربيهن في الجهل غالبا بسبب ذلك فلاجل بعدهن عن العلم وأهله غالبا اتخاذن عوائد رديئة متعددة قل أن تتحصر خالفهن فيها الشريعة المطهرة . فينبغي لولي المولود بل يتبعن عليه أن لا يرجع اليهن ولا الى رأيهم ولا الى عوائدهن وان غضبن أو تشوشن أو آل أمره معهن الى هجرهن أو فراقهن لأن صلة الرحم ائما هي مطلوبة في الشرع الشريف بالاتباع والامثال لا بالابداع بل الابداع اذا فعل كان قطعا للرحم وان كان يدخل به السرور في الوقت فهو في الحقيقة قطع . واذا كان ذلك كذلك فيتعين على ولي المولود أن ينظر لنفسه وللمولود بلسان العلم في كل مايعرض له وعليه من أمر المولود فان لم يكن من أهله فلينسأل عن ذلك أهله قال الله تعالى (فاسأوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) فالسؤال تبين له السنة فيتبعها وتظهر له البدعة فيتجنبها فيدخل بذلك في عموم قوله

تعالى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنوون) فتحصل له المعية بسبب ذلك وأى نعمة أكبر منها لأن الباري سبحانه وتعالى اذا كان معه فقد أمن من العاهات والآفات وسلم دينا ودنيا . فعلى هذا يتبع عليه أن يكون نظره لصلة رحمه في حق المولود أولا حين خطبة أمه ان كان والدا - لما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام (اختاروا النطفكم كما تختارون لصدقاتكم) هذا المقام الأول في كيفية صلة رحمه لولده . المقام الثاني حين الوطء أعني في التسمية والاتيان بالأداب المتقدم ذكرها . المقام الثالث حين الولادة . وقد رأيت بعض المباركيين ولهم ولد فيه بعض أعراض فكلمت والده في ذلك فقال لا أبالي به فاني امثلت السنة حين قربت أمه فلا يكون منه الا خير وكذلك كان لما أن بلغ الصبي وكانت معه في البيت بنت عميه جاءه الى البيت فطلب قوته من خارج الباب فقيل له ألا تدخل فأبى فسألته والده عن موجب ذلك فقال إن قد احتلت البارحة فلابيحل لي أن أدخل وبننت عمى في البيت فهذه ثمرة الامثال اللهم لا تحرمنا ذلك يارب العالمين بمحمد وآلـه صلـي الله علـيه وعلـيـهم سـلمـ . وقد تقدم أن البياعات والاجارات يشترط فيها أن تكون سالمـة من الغرر والغش فهـنا أوجـب لـيقـع الـامـثالـ فيـ حقـ المـولـودـ فيـ مـبدأـ أـمـرـهـ لـتحـصـلـ لهـ الـبرـكـةـ وـالـتـفـاؤـلـ . وـإـذـاـ كـانـ ذـاكـ كـذـاكـ فـتـكـونـ القـابـلـةـ أـجـرـتـهـ مـعـلـوـمـةـ يـتـقـعـ مـعـهـ عـلـيـهـ أـمـ بـعـدـ ذـاكـ ان زـادـهـ شـيـئـاـ فـكـمـ حـكـمـ الـهـبـةـ لـاحـقـ وـاجـبـ عـلـيـهـ فـإـذـاـ أـحـبـ أـنـ يـوـفـيـهـ ذـاكـ وـالـأـزـكـهـ وـكـذـاكـ هـىـ انـ رـأـتـ قـبـولـهـ مـنـهـ وـالـأـرـكـتـهـ . هـذـاـ انـ كـانـ والـدـاـ . وـأـمـاـ انـ كـانـ غـيرـ والـدـ فـلـاـ يـجـوزـ لهـ أـنـ يـعـطـيـ ذـاكـ الـامـنـ مـاـ نـفـسـهـ وـكـذـاكـ الـوـالـدـ انـ كـانـ لـصـبـيـ مـالـ . وـإـذـاـ كـانـ ذـاكـ كـذـاكـ فـيـتـعـيـنـ عـلـيـهـ تـرـكـ مـاـ أـحـدـهـ النـسـاءـ مـنـ أـنـ القـابـلـةـ تـأـقـىـ عـلـيـهـ غـيرـ مـعـلـوـمـ غالـباـ فـيـحـصـلـ بـسـبـبـ ذـاكـ الـجـهـالـةـ وـالـغـرـرـ وـالـمـغـابـنـةـ وـالـنـازـعـةـ وـالـكـلامـ الـكـثـيرـ بـسـبـبـ مـخـالـفـةـ السـنـةـ فـتـرـكـ الـأـجـرـةـ الشـرـعـيـةـ بـلـ بـعـضـهـ يـرـىـ

أن تعين الأجرة عيب وقلة حشمة وترك رياسة وهو لعمر الله بضد ما قاله سواه بسواء لأن السنة المطهرة اذا تركت لا يخلفها الا ضدها فالرياسة على الحقيقة اتباع السنة فيتحرر عن ضدها جهده لتعود بركرة اتباعها على الجميع من المولود والولي والقابلة ومن أعنان على ذلك والله الموفق . وينبغي للولي بل يتأنى في حقه أن يسأل القابلة عن كيفية مباشرتها للولادة لأن القوابل في هذا الزمان قل أن يتحفظن من النجسات فتبادر القابلة دم النفس وغيره من النجسات وتليس المولود وما يجعل عليه من اللباس بذلك كله من غير غسل النجسات بالماء الطهور وذلك لا يجوز بل بعض القوابل يلعن المولود مما يتعلق بأصابعهن من النجسات ويعملن بأن ذلك ينفعه لكنه وكذا وذلك كله كذب وبهتان ومخالفة للسنة المطهرة لما ورد أن أول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فأُتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنكله بتمرة بعد أن لا كها في فمه الكريم صلى الله عليه وسلم ثم مضت الأمة على ذلك وهو أنه اذا ولد لهم مولود أتوا به إلى من يعتقدون بركته وخيره فيحنكهم رجاء بركته وما تقدم ذكره من فعل القابلة ضد هذا سواه . ومنهن من اذا تعسرت الولادة على المرأة أخذن لباب الخنزير ويجعلن في قلبها زيل الفارة ويطعمنها بذلك من حيث لا تشعر به ويعملن بذلك بزعمهن أنه يهون عليها الولادة وهذا باطل لاشك فيه لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (إن الله عز وجل لم يجعل شفاعة لأمتى فيما حرم عليها) فإذا كان فطر الصبي عند خروجه إلى دار التكليف على الحرام فقد يخاف عليه لأن الحرام له تأثير في القلب وإن كان صاحبه لم يقصده ولم يشعر به ولو لم يكن فيه إلا أنه تقاؤل ردئ في كونه أفتر في ابتداء حاله عليه . فإذا كان الولي يسأل عن مثل هذه الأشياء انحسمت هذه المادة الفاسدة . ثم يعلمها ما يجب عليها من الاحتراز من النجسات في حيتها

وحق الموليد فإذا كان عندها علم بذلك فياجينا وان لم يكن عندها علم منه فتتعلم الحكم فيه بسبب سؤاله لها عنهما وقد نشأ أكثرهن على عوائد رديئة اتخذناها وقد جرت إلى مرمات جملة كاقد تقدم مما اتخذوه من العوائد الرديئة وهي أن غاسل الميت يأخذ ما يجد عليه غير ذلك إلى حرم وهو أن بعض أهل الميت يتبركون منهم مكتشوفا بلا سترة أو بشيء يصف العورة أو يحكيها وكذلك فيما نحن بسيلهم سواء وهو أنهن قد جرتهن عوائدهن أن القابلة تأخذ ما زل في المولود وذلك يجر إلى الضرر بالمولود لأن كان أهله فقراء لأن أهله إذا علموا أن القابلة تأخذ ذلك لا يعتنون به وقد مضت عادة الناس أنهم يتبركون بأثر الأكابر من أهل العلم والصلاح أو هم معًا فإذا زل المولود في ثوب أحد هم أو في خرقه من أثرهم فذلك عندهم غنم وبركة فإذا علم أهل المولود أن القابلة تأخذ ذلك أمسكه لأنفسهم للتبرك فرم المولود بركرة مباشرة تلك الخرقة في أول ظهوره إلى الدنيا بسبب البدعة كاحرم الميت السترة الشرعية بسبب البدعة التي أحدثوها في أن الغاسل يأخذ ما وجد على الميت كما سبق . ومن الناس من يتفاخر في الثوب الذي ينزل في المولود حتى انهم يخرجون في ذلك عملاً ينبع لأنهم يتخذونه من خرقه حرير غالباً . وقد ورد النهي عنه في الحديث لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ شيئاً من الذهب والحرير بيده الكريمة وقال (هذا حرام على ذكور أمتي حل لأناثها) فقوله عليه الصلاة والسلام على ذكور أمتي ولم يقل على رجال أمتي دليل على أن لبسه حرام على الذكر وإن كان صغيراً على مقتضى ظاهر الحديث والمخاطب بذلك ولد المولود وهم يأخذون الخرقة ولا يعلمون ما هو المولود ذكر أم أو أنثى . ولا حجة لمن يقول قد اختلف العلماء في لباس الحرير للذكر الصغير لما تقدم من ظاهر الحديث أنه دال على المنع وأيضاً لو قلنا بحله فهو مكره في حقه فيجبه المولود لحصول له البركة والتفاؤل الحسن بسبب خروجه من الخلاف وفي

ذلك عظيم الثواب لو ليه لأنه المخاطب به كا تقدم . ثم ان بعض القوابل اذا استحسن الخرفة التي أعدت لأن ينزل فيها المولود أخذنها لأنفسهن ولم يباشرن المولود به خشية أن يتغير حسنها أو ينقص ثمنها . وإذا كان ذلك كذلك فدخول القابله على أن تأخذ ما اعتادته ما هو مجحول يعني وإذا كان معيناً أو موصوفاً بصفة تحصره فذلك سائع قليلاً كان أو كثيراً نقداً كان أو عرضاً . فوقع بسبب ما أحدثه من البدعة أن الفقراء حرموا بركة أثر الأولياء والأغنياء وقعوا في المفاحرة بحطام الدنيا لأجل ماتذكرة القابله للناس من الخرفة الحرير وصفتها التي اعتادوها لنزول المولود فيها فحصل الضرر للفريقين . فإذا كانت القابله بأجرة معلومة كما تقدم ازدح هدا وغيره من المفاسد . وينبغى أن كل من يتناول المولود يتحفظ من النجاسات كالقابله سواء بسواء بعد التسمية لأنها مشروعة في كل الحركات والسكنات سيما في هذا الموضع الذي له قدر وبال . فإذا خرج المولود من بطن أمه إلى ضوء الدنيا وجب الشكر لوجوه عديدة . أحدها أن أمه كانت في خطر عظيم حتى أنه ليس لها من مالها إلا الثالث لما كانت فيه من الخطر وسلامتها نعمة من الله شاملة يجب عليها الشكر وشكرها امثال طاعة الله تعالى واجتناب نهيه واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم اذ كانها وهبت عمرها جديداً . الوجه الثاني أن المولود اذا خرج صحيحأ سوياً غير ناقص فهذه نعمة ثانية يجب الشكر عليها من الأب وأقاربه ومن الأم وأقاربها على سلامتهم من النقص في ولدهم . الوجه الثالث الشكر على تكثير عددهم . وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم النكاح فيه خمس خصال حديدة . أولها أنه يغض الطرف والثاني يحسن الفرج والثالث يكثر النسل والرابع يبقى الذكر والخامس يبقى الأثر فإذا ظهر المولود فقد كثربه العدد ورفع به الذكر ان كان ذكر او الأثر ان كانت أولى فيتعين الشكر على ذلك . وقد ورد (أكثروا من العائلة فانكم لا تدررون بأيهم

ترزقون) فقد يكون هذا الولد للحكمة الربانية سبباً لكثره الرزق والاستراحة من التعب والنصب وهذا موجود حساناً نشاهد بعض الناس يكون فقيراً ضعيفاً تعباً من التكسب بعيداً من العلم وأهله إلى غير ذلك من الأحوال الناقصة فإذا حدث له مولود ظهر أمره وكثير خيره وبasher العلامة وسمع فوائدتهم يواسطة ولده إلى غير ذلك من النعم المترادفة . وقد حكى أن حبيباً النجار روى وهو يمشي في ركاب ولده فعذله بعض الناس في ذلك فقال ما عرف حبيب الابولده وهذا مشاهد لا يحتاج إلى دليل ولا تمثيل . فقابلوا هذه النعم العظيمة بضدتها سواءً بسبب العوائد الربانية المحدثة إذ أنهم إذا ظهرت عندهم هذه النعم أقبل النساء على الزغرة ويرفعن أصواتهن بذلك مع وجود الدف والرقص . واللهو واللعب والاستهتار وقلة الحياة مع التفاخر بما يصنعه من الأطعمة الكثيرة واجتماع أبناء الدنيا وحرمان الفقراء المضطرين والمحاجين مع تشوفهم وطلبهم كل على قدر حاله وأكثرهن يقمن على هذا الحال مدة السبعة أيام ليلاً ونهاراً فكل من جات تهنيء جددن لها اللهو واللعب والرقص والاستهتار إلى غير ذلك من أحوالهن الربانية . ثم مع هذه القبائح الشنيعة المزامير والابواق على الباب تعمل مع ما في ذلك من المهرج والشهرة وقلة الحياة من عمل الذنوب حتى صار الأمر بينهم كأنه شعيرة من شعائر الدين تتبع فن لم يفعل مثل فعلهم فكانوا ابتدع بدعة في الدين . وقد قال بعض العلماً رحمة الله عليهم أن المرأة إذا اضطرت إلى التصفيق في صلاتها صفت بأصعبين من يدها على ظهر يدها الأخرى لأن صوتها عورة فنعت من الكلام وعوضت عنه التصفيق على هذه الصفة فباليك بما أحدثته من هذه الأمور الفظيعة سبباً عند احداث هذه النعم المتتجدة . وأشد من هذا وأقبح منه أن الغالب من براهم الرجال أو يعلم حالم لا يغيره ولا يستقربه ولا تشمئز نفسه بل يسر بعضهم بذلك ويعين عليه . وأشد من

ذلك كله وأعظمه قبحاً وشناعة أن بعض من ينسب إلى العلم أو إلى الحرفة أو إلى المشيخة يفعلون ذلك في بيوتهم ويستحسنونه من يفعله بل يجمعون الناس عليه ويدعونهم إليه وينذرون من يفعل ذلك ولا يدعوه إليه فانا لله وانا إليه راجعون على الجهل والجهل بالجهل . وليس ما يتعاطونه من هذه الأشياء خاصاً بأمر النفاس بل هو عندهم عام في كل أمر حدث به سرور حتى في الحاج اذا قدم فعلوا مثل ما تقدم ذكره . وأما في أمر النكاح فلا تسأل عما أحدثوا فيه من المخالفات بل ما يفعلونه في النفاس نقطة من بحر ما يفعلونه في النكاح وهو كثير متعدد قل أن ينحصر أو يرجع إلى قانون معلوم لاختلافه بالنسبة إلى الأقاليم والبلاد والعوائد وما تقدم ذكره من أمر النفاس فيه غنية عن الكلام على تفصيل ما يفعلونه في النكاح . ولا يظن ظان أن هذا انكار لوليمة النكاح بل هي سنة معمول بها على الوجه المطلوب في الشرع وكذلك الضرب بالدف الشرعي وهو أن يكون سالماً من الصراصير والسلسلة الحديد اللتين أحدثتا فيه ويكون الفاعل لذلك أحد شخصين إما جارية من الوخش من لا يلتفت إلى صورتها ولا إلى سماع صوتها غالباً أو حرة متجللة لاتشتته ولا يلتفت بكلامها بخلاف من تشتته ويلتفت بكلامها فإن ذلك منها حرم لا يجوز فهذا هو اعلان النكاح وافشاوه على ماضي من فعل السلف رضى الله عنهم بخلاف ماتسوله الأنفس الامارة بالسوء من الالتفات إلى العوائد الرديئة والاغراض الخسيسة وقد ذكر أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دخل إلى بلد فوجدها بعض الناس قد أصابهم حزن فضجوا وأظهروا المخالفة لما أصابهم وجد آخرين قد أنعم عليهم ففرحوا وسرروا وخرجوا بذلك إلى كفر النعمة فقال ابْتَلُهُؤُلَاءِ فاصبروا وأنتم على هؤلاء فاشكروا فلما يمكنتني المقام مع قوم هذا حالم أو كما قال وخرج من بينهم . وهذا حال أكثر أهل هذا الزمان إلا أن الخروج من

يُبَيَّنُ أَظْهَرُهُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ مَتَعْذِرًا لِأَنَّ الْمَكْلَفَ لَا يَخْرُجُ إِلَى مَوْضِعِ آخِرِ الْأَيْدِي وَيَجِدُ فِيهِ مَا هُوَ مِثْلُ مَا خَرَجَ عَنْهُ أَوْ يُزِيدُ عَلَيْهِ فَلَا فَائِدَةُ اذْنِ فِي خَرْوَجِ الْأَيْدِي حَصْوَلِ التَّعبِ وَالنَّصْبِ وَالْإِسْتَشَارَةِ وَغَيْرِهَا مَا يَبْدِدُ حَالَهُ وَيَمْنَعُهُ مِنْ جَمْعِ خَاطِرِهِ وَالْأَدَبِ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالنَّظَرِ فِي خَلَاصِ مَهْجَتِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكِ فَالْعَزْمُ عَلَى الْإِتْقَالِ مِنْ مَوْضِعِهِ إِلَى آخِرِ يُوجَبُ مَا تَقْدِمُ ذَكْرُهُ وَغَيْرُهُ . فَالْحَالُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْعَازِمَ عَلَى الْإِتْقَالِ فِي هَذَا الزَّمَانِ يَعْوَضُ عَنْ ذَلِكِ رُسُومَ يَبْتَهِ وَتَرْكُ الْخَوْضِ فِيهِمْ بِصَدِّهِ غَيْرُ مُفَارِقِ جَمَاعَتِهِمْ فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكِ بُرْكَةً أَمْتَالِ السَّنَةِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (نَعَمُ الصَّوَاعِيْبُوتُ أَمْتَى) فَإِذَا اتَّشَلَ مَا أَمْرَ بِهِ صَاحِبُ الْشَّرْعِ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ مُسْلِمٌ مِنْ هَذِهِ الْآتِفَاتِ كُلَّهَا وَكَأَنَّهُ غَائِبٌ عَنْهُمْ فَلَمْ يَضُرُّهُ بَعْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبُرْكَةُ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَيْءٌ مَا هُمْ فِيهِ بِلِيْكَثُرْ أَجْرَهُ وَيَعْلُوُ أَمْرُهُ عَنْ دُرُّ رَبِّهِ بِحَسْبِ مَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْقَلْقِ وَالْاِزْعَاجِ عَنْ دُرُّ وَيَقْشِيَّهُ مِنْ ذَلِكِ أَوْ سَاعَهُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكِ مَلَازِمُ لَطَاعَةِ رَبِّهِ مُتَشَلِّ سَنَةُ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَزْعُعْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكِ كُلِّهِ بِلِيْكَثُرْ غَنِيمَةُ بَارِدَةٍ سِيقَتُهُ لِفِعْنَانِهِ وَيَشْكُرُ اللَّهُ عَلَى مَاحِبَاهُ مِنْهَا . لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (الْعَمَلُ فِي الْمَرْجَ كَبُرْجَةٌ مَعِيْ) وَقَدْ تَقْدِمُ هَذَا بِمَا فِيهِ كَفَايَةٌ . الْوَجْهُ الرَّابِعُ الشَّكْرُ عَلَى مَا فِي ذَلِكَ مِنْ الْبَشَارَةِ مِنَ الْمُولَى سَبِّحَهُ وَتَعَالَى لِلَّوَالِدِينَ بِكُونِ أَنَّ عَمَلَهُمَا لَا يَنْقُطُعُ وَأَنَّ مَا تَأْتِي لِأَنَّ وَلَدَهُمَا مِنْ سَعْيِهِمَا وَأَثْارِهِمَا فَإِنْ كَانَ صَالِحًا فَيَخْعُبُ عَلَى بَخْ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَيَفْعُلُ مِنْ خَيْرٍ حَصْلَ الثَّوَابَ لِوَالِدِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ وَمَا فَلَّ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ فَلَا يَصْلُ إِلَيْهِمَا مِنْهُ شَيْءٌ ثُمَّ كَذَلِكَ فِي وَلَدِ الْوَالِدِيْ مِنْهُمْ أَنْ قَرَأُوهُمْ . وَهَذَا خَيْرٌ عَظِيمٌ وَنِعْمَةٌ شَامِلَةٌ يَتَعَيَّنُ الشَّكْرُ عَلَيْهَا . لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (قِدَوْا النَّعْمَ بِالشَّكْرِ) فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ مَا أَكْمَلُهَا وَأَعْظَمُهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَجْهِ الَّتِي يَتَعَيَّنُ الشَّكْرُ عَلَيْهَا فَقَابِلُوهَا بِضَدِّهَا كَمَا تَقْدِمُ قَبْلَهُ . وَيَتَعَيَّنُ عَلَى وَلِيِّ الْمَلَوِّدِ

أن يحتزز مما أحدثه أيضاً من أن المولود إذا جاؤوا إلى قطع سرته جمعوا عنده كل مولود يحتاج إلى دخول ذلك البيت الذي تقطع فيه سرة المولود فينتذن تقطع القابله سرة المولود ويزعن أن من لم يحضر من الضغار عند قطعها ودخل بعده تحول عيناه أو يبقى بيكي كثيراً وذلك منهن باطل لأن أصل له في الشرع الشريف وكل ما ليس له أصل في الشرع يتبع طرحة وترك المبالغة به والله الموفق (فصل) وينبغي أن يحذر مما يفعله بعض القوابل وهو أن الواحدة منهن إذا دخلت إلى بيت وقبلت فيه لا يمكن غيرها أن تدخل عليها فيه ويعلل ذلك بزعمهن أن دم المولود دم أمه قد وقع على يد القابله الاولى فلا يدخل غيرها عليها فيه ومن فعل ذلك منهن وقع بينها وبين القابله الاولى وأهل البيت شأن وخصام كثير ويعتقدن أن فعل ذلك حرام وهذا تحكم منهن في الشرع وافتاء بين . فينبغي لولي المولود أن لا يقرب من هذا حالها حتى يبين لها حكم الشرع الشريف في ذلك قبل اتيانها فإن رضيت والاتركها وأخذ سوهاها على المنهج الأقوم والطريق الاسلام . فلو فعل ذلك على سبيل حسن الصحبة والتآلف وترك التشویش لكان ذلك حسناً . وكذلك ينبغي أن يحتزز مما أحدثه بعضهن في ليلة السابع وهو أن يكون عند رأس المولود الختمة واللوح والدواة والقلم ورغيف من الخبز وقطعة من السكر ان كان مقللاً ومن كان له سعة عمل رغيفاً كبيراً من الكاج وآبلوجة من السكر وطبقاً من الفاكهة وقفه من النقل وشمعاً ومن كان فقيراً أخذ من كل واحد من ذلك شيئاً ما فإذا كانت صبيحة تلك الليلة فرق كل ما الجتمع عند رأسه من ذلك ويزعن أنه بركة من أخذه وأنه ينفعه من الصداع ويعلل ذلك أيضاً بأن الملائكة تكتب بالدواة والقلم ما يجري على المولود في عمره إلى حين موته وذلك كله كذب محض وافتاء من قبل أنفسهن وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهن من كتب عصابة المولود بالزعفران يكتبون

فيها سورة يس أو غيرها من القرآن ويعصبه بها في يوم سابعه . وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهن من جعل السكين التي قطعت بها سرة المولود عند رأسه مادامت أمه جالسة عنده فإذا قامت حملتها معها تفعل هذا مدة أربعين يوماً ويعلل ذلك لثلا يصيبها شيء من الجان . وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهن من أن المولود اذا غابت عنه أمه لضرورة في البيت ولم يكن عندها من يقعد عند المولود تجعل عنده كوزا ملوكاً ماء وشيئاً من الحديد . وكذلك يحذر ما أحدثه بعضهن من أخذهن شيئاً من الملح ويصعبن بعضه بالزغفران وبعضه بالزنجر غالباً ويخلطن فيه شيئاً من الكون الاسود ويوقدون الشمع الذي كان عند رأسه وتلبس أم المولود ثياباً حساناً ويدرن بها بولدها البيت كله والقابلة أمامها حاملة للمولود وامرأة أخرى أمام القابلة معها طبق فيه الملح المذكور وينثرنه في البيت يميناً وشمالاً وفي الطبق شيء من البخور يخور مخصوص بالولادة ويزعن أنه ينفع من الأمراض والكسل والعين والجان والشر كله وهذا منهن كذب وافتراء وبدع ليست من الشرع المطهر في شيء . فالليلب من سلم نفسه وأهله وولده إلى الشرع الشريف وترك كل ما أحدثه المحدثون لأن كل من أحدث شيئاً فالغالب أنه يعلله بتعاليل لا يقوم منها شيء على ساق لكن لا يظهر باطلها إلا لأهل العلم وال بصيرة والتقييز غالباً فليحذر من العوائد الرديئة كائنة ما كانت وحيث كانت فالخير كله في الاتباع والشر كله في الابداع . أسأل الله أن يمن علينا بالاتباع وترك الابداع بمحمدو آل المصلى الله عليه وعليهم وسلم . وينبغى لولي المولودان كانت له قدرة أن يقع عنه في سابعه لأنها سنة مؤكدة وحكمها حكم الأضحية في السن والسلامة من العيوب . وقد سئل عليه الصلاة والسلام عما ينقى في الضحايا فأشار بيده الكريمة وقال أربع العرجاء بين عرجها والغوراء بين

عورها والمريبة البين مرضها والعجفاء التي لاتنقى^(١) ووقتها طلوع الشمس من اليوم السابع فان ولد المولود في أثناء اليوم طرح ذلك ولا يحسب ويتحفظ فيها كاً يتحفظ في الأضحية فلا يعطى الحزار أجرته من لحمها ولا جلدتها وكذلك القابلة لأن ذلك عوض فيدخل ذلك في قسم اليماءات ولحم الأضحية والعقيقة لا يجوز بيعهما ومن هذا الباب ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان وهو أن يأتي بما يذبحه في العقيقة إلى المسقط فيعطي جلدتها ورأسها وأطرافها للصانع الذي يعملها وذلك محرم لا يجوز. هذا إن عملها سليخا وأما إن عملها سبيطا فقد تقدم ما في ذلك من المفاسد فأغنى عن اعادته . وينبغى أن لا يعمل بها ولية ويدعو الناس إليها أنه لم يكن من فعل من مضى . وقد سئل مالك رحمه الله أيسنعن منها طعام ويجمع عليه الأخوان فانكر ذلك وقال تشبه بالولائم وقال إنما تطبع وتؤكل ويطعم الجيران . وينبغى أن كان المولود من يقع عنه أن لا يوقع عليه الاسم الاحين يذبح العقيقة ويتخير له في الاسم مدة السابع فإذا ذبح العقيقة أوقع عليه الاسم وإن كان المولود من لا يقع عنه لفقر وله فيسموه في أول وقت شافوا . ثم العجب من يدعى الفقر منهم ويعتل به على ترك سنة العقيقة ويتكلف بعض العوائد التي أحدهنها ما يزيد على ثمن العقيقة الشرعية . فن ذلك ما يفعله بعضهم في اليوم السابع من عمل الزلاية أو شرائها وشراؤه ماتؤكل به ما منه أضعف ما يفعل به العقيقة الشرعية . هذا ما يفعله بعضهم في اليوم السابع مع وجود الفقة الكثيرة فيه لغير معنى شرعى بل للبدعة والظهور والقيل والقال . وبعضهم يفعل ذلك أيضاً في اليوم الثاني من الولادة . وبعضهم يفعل ذلك في اليوم السابع وفي اليوم الثاني والثالث من الولادة . وبعضهم يقتصر على أحدهما ويعتلون في ذلك بكونهم لا يقدرون على العقيقة والعقيقة الشرعية منها أيسر وأخف من ذلك بل لو

(١) لاتنقى بضم التاء وسكون النون أي التي ليس لها نقي بكسر فسكون «أى شحم»

اقتصر على ترك ما أحدثوه في العصيدة من البدعة لكان فيه ثمن العصيدة الشرعية وزيادة لأن العصيدة لا يحتاج إليها إلا النفس، وحدها فزبية واحدة أو دونها تكفيها وهم يعلمون العصيدة ويشترون ماتوكل به ويفرقون ذلك على الأهل والجيران والمزارف وهذا شيء لم يتعين عليهم ولم ينذرهم الشرع إليه وإن كان أطعام الطعام مندو با إليه في الشرع الشريف لكن مالم يعارض ذلك ترك سنة وهم لو اشتراها ثمن العصيدة وما توكل به مما يتعين به على الوجه الشرعي لكان فيه الكفاية وزيادة، ثم يزيدون مع ذلك ما يتخذونه من النقل ليلة السابع ويفرقونه في يومه كما تقدم بيانه، وهذا في حق الفقير منهم، ومنهم من يغوص عن النقل المذكور حلاوة على صفة معلومة تشبه النقل يسمونها باللغزدرات وبعضهم يسمونها بالثور وذلك من باب السرف والبدعة ومحبة الظهور والخيلاء وترك السنن والاهتمال^(١) بأمرها واغتنام بركتها، ثم مع ذلك زادوا عادة ذميمة وهو أنهم لابد أن يجددوا كسوة لأهل البيت وكذلك كل ما يحتاج إليه البيت حتى الحصير لابد من تجديدها إلى غير ذلك مما اعتادوه، فانظر رحنا الله تعالى واياك إلى صرف هذه النفقات وكثثرتها وتشعبها ثم انهم مع ذلك يعتلون لترك العصيدة الشرعية بعدم القدرة عليها، وبعضهم يتدافن تلك العوائد ولبعضها ويعتلون بأن العصيدة لا تجحب عليهم فلا يشغلون ذمتهم بالدين لاجلها ويشغلون ذمتهم بالدين لاجل تلك العوائد عكس ما يتدافون إليه ويطلب منهم في الشرع الشريف، ثم إن التدافن لأجل العصيدة الشرعية يخالف على المنفق عليها وييسر عليه وفاء دينها كالأخدية لبركة امثال السنة فيها وكذلك في جميع أمور الامتثال ولاشك أن الشيطان اللعين ألقى بهم ذلك حتى يحررهم بركرة امثال السنة لأجل أن فعلها بركرة وخير وغنية وهي

(١) الاهتمال الاهتمام

بالنسبة إلى ما يكلفهم من العوائد يسير النفقـةـ وفيها الثواب الجزيـلـ وفي العوائد ضد ذلك ولو لم يكن من فعل البدعةـ من الذمـ لأنـ النفقـةـ فيها لا تختلفـ ولا يثابـ عليهاـ معـ تعـبـهـ لـاجـاهـاـ فـقيـهاـ التعبـ دـنيـاـ وـأـخـرـىـ .ـ وفيـ فعلـ المـقـيـقـةـ مـنـ الفـوـائـدـ أـشـيـاـ كـثـيرـةـ مـنـهاـ اـمـتـالـ السـنـةـ وـاخـادـ الـبـدـعـةـ وـلـوـ لمـ يـكـنـ فـيـهاـ مـنـ الـبـرـكـةـ إـلاـ أـنـهـ حـرـزـ لـمـولـودـ مـنـ الـعـامـاتـ وـالـآـفـاتـ كـاـوـرـدـ فـالـسـنـةـ مـهـمـاـ فـعـلـتـ كـانـتـ سـيـاـ اـلـكـلـ خـيـرـ وـبـرـكـةـ وـالـبـدـعـةـ بـضـدـ ذـكـرـ .ـ وقدـ حـكـيـ عـنـ بـعـضـهـمـ أـنـهـ دـخـلـ عـلـيـهـ بـعـضـ أـصـحـابـهـ فـوـجـاـ وـاـذـهـبـ وـالـفـضـةـ مـتـشـورـينـ فـيـ يـيـهـ وـأـوـلـادـهـ ذـاهـبـونـ وـرـاجـعـونـ عـلـيـهـاـ .ـ فـقـالـواـ لـهـ يـاسـيـدـنـاـ أـمـاـ هـذـاـ اـضـاعـةـ مـالـ قـالـ بـلـ هـىـ فـيـ حـرـزـ قـالـواـ لـهـ وـأـيـنـ حـرـزـ قـالـ لـهـ هـىـ مـزـكـاةـ وـذـكـرـ حـرـزـهـ فـكـذـكـ فـيـماـ نـحـنـ بـسـيـلـهـ مـنـ عـقـ عنـهـ فـهـوـ فـيـ حـرـزـ مـنـ الـعـاهـاتـ وـالـآـفـاتـ وـأـقـلـ آـفـةـ تـقـعـ بـالـمـولـودـ يـحـتـاجـ وـلـهـ أـنـ يـنـفـقـ عـلـيـهـ قـدـرـ الـعـقـيـقـةـ الشـرـعـيـةـ أـوـ أـكـثـرـهـنـاـ فـنـ كـانـ لـهـ لـبـ فـلـيـنـ جـهـهـ عـلـىـ فـعـلـهـ لـاـنـهـ جـمـعـتـ بـيـنـ حـرـزـ الـمـالـ وـالـبـدـنـ أـمـاـ الـبـدـنـ فـسـلـامـةـ الـمـولـودـ سـيـاـ مـنـ الـآـفـاتـ وـالـعـاهـاتـ كـاـتـقـدـمـوـأـمـاـ كـوـنـهـاـ حـرـزاـ لـلـمـالـ فـاـنـ النـفـقـةـ فـيـ الـعـقـيـقـةـ نـزـرـ يـسـيرـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ مـاـ يـكـلـفـونـهـ مـنـ الـعـوـائـدـ الـمـتـقـدـمـ ذـكـرـهـ وـغـيـرـهـ مـنـ النـفـقـاتـ فـيـاـ يـتـوـقـعـ عـلـيـ الـمـولـودـ مـنـ تـوـقـعـ الـعـاهـاتـ وـالـآـفـاتـ وـفـيـهاـ كـثـيرـةـ الثـوابـ الجـزـيلـ لـأـجـلـ اـمـتـالـ السـنـةـ فـيـ فـعـلـهـ وـتـفـرـيقـهـ سـيـاـفـيـ هـذـاـ الرـمـانـ فـاـنـ فـيـهـ الـأـجـرـ الـكـثـيرـ لـقـلـةـ فـاعـلـهـ .ـ لـقـولـهـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ (ـمـنـ أـحـيـاـ سـنـةـ مـنـ سـنـيـ قـدـ أـمـيـتـ فـكـانتـاـ أـحـيـانـيـ وـمـنـ أـحـيـانـيـ كـانـ مـعـيـ فـيـ الجـنـةـ)ـ فـقـدـ شـهـدـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ لـمـ أـحـيـاـ سـنـةـ مـنـ السـنـنـ إـذـ أـمـيـتـ بـالـمـعـيـةـ مـعـهـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ فـيـ الجـنـةـ .ـ وـالـعـقـيـقـةـ فـيـ هـذـاـ الرـمـانـ قـلـ أـنـ تـعـرـفـ وـانـ عـرـفـتـ عـنـ بـعـضـهـمـ بـالـاسـمـ لـيـسـ إـلـاـ فـيـ الـغـالـبـ مـنـهـ لـاـنـهـ يـفـعـلـونـ فـيـهـاـ أـفـعـالـاـ تـخـرـجـهـاـ عـنـ الـوـجـهـ الـمـشـروعـ فـيـهـ .ـ فـهـاـ مـخـالـفةـ وـقـهـاـ الشـرـعـيـ الـذـيـ تـذـبـحـ فـيـهـ

لأن بعضهم يؤخرها عنه وليس ذلك من السنة وإن كانت تجزى عند بعضهم لكن فوت نفسه فضيلة امثال السنة في الوقت الموضع لها ومنها عدم التوفيق بشروطها إذ أنهم يعطون من لحمها وجلدها للصانع كا تقدم بيانه . وقد قال علاؤنا رحمة الله عليهم فيمن كان له ثوب للجمعة ولافضل عنده غيره فإنه يبيعه حتى يضحي فكذلك يبيعه حتى يقع عن ولده وكذلك قالوا الله يتداين للأضحية فكذلك يتداين للحقيقة سواءً بسواءً وإذا اختاروا له الاسم من حين ولادته إلى سابعه كا تقدم فينبغي أن يختاروا له من الأسماء ما كان سالماً من التركة والكتنى المنهى عنها في الشرع الشريف وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية قوله في التسمية بأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأسماء الصحابة رضي الله عنهم مقنع وبركة وخير فيقتصر على ذلك دون غيره . وقد وقع لسيدي أبي محمد رحمة الله وهو بمدينة تونس أنه لما أراد دادله مولود طالبوه بعض عوائدهم الجارية فأبى عليهم وقال السنة أولى قال وكنت مرضا لا أقدر على الحركة فلما أن عزمت على العقيقة وجزمت بها رأيت فيما يرى النائم أنى ماش على طريق ومعي شخص فيينا نحن نمشي في الطريق وإذا بجيفة قد عرضت لنا في وسطها فقال لي ذلك الشخص الذي كان معى عسى أنك تعينى على زوال هذه الجيفة عن الطريق لأن النبي صلى الله عليه وسلم يعبر من هنا الساعة قال فقلت له نعم فأزالت الجيفة عن الطريق ونظفناه وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد أقبل فسلمت عليه فقال لي وعليك السلام ياقظيه ورحمة الله وبركاته فانتبهت من نومي فوجدت العافية في الوقت فأصبحت وخرجت واشتريت الذبيحة للحقيقة بنفسي فلما أن عملتها جمعت بعض الأخوان وحدتهم بما جرى فاشتهر الأمر وكانت العقيقة إذ ذاك قد دثرت عند بعض الناس حتى كأنها لا تعرف فاشتهرت بعد ذلك في البلد . وهذا هو نص الحديث

الوارد عنه عليه أفضـل الصـلاة والسلام حيث قال من أحـيـاسـتـه من سنـى وـقـد تـقـدـم فـأـولـتـ الجـيـفـةـ عـلـىـ الـعـوـانـدـ وـأـولـتـ اـزـالـتـاـ وـتـنـظـيفـ الـطـرـيقـ عـلـىـ اـمـتـالـ السـنـةـ . وـالـهـ المـوـقـعـ

الختان

(فصل) وأما الختان فقد مضـتـ عـادـةـ السـلـفـ أـنـهـ كـانـواـ يـخـتـنـونـ أـوـ لـادـهـ حـينـ يـرـاهـقـونـ الـبـلـوغـ . لـكـنـ قـدـ وـرـدـ أـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ خـتـنـ الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ يـوـمـ السـابـعـ أـوـ نـحـوـهـ وـالـأـمـرـ فـذـلـكـ قـرـيبـ فـأـىـ شـيـ فـعـلـهـ الـمـكـلـفـ كـانـ مـتـشـلـاـ وـذـلـكـ رـاجـعـ إـلـىـ مـقـتـضـيـ التـعـلـيلـ لـاـنـ الصـغـيرـ لـيـسـ بـمـكـلـفـ وـالـقـطـعـ مـنـهـ قـبـلـ تـكـلـيفـهـ فـيـهـ اـيـلـامـ لـهـ بـمـاـ لـاـ يـلـازـمـهـ فـيـ الـوقـتـ وـأـمـاـخـتـانـهـ حـينـ الـمـراـهـقـةـ فـهـوـ مـتـعـيـنـ لـاـنـ كـشـفـ عـورـتـهـ بـعـدـ الـبـلـوغـ مـحـرـمـ لـكـنـ يـدـخـلـ عـلـيـهـ فـذـلـكـ الـأـلـمـ الشـدـيدـ وـالـبـطـءـ فـيـ الـبـرـ بـخـلـافـ الصـغـيرـ فـاـنـ أـلـمـ خـفـيفـ وـبـرـأـهـ قـرـيبـ . وـاـخـتـلـفـ اـنـ وـلـدـ مـخـتـنـوـنـ هـلـ يـخـتـنـ أـمـ لـاعـلـىـ قـوـلـيـنـ . فـنـهـمـ مـنـ قـالـ هـذـهـ مـؤـنـةـ كـفـانـاـ اللـهـ اـيـاـهـ فـلـاـ حـاجـةـ تـدـعـوـالـىـ فـعـلـهـاـ وـلـاـنـ كـشـفـ عـورـتـهـ مـنـ كـبـيرـ وـصـغـيرـ لـاـيـاـحـ الـاـضـرـوـرـةـ شـرـعـيـةـ وـالـضـرـوـرـةـ مـعـدـوـمـةـ وـالـحـالـةـ هـذـهـ وـقـالـ بـعـضـهـمـ لـاـبـدـ مـنـ اـجـرـاءـ الـمـوـسـىـ عـلـيـهـ لـيـقـعـ الـامـتـالـ . وـالـسـنـةـ فـيـ خـتـانـ الذـكـرـ اـظـهـارـهـ وـفـيـ خـتـانـ النـسـاءـ اـخـفـاؤـهـ . وـاـخـتـلـفـ فـيـ حـقـهـنـ هـلـ يـخـفـضـنـ مـطـلـقاـ اوـ يـفـرـقـ بـيـنـ أـهـلـ الـمـشـرـقـ وـأـهـلـ الـمـغـرـبـ فـأـهـلـ الـمـشـرـقـ يـؤـمـرـونـ بـهـ لـوـجـودـ الـفـضـلـةـ بـعـدـهـنـ مـنـ أـصـلـ الـخـلـقـةـ وـأـهـلـ الـمـغـرـبـ لـاـيـؤـمـرـونـ بـهـ لـعـدـهـنـ وـذـلـكـ رـاجـعـ إـلـىـ مـقـتـضـيـ التـعـلـيلـ فـيـمـنـ وـلـدـ مـخـتـنـوـنـ فـكـذـلـكـ هـنـاـ سـوـاءـ بـسـوـاءـ

تمـ الجـزـءـ الـثـالـثـ مـنـ كـتـابـ الـمـدـخـلـ لـاـنـ الـحـاجـ
وـبـلـيـهـ الـجـزـءـ الـرـابـعـ . وـأـوـلـهـ فـصـلـ فـيـ صـفـةـ الـفـلـاحـ

فهرس

الجزء الثالث من كتاب المدخل

لابن الحاج

صحيفه

- | | |
|----|---|
| ٢ | آداب المجاهد وكيفية نيته وهدى |
| ٣ | الغنية . الأسرى . الجزية . حكم المرتدین |
| ٤ | قتال الفتنة الباغية . حكم المحاربين |
| ١٦ | الرمي وفضيلته |
| ١٨ | الرباط وفضله وذكر الخيل وفضله |
| ٢٠ | الشهادة |
| ٢٦ | آداب الفقير المنقطع وكيفية نيته وهدى |
| ٣٩ | المعرفة |
| ٤١ | فصل في الرياء |
| ٤٩ | مكائد الشيطان |
| ٥١ | أصناف العاملين |
| ٥٢ | علامة المريد |
| ٥٦ | تأسيس القوى |
| ٥٧ | التوبة الصحيحة |
| ٥٨ | آفة الحسنات |
| ٥٩ | وجوب اصلاح الباطن |

صحيفة

٦٠ الصدق والعقل

٦٤ قبح الطمع

٦٦ التزير

٦٩ الغيبة والنسمة ، الاستدراج

٧٠ اليقين

٧١ العجب ، التواضع

٧٣ النية والعبادة

٧٤ العلم

٧٦ عيوب النفس

٧٧ الحزن والخوف

٧٨ الرهد والخلوة

٨٣ الأشياء التي يتفرع منها فنون الخير

٨٤ تهون سلوك الطريق والوصول إليه

٩٣ الساع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز

١١٤ الاجتماع بالمردان

١١٥ حد اللواط

١١٧ الدف والرقص

١١٨ الغناء

١٢٣ زهد الفقر

١٢٩ مواطن اجابة الدعاء

١٣١ آداب المريد

١٣٨ الكيمياء

١٤٧ دخول المريد الخلوة

صحيفه

- ١٥٨ بعض آداب السلوك
- ١٦٣ الاجتماع بالأخوان خلال الخلوة
- ١٦٥ آداب صحبة الأعضاء
- ١٦٧ أنواع الأخوان
- ١٧٠ آداب النفس
- ١٧٣ كيف يصنع المريد إذا أودى
- ١٧٧ نصائح للمريد
- ١٨٤ قدوم المريد من السفر ودخوله الرابط
- ١٩٣ بعض المتشبهين بالمشائخ وأهل الإرادة
- ٢٠٥ النهى عنأخذ السبحة بلا تسييج
- ٢٠٦ ترك السيئات أو جب من فعل الحسنات
- ٢٠٧ الأفضل التسييج على الأصابع
- ٢٠٨ حقيقة أخذ العهد
- ٢١٨ مكاتبة الفقير لأخيه
- ٢١٩ صرف هم المريد إلى الآخرة
- ٢٢٠ آداب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
- ٢٢٣ مراحه صلى الله تعالى عليه وسلم
- ٢٢٩ المختصر وما يحتاج إليه من الآداب
- ٢٣٠ فتنة المختصر
- ٢٣٢ النهى عن السخط والتضجر عند حلول المصيبة
- ٢٣٤ النياحة على الميت
- ٢٣٥ ما يجب أن يفعل بالميت وقت موته
- ٢٣٧ غسل الميت

صحيفة

- ٢٤٠ تكفين الميت
 ٢٤٥ آداب المغسل
 ٢٤٦ النهى عن العوائد القبيحة عند الموت
 ٢٥١ صلاة الجنازة
 ٢٥٢ الدعاء في الصلاة على الميت
 ٢٥٤ التعزية
 ٢٥٥ تشيع الجنازة
 ٢٥٨ صفة القبور
 ٢٦٠ دفن الميت
 ٢٦٢ الدعاء للبيت وقت الدفن
 ٢٦٣ صفة القبر
 ٢٦٥ تلقين الميت
 ٢٦٦ أجر من صبر على فقد ولده
 ٢٦٨ كراهة الدفن في الفسقية
 ٢٧٣ النهى عن الكتابة على القبور
 ٢٧٥ طعام أهل الميت
 ٢٧٦ البدع المحدثة في المأتم
 ٢٨١ النفاس وما يفعل فيه
 ٢٩١ العقيقة
 ٢٩٦ الختات

This preservation photocopy
was made and hand bound at BookLab, Inc.
in compliance with copyright law. The paper,
Weyerhaeuser Cougar Opaque Natural,
meets the requirements of ANSI/NISO
Z39.48-1992 (Permanence of Paper).



Austin 1994

Geological Survey

of Canada

Map Sheet No. 1

Map of the Province of Quebec

and the Province of Ontario

and the Province of Manitoba

and the Province of Saskatchewan

and the Province of Alberta

and the Province of British Columbia

and the Province of Newfoundland

and the Province of Prince Edward Island

and the Province of Nova Scotia

and the Province of New Brunswick

and the Province of Quebec

and the Province of Ontario

and the Province of Manitoba

and the Province of Saskatchewan

and the Province of Alberta

and the Province of British Columbia

and the Province of Newfoundland

and the Province of Prince Edward Island

and the Province of Nova Scotia

and the Province of New Brunswick

and the Province of Quebec

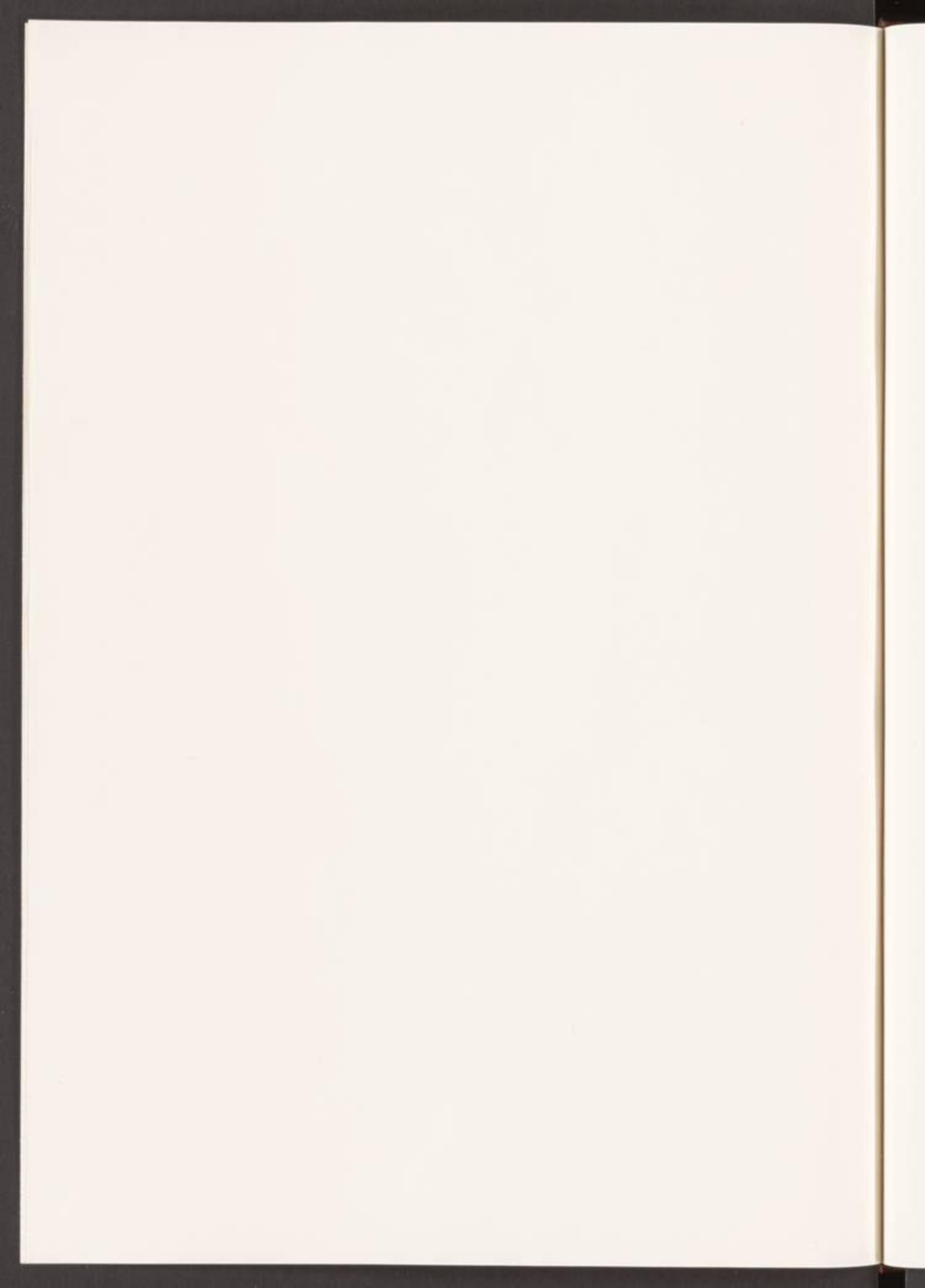
and the Province of Ontario

and the Province of Manitoba

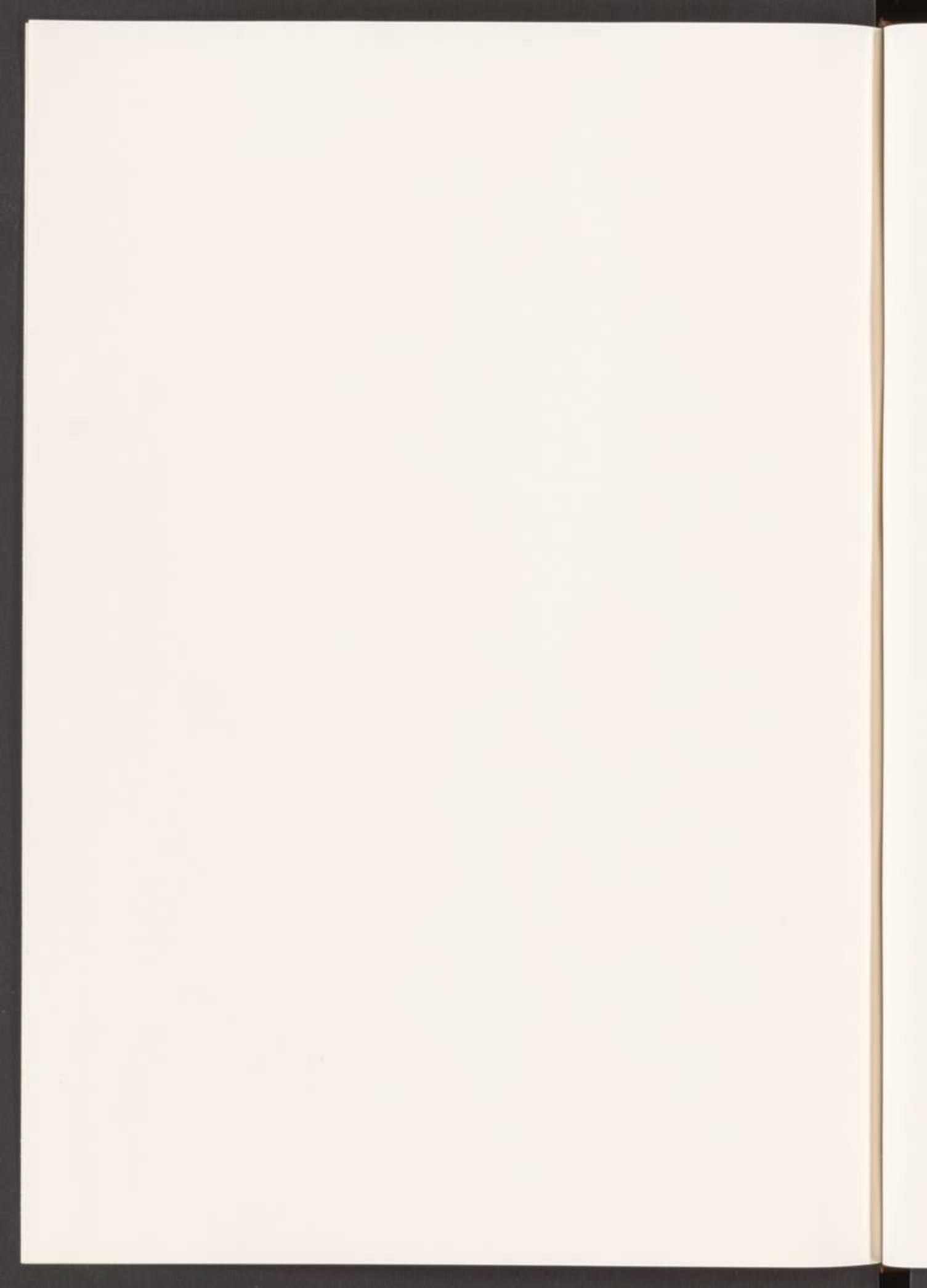
and the Province of Saskatchewan

and the Province of Alberta

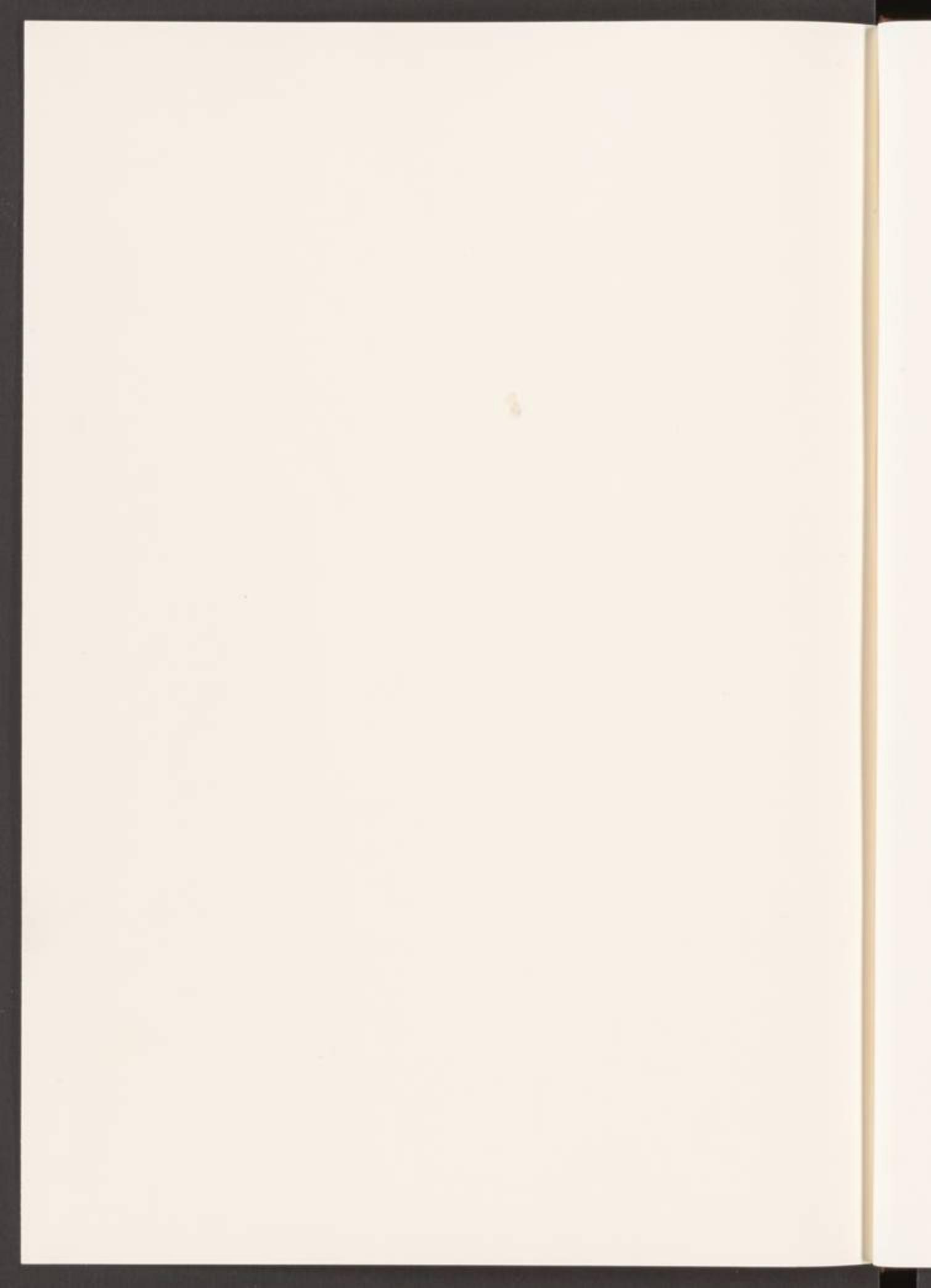
and the Province of British Columbia

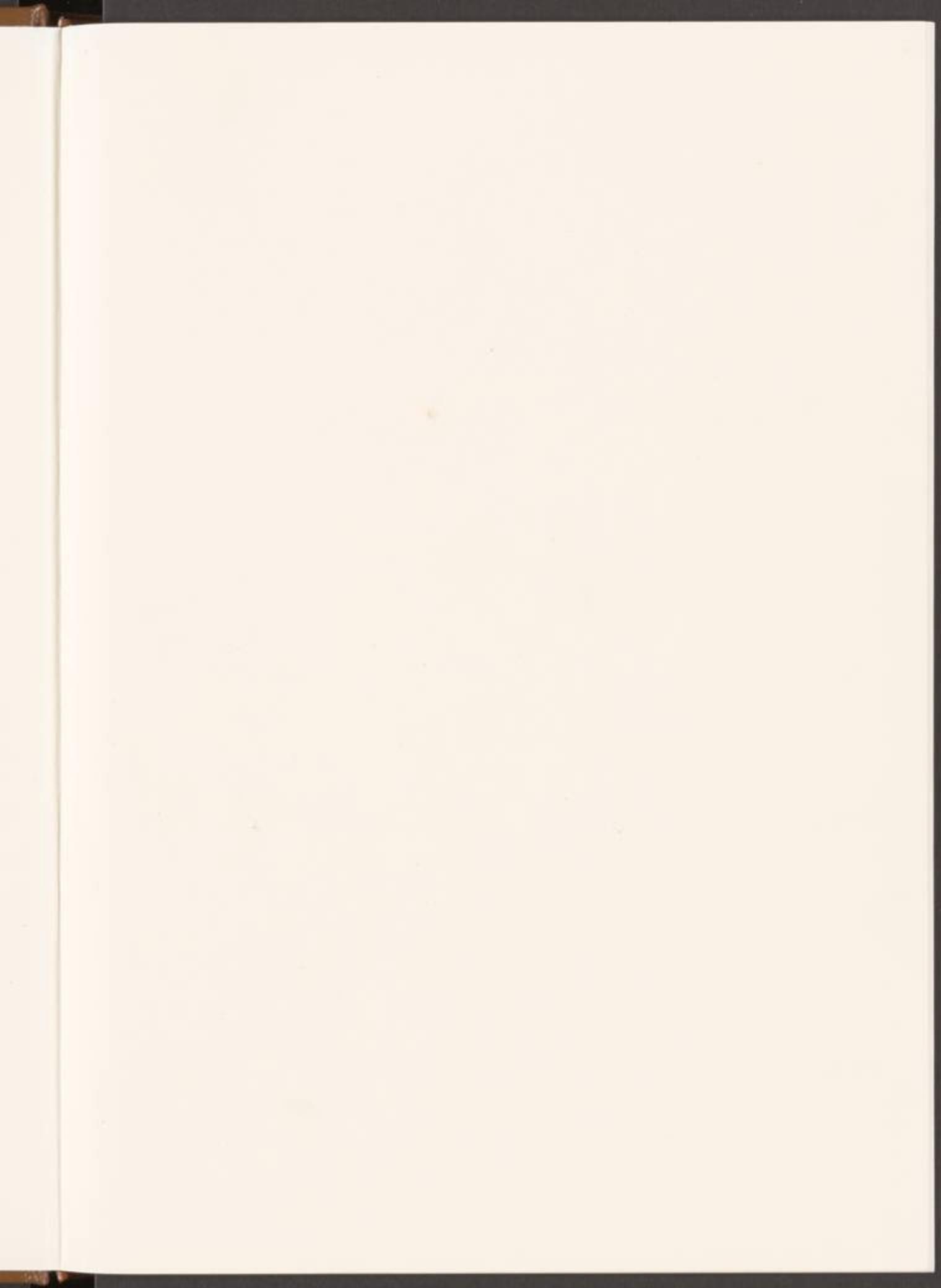














Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

